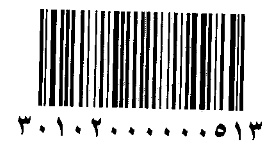
مكة المكرمة
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



العلاقات بين المغرب والأندلس

في عهد عبد الرحمن الناصر

(٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد
ليلى أحمد نجار

إشراف
الدكتور / أحمد السيد دراج

١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ
١٩٨٢م - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

شکر و تقدیر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله حمدا كثيرا على توفيقه لى فى بحث هذا الموضوع ، ولا يسعنى بعد الانتهاء منه الا أن أتقدم بالشكر الجزيل من الأعماق لأستاذى الدكتور أحمد السيد دراج الذى كان لى الشرف الكبير بأن أحظى باشرافه على رسالتى حيث لم يبخل على بالتوجيه والارشاد المستمر فى اتباع المنهج العلمى الصحيح فى البحث وطريقة استخدام المصادر والمراجع وجمع المادة العلمية وتبويبها واعطانى الكثير من وقته فكان لآرائه ومناقشته ونقده خير موجه لى فى بحثى فله منى كل التقدير والاحترام والعرفان بالجميل .

ولا يفوتنى أيضا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم معى فى اخراج هذا البحث بالصورة التى هو عليها ، فللجميع منى جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيـــيم

والحمد لله رب العالمين القائل، فى محكم كتابه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَــقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَــانَ مَا لَمْ يَعْلَــمْ ﴾ (١)

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، من يهده الله فلا مضل لـــه ومن يضلل فلا هادى له ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، النــبى الأمين ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فان موضوع البحث وهو العلاقات بين المغرب والأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وخاصة علاقاته مع الفاطميين فى المغرب ، مـــن الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث والدراسة نظرا لما كان لهذه العلاقات من دور فى حماية الأندلس من النفوذ الفاطمى والدعوة الشيعية ، وفى منازعة عبد الرحمـــن الناصر للفاطميين فى بسط سيادتهم ودعوتهم على المغرب ، وعلى وجه التخصيص على المغرب الأقصى وهو ما نجح عبد الرحمن الناصر فى تحقيقه فعلا .

والملاحظ فى تاريخ العلاقات بين البلدين اهمال الكثير من المؤرخين لهـــذه الفترة فى كتاباتهم سواء فى مجال العلاقات السياسية أو فى مجال العلاقات الحضارية هذا فى الوقت الذى تركز فيه حديثهم عن العلاقات بين المغرب والأندلس علـــى

---

(١) القرآن الكريم ، سورة العلق ، آية ١ ـــ ٥

الفترات التى سبقت هذه الفترة والفترات التى تلتها • ومن ثم كان ذلك حافزا لى على اختيار العلاقات بين المغرب والأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر موضوعا لرسالتى لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى •

فما كتب من دراسات وبحوث فى هذا الموضوع لاتساعدنا على الالمام التام بظروف وأحداث العلاقات بين البلدين فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر • فبعض هذه الدراسات والبحوث يظهر ناحية من العلاقات ويهمل نواحى أخرى وأحيانا لا نجد فى بعضها الآخر سوى مجرد اشارة لبعض نواحى العلاقات بين البلدين ولذلك فان قلة المادة العلمية ، بل ندرتها عن موضوع البحث دفعتنى الى قضاء فترات طويلة فى البلاد العربية وفى أسبانيا وزيارة مكتباتها وجامعاتها للاطلاع على ما بها من مصادر ومراجع ودوريات بهدف الحصول على مادة علمية تفيد البحث فى كافة نواحيه ، وابراز تاريخ العلاقات بين المغرب والأندلس فى هذه الفترة الهامة والحاسمة من تاريخهما •

ولم تقتصر دراستى للموضوع على العلاقات السياسية بين البلدين فى هذه الفترة ، وانما حرصت على أن تشمل أيضا مختلف العلاقات الحضارية حتى تكون الدراسة شاملة •

والبحث يتكون من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ، ثم خاتمة تستعرض أهم ما توصل اليه البحث فى مجال العلاقات بين البلدين فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) •

ففى المقدمة تناولت بالحديث التعريف بموضوع العلاقات بين المغرب والأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر وأهمية الموضوع والباعث الذى دفعنى لاختيار هذا البحث ومدى توفر المادة العلمية فيه والهدف من هذه الدراسة ، بالاضافة الى التعريف بأهم المصادر والمراجع الحديثة العربية والأجنبية والبحوث التى اعتمدت عليها فى دراستى لهذا الموضوع ٠

وفى التمهيد تحدثت عن العلاقات بين المغرب والأندلس فى العصر الاسلامى حتى نهاية عهد الأمير عبد الله بن محمد جد الخليفة عبد الرحمن الناصر ٠ وقد تتبعت هذه العلاقات بشىء من الايجاز فى عهد الفنيقيين واليونان والرومان والقرطاجنيين والوندال ، ثم ما كان من تطور هذه العلاقات بين البلدين بعد الفتح الاسلامى وما واجهته من ظروف ومشاكل من قبل العباسيين بعد قيام الدولة الأموية فى الأندلس على يد الأمير عبد الرحمن ٠ كما أشرت فى هذا التمهيد الى الامارات والدويلات المستقلة التى قامت فى بلاد المغرب وأوضحت مدى علاقاتها ببعضها البعض وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ٠

كما احتوى التمهيد على اشارات موجزة للعلاقات الحضارية فى تلك الفترة بين المغرب والأندلس فى مجال العمارة وفى مجال العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ٠

أما الفصل الأول فقد خصصته للحديث عن سياسة الفاطميين تجاه الأندلس بعد قيام دولتهم فى المغرب وناقشت نقطة مهمة وهى حقيقة ما أشار اليه بعض الكتاب من أن أطماع الفاطميين بعد قيام دولتهم فى المغرب كانت تهدف الى فتح

الأندلس لنقل مقر خلافتهم اليها بعد أن اتضح لهم عدم صلاحية المغرب ليكون مقرا لدولتهم .

والواقع أن ما وجدته فى بعض المراجع عن هذه النقطة دفعنى لبحثها ودراستها دراسة وافية وايضاح حقيقة أطماع الفاطميين ، وهل كانت تستهدف كما يقول هؤلاء الكتاب فتح الأندلس لنقل مقر خلافتهم اليها ، أم كانت تستهدف مصر بالذات لتكون قاعدة انطلاق لهم نحو الشرق لتوحيد العالم الاسلامى فى ظل خلافتهم .

وقد تناولت فى بحث هذه النقطة التفسير المنطقى والمقبول للنزاعات والصراعات بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب فى عهد عبد الرحمن الناصر بالاضافة الى محاولات الفاطميين نشر مذهبهم الشيعى فى الأندلس ، والثورات ذات الصبغة الشيعية فيها قبل عهد عبد الرحمن الناصر وطرق انتشار الدعوة الشيعية فيها ومدى ما حققته فى هذا الصدد من نجاح .

أما الفصل الثانى فقد تحدثت فيه عن الأندلس وأحوالها قبل تولى الأمير عبد الرحمن ثم جهوده بعد أن أصبح أميرا فى اعادة الوحدة للأندلس ، وكذلك حربه للنصارى الأسبان فى الشمال وتغلبه عليهم ثم اعلانه للخلافة فى الأندلس وأسباب ذلك واختياره سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م لاعلان الخلافة والعوامل الداخلية والخارجية التى جعلته يقوم باعلان خلافته فى هذه السنة .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن سياسة عبد الرحمن الناصر فى محاربة أطماع الفاطميين ، وسياسته فى هذا الصدد تتلخص فى وجود عيون وأعوان له فى المغرب

لمده بالمعلومات اللازمة عن الفاطميين ، ثم احكام سيطرته على الجزيرة الخضـراء بالأندلس ، وفتح أبواب بلاده لاستقبال أعداء الفاطميين ، وبث بذور الفتنة بين قبائل البربر فى المغرب ، وما كان لهذه القبائل من دور فى زعزعة ملك الفاطميين فضلا عن انضمام بعض قادة الفاطميين لعبد الرحمن الناصر .

كما تناولت فى حديثى فى هذا الفصل دخول بعض أمراء الأدارسة فى طاعـة عبد الرحمن الناصر ، وقيامه بتوطيد علاقته بدولة بنى رستم فى تاهرت وسيرة فى هذا على نفس سياسة الأمير عبد الرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد ، وما قام به مـن تشجيع الثائرين فى المغرب ضد الدولة الفاطمية مثل تشجيعه لثورة أبى يزيد بـن مخلد (صاحب الحمار) . وقد أعطيت فكرة عن صاحب هذه الثورة ومذهبه ودوره فى زعزعة ملك الفاطميين فى المغرب ، ثم ما كان من فشلها ، وما كان مـن مراسلات بين أبى يزيد بن مخلد وعبد الرحمن الناصر ، ومدى ما حققه عبد الرحمـن الناصر من وراء تشجيعه لهذه الثورة فى بسط نفوذه على المغرب الأقصى .

كما تحدثت أيضا عن قيام عبد الرحمن الناصر بتوطيد علاقته بأعداء الفاطميـين فى المغرب مثل ملك ايطاليا هيوج دى بروفانس ، والامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع ، وأمير مصر محمد بن طغج الاخشيد .

وأما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن الاشتباكات الحربية بين الفريقـين حيث نجد العلاقات بين الأمويين فى عهد عبد الرحمن الناصر والفاطميين فى المغـرب تخرج من دور المؤامرات والدسائس الى دور الحرب العلنية السافرة . فتحدثـت فى هذا الفصل عن الأسطول ودوره فى هذه المرحلة نظرا لأن المعارك بين الفريقـين

كانت تعتمد أساسا على القوة البحرية ، ثم ما كان من قيام أسطول الأندلس بالسيطرة على مضيق جبل طارق واستيلائه على مدن العدوة المغربية طيلة وطنجة وسبتة ، وما أعقبه من اخضاع شمال المغرب الأقصى للسيادة الأموية في الأندلس والقضاء على ملك الأدارسة به واقتصار نفوذهم على دولتهم التى قامت فى حجر النسر .

ثم تحدثت عما أعقب ذلك من اشتعال نار الحرب بين الفاطميين والأمويين حيث قام مركب لعبد الرحمن الناصر بالاستيلاء على مركب للفاطميين قادم من صقلية يحمل مراسلات من واليها الحسن الكلبى الى المعز لدين الله وما كان من رد المعز لدين الله بتدمير ميناء المرية واحراق ما وجده به من سفن ثم قيام عبد الرحمن الناصر بانزال اللعنات على الفاطميين فوق منابر المساجد بالأندلس ، وما كان من قيام أسطوله بغارة على الشواطئ المغربية ، وقد اتبعه بغارة أخرى على منطقة سوسة بقصد تدميرها ، ثم محاولة البيزنطيين استغلال هذه الفرصة ومهاجمة الفاطميين وهزيمة المعز لدين الله لهم ، وكذلك محاولة عبد الرحمن الناصر عقد هدنة مع الفاطميين وفشل هذه المحاولة وما تبع ذلك من عودة الحرب بين الفريقين وقيام المعز لدين الله بمحاولة توطيد نفوذ الفاطميين على قبائل البربر فى المغرب الأقصى ، وما كان من فشل هذه الحملة التى قادها قائده جوهر الصقلى .

أما الفصل الخامس فقد خصصته للعلاقات الحضارية بين المغرب والأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر ، فشمل الحديث فيه العلاقات الثقافية والاجتماعية

والاقتصادية والتأثيرات المتبادلة فى مجال العمارة والفنون الاسلامية بين البلدين .

وختمت البحث بخاتمة شرحت فيها النتائج التى توصلت اليها من دراستى لموضوع العلاقات فى كافة جوانبها بين المغرب والأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر كما زودت البحث ببعض الخرائط المهمة عن المغرب والأندلس فى هذه الفترة وبصورة للسفارة التى أرسلها الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع لعبد الرحمن الناصر وكذلك بصورة السفارة التى أرسلها اليه الامبراطور أوتو .

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث

١ـ المصادر القديمة

يأتى على رأس المصادر القديمة التى اعتمدت عليها بصفة رئيسية فى كتابة هذا البحث المصادر التالية :

١ ـ ابن حيان القرطبى (٣٧٧ ـ ٤٦٩ هـ / ٩٩٧ ـ ١٠٧٦ م)

المقتبس من أبناء أهل الأندلس .

حققه وقدم له وعلق عليه / الدكتور محمود على مكى .

مؤلف هذا المصدر هو حيان بن خلف بن حسين بن عيان بن محمد بن حيان ابن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان من أهل قرطبة وصاحب تاريخها يكنى أبا مروان . كان قوى المعرفة تبحر وبرع فى الآداب وصاحب لواء التاريخ الأندلسى أفصح الناس فيه

وأحسنهم نظما له .

وقد أدرك رسالته الحقيقية فى التاريخ فلم يلجأ الى التنويع أو التفريع كما كان يفعل علماء عصره فى تلك الفترة ، فاختيار مجال التاريخ لكتابة تاريخ بلده منذ الفتح الاسلامى حتى عصره وكانت له مشاركة فى العلوم الأخرى ولكن مشاركته فيها قليلة .

ترك لنا ابن حيان العديد من المؤلفات الهامة منها المقتبس وتحدث فيه عن تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى عصر المؤلف .

وهناك ايضا كتابه المتين ويضم ستين مجلدا وذكر فيه أخبار عصره وأخذ منه ابن بسام فى كتابه الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة وكتابه أخبار الدولة العامرية والبطشة الكبرى .

أما بالنسبة لمنهج ابن حيان فى كتابه التاريخ فقد نظر فيمن سبقه فى مجال الكتابة فمنهم من اتبع طريقة الحوليات أى كتابة الأحداث بالترتيب الزمنى لوقوعها ، ومنهم من تحدث عن تاريخ الخلفاء والملوك ودولة كل واحد منهم ، وهناك من اكتفى بالتعرض للتاريخ الثقافى واعطاء لمحة موجزة عن الناحية السياسية . ولكن ابن حيان نظر فى كل ما سبق فوجد أن كلا منها يكمل الآخر ، فلهذا قرر أن يستفيد من هذه المناهج حتى تصبح كتاباته فى هذا المجال أفضل ما كتب حتى عصره ولا شك أن المقتبس خير مثال لذلك . ويتضح ابن حيان انه اتبع طريقة الحوليات مع العناية بالنواحى الحضارية .

أما مصادر المقتبس فقد قامت على كتب من سبق من المورخين بالاضافة

الى اعتماده بعض الوثائق المهمة التى يكون قد اطلع عليها من نسخ توفرت لوالده بحكم عمله فى ديوان السلطان ككاتب للمنصور أو قد يكون اطلع عليها بطريق آخر ٠

وأما ميزات كتاباته التاريخية فهى الدقة والضبط واخضاعه لكل مايقرأ أو يشاهد لميزان النقد ، كما أنه يحكم العقل والمنطق التاريخى عند مقابلته للروايات المتعددة وتركه للخرافات والأساطير واهتمامه بالتفاصيل الصغيرة والكبيرة ٠

والواقع أن هذه القطعة من المقتبس والقطعة الخاصة بعهد الحكم المستنصر تحتوى على معلومات هامة ولا غنى لأى باحث فى تاريخ المغرب والأندلس عن الاطلاع عليها ٠

وهناك قطعة أخرى هامة من المقتبس وهى التى عثر عليها مؤخرا وقام بتحقيقها ب ٠ شالميتا وهى خاصة بعهد عبد الرحمن الناصر وكانت موجودة فى مكتبة القصر الملكى فى الرباط وقد أمدتنى هذه القطعة بمعلومات هامة عن فترة تمتد من سنة ٣٠٠ هـ الى سنة ٣٣٠ هـ والواقع أن هذا المصدر احتوى على معلومات هامة وقيمة وجديدة أيضا بالنسبة لموضوع البحث فقد تحدث عن عملية توحيد عبد الرحمن الناصر لبلاد الأندلس واتصاله بأمراء العدوة فى المغرب وتبادله الرسائل معهم بالاضافة لبعض المعلومات الهامة والجديدة التى تفيد الناحية الحضارية فى موضوع بحثى ٠ كما توجد قطعة أخرى خاصة بعهد الأمير عبد الله جد عبد الرحمن الناصر لا تقل فى أهميتها عن القطع الأخرى ٠

٢ ـ مؤلف مجهول :

ـ مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله .

هذه المدونة مجهولة المؤلف وقام بنشرها مترجمة الى اللغة الأسبانية الأستاذان ليفى بروفنسال وغرسيه غومس فى مدريد سنة ١٩٥٠ م وتحتوى هذه المدونة صورتين من النص الأصلى بخط المؤلف وهو خط واضح تسهل قراءته ويتضمن نصها الحديث عن عبد الرحمن الناصر من سنة ٣٠٠ هـ الى سنة ٣١٧ هـ وكل معلومات المدونة عبارة عن عملية توحيده لبلاد الأندلس قبل اعلان الخلافة وميزتها أن بها معلومات عن عملية التوحيد لم ترد فى غيرها من المصادر الأخرى .

٣ ـ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى (ولد بين سنتى ٢٥٠ و ٢٦٠ هـ وتوفى سنة ٣٣٣ هـ)

ـ طبقات علماء افريقية وتونس .

مؤلف هذا المصدر من أسرة شهيرة بالقيروان جده تمام بن تميم كان أميرا لتونس ولد بالقيروان وحرص منذ صغره على طلب العلم وحبه وعاصر قيام دولة الفاطميين فى المغرب وانضم لثورة أبى يزيد صاحب الحمار ضد الفاطميين . وقد مدحه المؤرخون بقولهم أنه ثقة عالم بالسند والرجال ومن أبصر أهل وقته بها . وله مؤلفات كثيرة . أما مصدره الذى بين أيدينا فهو بالغ الأهمية ويحوى مجموعة كبيرة من التراجم لعلماء من القيروان وتونس بأسلوب سهل واضح .

٤ ــ ابن القوطية القرطبى (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م)

ــ تاريخ افتتاح الأندلس .

مؤلف هذا المصدر هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم ابن مزاحم ، ويعرف بابن القوطية نسبة الى أمه . ولد فى قرطبة ودرس فى أشبيلية وعينه الحكم الثانى على شرطه قرطبة بعد أن شغل منصب القضاء مدة من الزمن ، وكان لغويا ونحويا ومؤرخا .

والمصدر الذى بين أيدينا من المصادر الهامة فى تاريخ الأندلس وخاصة لفترة الفتح الاسلامى لهذا البلد بقيادة طارق بن زياد ، ثم فترة الامارة فى الدولة الأموية وخاصة فترة عبد الرحمن الداخل التى يركز عليها كثيرا . وعلى الرغم من أن حديثه عن عبد الرحمن الناصر يتصف بالايجاز الا أنه على قدر كبير من الأهمية لمن يبحث فى تاريخ الأندلس فى هذه الفترة .

٥ ــ الخشنى (ت ٣٦١ هـ)

ــ قضاة قرطبة وعلماء افريقية .

هذا المصدر من المصادر الهامة فى تاريخ القضاء فى الأندلس وعلماء افريقية وهو عبارة عن عرض وشرح للقضاة فى الأندلس قبل الخلافة الأموية وفى عهد الخلافة حيث يورد لنا ترجمة كاملة لحياة كل منهم . وبالنسبة لعلماء افريقية فقد تحدث عن علماء القيروان ومن دخل افريقية وكان له دور فى النواحى العلمية فيها من العراقيين وأهل النظر من

الشافعيين ، كما تحدث عمن انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنة وغيرهم من طبقة العلماء بالقيروان كما ذكر من تشرق ممن كان ينسب الى علم من أهل القيروان ، بالاضافة الى من دارت عليه محنة من السلطان من علماء القيروان ثم اسماء قضاة القيروان .

٦ ـ ابن عذارى المراكشى (من كتاب القرن السابع الهجرى)

ـ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ٤ أجزاء .

هذا المصدر من المصادر المهمة فى تاريخ المغرب والأندلس نظرا لما يحويه من معلومات هامة ، وقد أوضح فيه مؤلفه المصادر التى أخذ منها معلوماته فهو أمين على ما أوصله لنا من مادة علمية . والمصدر غنى جدا بالمعلومات اذ أنه يقدم لنا شرحا مفصلا عن المغرب واحواله والدول الموجودة فيه وخاصة الدولة الفاطمية حيث أورد الكثير من الحقائق الهامة عن قيامها وعن انتشار مذهبها فى المغرب وما أحدثته من بدع . بالاضافة الى شرح لبعض جوانب العلاقات الحضارية بين المغرب والأندلس .

٧ ـ مخطوطة عن جغرافية الأندلس لمؤلف مجهول ، محفوظة بمكتبة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد . والمخطوطة تتحدث عن جغرافية بلاد الأندلس ومدنها وبعض حكامها ، وفى نفس الوقت تتحدث عن كثير من الأحداث التاريخية الهامة فى بلاد الأندلس ، وقد استفدت فائدة كبيرة مما حوته من معلومات جغرافية وتاريخية تخص موضوع البحث . وتتحدث عن بلاد الأندلس حتى نهاية عصر الخلافة .

٢ ــ المراجع الحديثة والبحوث

وأما عن المراجع الحديثة والتى اعتمدت عليها بصفة رئيسية فيأتى فى مقدمتها :

١ ــ السيد عبد العزيز سالم :

ــ المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، العصر الاسلامى .

هذا المرجع من المراجع المهمة جدا فى تاريخ المغرب فلا غنى لأى باحث من الاطلاع عليه ، فقد تحدث فيه مؤلفه عن المغرب فى ظل الوندال والبيزنطيين ، ثم فى ظل الاسلام الى نهاية دولة الموحدين ثم عن ورثة الموحدين فى المغرب وهم بنى مرين فى المغرب الأقصى وبنى عبد الواد فى المغرب الأوسط ، وبنى حفص فى المغرب الأدنى وترجع أهمية هذا المرجع الى ما فيه من معلومات علمية قيمة سواء فى الناحية التاريخية أو فى الناحية الحضارية .

٢ ــ السيد عبد العزيز سالم

ــ تاريخ مدينة المرية الاسلامية .

هذا المرجع يتحدث عن مدينة المرية قاعدة الأسطول الأندلسى ونشأتها فى عهد عبد الرحمن الناصر ثم تاريخها فى العصر الحديث وأهم الآثار الباقية فيها ، فضلا عن حديثه عن نشأة الأسطول الاسلامى فى الأندلس .

٣ ـ السيد عبد العزيز سالم

ـ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ٠

يتحدث المرجع عن تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس حيث بدأ كتابه بالحديث عن بلاد المغرب ومراحل فتحها ثم فتح الأندلس وعناصر السكان فيها وقيام دولة بنى أمية فى عهد الامارة والخلافة ودولة بنى عامر ثم سقوط الخلافة الأموية ٠

٤ ـ محمد عبد الله عنان

ـ دولة الاسلام فى الأندلس

يعد هذا المرجع من المراجع المهمة فى تاريخ المغرب والأندلس وقد تحدث عن قيام دولة المسلمين فى الأندلس الى سقوط آخر معقل كان بيد المسلمين فى يد النصارى الأسبان وهو غرناطة ٠

وهو تاريخ وافى وشامل لكثير من الأشياء المهمة ولا غنى لأى باحث فى تاريخ المغرب والأندلس عن الاطلاع عليه ٠

٥ ـ أحمد مختار العبادى

ـ فى تاريخ المغرب والأندلس

تحدث هذا المرجع عن الفتح العربى لبلاد المغرب والأندلس وفترة حكم الولاة فى الأندلس وقيام الدولة الأموية وعصر الامارة فيها ثم عصر الخلافة وسقوطها وما ترتب على ذلك من نتائج وهو يعد من المراجع الهامة فى تاريخ المغرب والأندلس ٠

٦ ـ عادلة على الحمد

ـ قيام الدولة الفاطمية فى بلاد افريقية والمغرب •

هذا المرجع من أحدث ما كتب فى تاريخ الدولة الفاطمية وهو عبارة عن رسالة نالت بها صاحبتها درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى • وقد تحدثت فيها المؤلفة عن قيام الدولة الفاطمية وحقيقة الدور الذى لعبه أبو عبد الله الشيعى فى ذلك بالتفصيل • وعلى الرغم من أن هناك كتبا كثيرة تحدثت عن قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب الا أن هذه الرسالة تتسم بدقة البحث ومنهجية العرض العلمى للأحداث والحقائق التاريخية فضلا عن وفرة المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها الباحثة فى كتابتها •

٧ ـ وأما المراجع الأوربية الغير مترجمة فأهمها كتاب المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال عن تاريخ أسبانيا وقد رجعت الى الترجمة الأسبانية لهذا الكتاب وبالذات للجزء الرابع والخامس منه •

هذا بالاضافة الى بعض البحوث المهمة التى أفادتنى كثيرا فى استجلاء بعض غوامض موضوع الرسالة وأهمها ؟

٨ ـ محمود على مكى

ـ التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية • منشور فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الثانى ، ١٩٥٤م العدد ١ ـ ٢ •

من الموضوعات التى تحدث عنها المؤلف فى هذا المقال نشأة الحزب الشيعى فى المشرق ، وقوة الحزب الأموى فى الأندلس منذ الفتح الاسلامى ثم اقامة عبد الرحمن الداخل الدولة الأموية فى الأندلس ثم بدايات التشيع وانتقال الثقافة الشيعية الى الأندلس عن طريق من رحل الى المشرق ثم عن طريق المشارقة الذين قاموا فى الأندلس بالدعاية أو التجسس لحساب مواليهم من الشيعة ومدى نجاحهم وردود الأمويين عليها . كما واصل المؤلف الحديث عما حققه العلويون فى الأندلس باقامة الدولة الحمودية فى عهد ملوك الطوائف .

٩ ــ أحمد مختار العبادى

ــ سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلد الخامس ، العدد (١ـ٢) ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م .

تحدث المؤلف فى هذا البحث بالتفصيل عن سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس منذ قيام دولتهم وفكرة غزوهم للأندلس ورد الأمويين على محاولاتهم نشر المذهب الشيعى فى الأندلس ، بالاضافة الى علاقتهم بالمغرب بعد انتقال دولتهم الى مصر .

١٠ ــ السيد عبد العزيز سالم

ــ جامع الأندلسيين بفاس ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، ١٩٥٩م

ــ مسجد القرويين بفاس ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، ١٩٥٩م

فى هذين البحثين ركز الباحث على الناحية المعمارية حيث تحدث عن التأثيرات المعمارية الأندلسية فى جامع الأندلسيين وفى مسجد القرويين بفاس .

وبعد فهذا ما اتسع المجال لذكره فى هذه المقدمة من المصادر والمراجع والبحوث ، أما البقية فيجدها القارئ الكريم مثبتة فى آخر الرسالة فى قائمة المصادر والمراجع الحديثة العربية والمعربة ، والمراجع الأجنبية ، والبحوث .

تمہید

العلاقات بين المغرب والأندلس

قبل عهد عبد الرحمن الناصر

العلاقات بين المغرب والأندلس

قبل عهد عبد الرحمن الناصر

ارتبط تاريخ المغرب بتاريخ أسبانيا منذ أقدم العصور ارتباطا وثيقا ، بل يمكن القول أن هذا الارتباط الوثيق انما يعكس — على مدى العصور — تاريخ العلاقات بين شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، شماله وجنوبه ، مدا وجزرا فهذه العلاقات فرضتها فى مختلف عصور التاريخ نشأة القوى الكبرى على هذا الشاطئ أو ذلك ، فما أن كانت تنشأ على أحد الشاطئين قوة من هذه القوى الكبرى حتى تعمل على مد نفوذها وسيادتها على الشاطئ المقابل ، ومعها ما يتبع ذلك تلقائيا من تأثيرات حضارية فى مختلف الميادين .

وهذا ما يتضح للدارس لتاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة ولتاريخ المغرب وأسبانيا بصفة خاصة منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وذلك من خلال دراسة تاريخ الفينيقين واليونان ، والقرطاجنين ، والرومان والوندال . وفى العصر الاسلامى لا يشذ عن هذه القاعدة تاريخ العلاقات بين المغرب وأسبانيا التى أصبحت تعرف بعد الفتح الاسلامى بالأندلس .

فالعلاقات بينهما مصيرية فرضتها وحدة الانتماء الى حوض البحر الأبيض المتوسط ثم غذاها الاسلام وصلات الدم واللغة التى سادت البلدين بعد الفتح الاسلامى لهما فى أواخر القرن الأول الهجرى ، وأدت أكثر من ذى قبل لا الى توثيق الروابط والعلاقات بينهما فحسب بل الى نوع من الاندماج على كافة المستويات

بشريا وسياسيا وحضاريا [1] . فبعد الفتح الاسلامى وجدنا الكونت يوليان حاكم سبتة ـ التى استعصى على المسلمين فتحها فى بادئ الأمر ـ يستعدى المسلمين على فتح أسبانيا ، وهو ما انتهى بفتحها على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير . وتبع الفتح الاسلامى لأسبانيا ، وما تمخض عنه من استقرار الجند الفاتحين ، عربا وبربرا فى أسبانيا هجرات سلمية ضخمة من البربر ومن عرب المغرب . كما أن الأندلس معظم سنوات عصر الولاة الذى امتد حتى دخول الامير الأموى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأندلس فى سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م كانت تابعة من الناحية الادارية لأمير المغرب [2] .

---

(١) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون سنة النشر ، ص ٢٥ ـ ٣٤ .

(٢) **الأصطخرى** : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى ، الناشر دار القلم ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، انظر ص ٣٣ (حيث يعتبر المغرب والأندلس بلد واحد) ـ على حبيبه : مع المسلمين فى الأندلس دار الشروق ، جدة ، الطبعة الثانية ، ص ٣٩٦ وما بعدها ـ دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف القاهرة ، ج ١ ، ص ١٥٧ ـ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨١ ـ ٩٣ .

ولكن هل ظل الحال فيما بعد على هذه الدرجة من الارتباط بين البلدين؟

الواقع أن الأحوال تغيرت بعد ذلك ، وتحول هذا الارتباط القوى الى عداء سياسى على اثر قيام الامارة الأموية فى الأندلس على يد الأمير عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش . ذلك أن عبد الرحمن الداخل بعد فراره من المشرق ونجاحه فى دخول بلاد الأندلس عمل على تأسيس امارة أموية فى الأندلس مستقلة عن الدولة العباسية . وكان المغرب قد دخل فى طاعة العباسيين منذ أن قام عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى باقامة الخطبة فى بلاد المغرب باسم الخليفة العباسى [1] .

وقد أدى ذلك الى أن تعمل الخلافة العباسية فى المشرق على استرداد الأندلس من عبد الرحمن الداخل واعادتها الى سلطان الخلافة كما كان الوضع سابقا . لذلك عملت الخلافة العباسية على اثارة القلاقل ضد الأمير الأموى وحاولت القضاء على ملكه عن طريق اثارة العناصر العربية ضده فى بلاد الأندلس من ناحية والاعتماد على والى افريقية ضده من ناحية أخرى . ففى سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣ م هاجمه العلاء بن مغيث اليحصبى (الحضرمى) زعيم عرب اليمينة فى الأندلس بتحريض من العباسيين ، ونزل العلاء باحدى مدن الأندلس ، وهزمه عبد الرحمن الداخل وبعث برأسه ورؤوس من قتلهم من أصحابه الى الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور وكان فى مكة ، وعندما رآها قال : " الحمد لله الذى جعل بينى وبين

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ م ، ص ٣٣١ .

هو عبد الرحمن بن حبيب بن ابى عبدة بن عقبة بن نافع كون اول دولة مستقلة فى العالم الاسلامى منذ ١٢٧ هـ وقتل سنة ١٣٧ هـ

هذا الشيطان بحرا "[١] .

ولم تقف محاولات العباسيين عند هذا الحد ، بل نجد خطرا جديدا يظهر فى شرق الأندلس بتحريض منهم ، ذلك هو عبد الرحمن بن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبى الذى عبر البحر من افريقية الى الأندلس ونزل بقوات كبيرة على ساحل تدمير (مرسيه) فى شرق الأندلس وقام بالدعاء للخليفة العباسى المهدى سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ م .

ولقد انطوت هذه الحركة على درجة كبيرة من الخطورة اذ ان عبد الرحمن بن حبيب الفهرى سعى الى التحالف مع سليمان بن يقظان والى سرقسطه وزعيم الثورة فى الشمال ودعاه الى الدخول فى طاعة العباسيين وامداده بجيش كبير لمحاربة عبد الرحمن الداخل . ولكن سليمان بن يقظان لم يف بوعده فى امداده بالجيش فغضب منه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، وسار لقتال ابن يقظان الذى هزمه فى ظاهر برشلونة [٢] ، فعاد الى تدميره وعمل على تنظيم قواته فسار اليه عبد الرحمن الداخل وهاجمه بشدة وأغرق له اسطوله الراسى بساحل تدمير

---

(١) على حبيبه : المرجع السابق ، ص ٣٩٩ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — الطبعة السابعة ١٩٦٤م ، ج ٢ ، ص ٢٣١ (نقلا عن ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ٢٣٢ — أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٤ — ١٠٥ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢م ، ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٢) اطلق هذا الاسم على مدينة برسينو (Barcino) الأ يبرية القديمة وعرفت عند العرب ببرشنونة ولكن جوت الألسنة بتسميتها برشلونة التى أخذ منها اسمها الافرنجى الحديث برسلونة (Barcelona) انظر دائرة المعارف الاسلامية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، م ٣ ، ص ٥٤٢ ، مادة برشلونة .

فارتد الى بلنسيه [1] وتحصن بها ، فوضع عبد الرحمن جائزة كبيرة لمن يأتيـــه برأسه فتتبعه رجل من البربر يعرف بعسكار [2] ، وتمكن من قتله وحمل رأسه الـــى عبد الرحمن الداخل [3] ، فانهارت بذلك دعوته وثورته (١٦٢ - ١٦٣ هـ/٧٧٨-٧٧٩م)

---

(١) بلنسية موقعها فى شرق شبه جزيرة ايبريا على مسافة أربعة كيلو مترات مـــن ساحل البحر المتوسط . انظر دائرة المعارف الاسلامية ، م ٤ ، ص ١١٧- ١٢١ مادة بلنسية .

(٢) العذرى : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، تحقيـق عبد العزيز الاهوانى ، معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٥م ص ١١ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

الواقع أن رواية غزو عبد الرحمن بن حبيب الفهرى للأندلس قد مثها لنا بعض المراجع بطريقة مختلفة وهى أنه كان هناك اتفاق بين شرلمان ملك الفرنجة والخليفة العباسى المهدى ، وعبد الرحمن بن حبيب الفهرى والى افريقيـــة وسليمان بن يقظان والى سرقسطه للقضاء على الأمير عبد الرحمن الداخـــل وتتلخص الرواية بأن يعبر عبد الرحمن بجيوشه الى شرق الأندلس وينزل فى تدمير ويعبر شرلمان بجيوشه جبال البرتات شمال أسبانيا ويستولى على سرقسطـــة التى يسلمها له ابن يقظان وبذلك يطوقون عبد الرحمن ويقضون عليه ويعلنـــون أن البلاد للخليفة العباسى المهدى وأن شرلمان صديقة وحليفة . والواقع أن هذه الخطة حسبما تذكر المراجع فشلت لأن أهالى سرقسطة رفضوا دخـــول جيوش شرلمـــان لبلادهم ، وفى نفس الوقت عندما سار عبد الرحمن بن حبيـــب الى الأندلس سارع عبد الرحمن الداخل للقضاء عليه ورفض ابن يقظان مساعدتــه بحجة أنه ينتـــظر قدوم شرلمان . ولم يستطع شرلمان مواصلة هذه الخطة لأنــه اضطر للعودة الى بلاده بسبب ثورة القبائل السكسونية الجرمانية فى ألمانيا وتركها المسيحية سنة ١٦٢ هـ /٧٧٨م (انظر أحمد مختار العبادى : فى تاريـــخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٦ - ١٠٩ - أحمد الشعراوى : امراء الأندلـــس الأول ، دار النهضة العربية ، مصر ، ١٩٦٩م ص ١٠٣ - ١٠٤ - دوزى : المرجع السابق ، ص ٢٤٢) - ويرد محمد عبد الله عنان على هـــذا فى كتابه دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ١٨٦ (=)

وهكذا لم تنجح سياسة الخليفة العباسى فى استعادة الأندلس الى سلطان الخلافة ، وكانت نتيجة ذلك استقلال عبد الرحمن الداخل بالأندلس عن المغرب وعن الخلافة العباسية .

وبعد وفاة عبد الرحمن الداخل كانت قواعد الامارة الأموية قد ثبتت أركانها فى الأندلس بفضل جهود مؤسسها ، وتولى بعده ابنه هشام الملقب بالرضا وعادت العلاقات ودية بين المغرب والأندلس بعد أن زالت مخاوف الدولة العباسية من جهة الامارة الأموية فى الأندلس وتأكد لها عدم سعيها وراء أحلام اعادة الدولة الأموية وخفت فى الوقت نفسه مخاوف الأمويين على ملكهم من العباسيين فكان انتشار مذهب مالك فى الأندلس من أهم ما ميز العلاقات بين المشرق الاسلامى والأندلس فقد كان الأمير الأموى هشام يكن للامام مالك[1] كل اجلال واحترام كما نالت شخصية الأمير هشام اعجاب الامام مالك الذى أشاد بعدله وتقواه ، وقد جمعت بين الرجلين

(=) بأن هذا غير صحيح لعدم ذكر المصادر العربية لهذه الرواية بالاضافة لعدم اشارة الروايات اللاتينية الى ذلك . وأضف الى رأى الأستاذ محمد عبد الله عنان أن المراجع السابقة لم تذكر الى المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى ذكر هذه الرواية (انظر أيضا ابراهيم بيضون : تاريخ الدولة العربية فى أسبانيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩

(١) الامام مالك : امام دار الهجرة ، أخذ القراءة عن نافع بن ابى نعيم وسمع الزهرى ، ونافع مولى ابن عمر ، روى عنه الاوزاعى ويحيى بن سعيد ، ولد سنة ٩٥ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ . عن الامام مالك انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م ج ٣ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧ .

عاطفة مشتركة وهى بغض بنى العباس [1] .

ومنذ عهد عبد الرحمن الداخل رحل الكثير من علماء الأندلس الى الامـام مالك فى المدينة المنورة حيث استقوا من علمه واجتهاده ثم عادوا الى بلادهم وعملوا على نشر مذهبه ، اذ كانت البلاد قبل دخول مذهب الامام مالك اليها تتبـــع مذهب الاوزاعى [2] .

وأول من ادخل مذهب مالك الى الأندلس أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمـن ابن اللخمى المعروف بشبطون اذ رحل الى المشرق وذهب الى المدينة المنـورة وأخذ عن الامام مالك [3]

وقد اشتهر بالفقه من تلاميذ الامام مالك فى الأندلس يحيى بن يحـــيى الليثى (ت ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) وهو من قبيلة المصامدة من البربر ، أخـــذ العلم عن الامام مالك ، وروى عنه كتابه (الموطأ) ، وعندما عاد الى الأندلس عمل على نشره فيها ، واليه انتهت الرياسة فى الحديث والفقه كما كان قاضـــى القضاة لا يلى هذا المنصب الا بمشورة يحيى بن يحيى واختياره .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصور الأولى ، القسـم الأول ، ص ٢٢٩ .

(٢) الامام الاوزاعى : امام أهل الشام ولم يكن بها أعلم منه ، اسمه أبو عمرو عبد الرحمن ابن عمرو بن محمد الاوزاعى ولد فى بعلبك سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م وقيـــل سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م وتوفى سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢١٨

وانتشر هذا المذهب ايضا في المغرب أيام الأدارسة [١] وذلك نظـــرا للصلة الوثيقة بين البلدين ، ويؤكد الاصطخري هذه الحقيقة بقوله : " والغالب على مذهب اهل المغرب كلهم مذاهب الحديث وأغلبها عليهم في الفتيـــا مذهب مالك بن أنـــس " [٢] .

وقد ظهر مذهب مالك ظهورا بينــا وواضحا على يد أسد بن الفـــرات[٣] وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون [٤] وغيرهم من أئمة المغاربـــة . ويذكر لنا المقدسي اتباع أهل القيروان لمذهب مالك فيقول " ... لا ترى أكثر من

---

(١) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، طبع ونشر دار السلمي ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥م ، م ١ ص ١٢٨ – ١٢٩ – محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت التطواني : تاريخ الأدب المغربي ، مجهول دار النشر وكذلك غير معروفة سنة النشر ، ص ٤٦ .

(٢) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٣) هو أسد بن الفرات أبا عبد الله مولى بني سليم رحل الى المشرق فسمع من مالك الموطأ ولقى في العراق أبا يوسف صاحب أبي حنيفة . وكان ثقة لم يكن فيـــه شيء من البدع . وقد ولاه زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب على الجيش الـذى وجهه الى صقلية سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م ومات بها سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م ويقـــال ان مولده كان سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢م ويقال أيضا أن مولده كان سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م . انظر أبو العرب القيرواني : طبقات علماء افريقية وتونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م ، ص ١٦٣ – ١٦٦ .

(٤) اسمه عبد السلام وغلب عليه سحنون لحدة كانت في ذهنه وانتهت اليه رئاســـة العلم بالمغرب وأصله من الشام من أهل حمص . كان عالما فقيها ورعــــا ، زاهدا لا يقبل من السلطان شيئا – ولى القضاء سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م وتوفي سنـــة ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤م . وقد قدم افريقية سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦م . انظر أبو العرب القيرواني : المصدر السابق ، ص ١٨٤ – ١٨٧ .

مدنها ولا أرفق من أهلها ليس غير حنفى ومالكى مع ألفة عجيبة " [١]

ونلاحظ أنه اذا كان الأمويون قد عملوا على اقرار مذهب مالك فى الأندلس بفضل نفوذهم السياسى ، فان اسهام المغرب فى اقرار هذا المذهب فى أرضه كانت بمجهودات فردية ، وان علماء المغرب الأوائل تلقوا علومهم مباشرة عن الامام مالك أو عن علماء من الأندلس والقيروان [٢] .

وقد قامت الدراسات الفقهية على مذهب مالك فى المغرب والأندلس ونشأت مدرسة دينية طبقت شهرتها العالم الاسلامى الغربى ، ومن علمائها عبد الملك بن حبيب صاحب الواضحة ، وعيسى بن دينار ، وزياد بن عبد الرحمن [٣]

هذا وذكر الكثير من الكتاب ان مذهب مالك دخل الأندلس فى عهد الأمير هشام ، ومنهم من قال انه دخل فى عهد الحكم الربضى [٤] ، والواقع أن سيادة مذهب مالك فى الأندلس ترجع الى جهود هذين الأميرين ومساهمتهما فى نشره ، وان الحكم قرر بعد أعوام قليلة من وفاة والده ان يكون القضاء والوظائف الكبرى سواء فى قرطبة أو فى غيرها من مدن الأندلس لمن يقدمون

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، مكتبة خياط ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٢٥ .

(٢) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، م ١ ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع والجزء والصفحة .

فتواهم على هذا المذهب التشريحى الجديد [١] .

وفى الوقت الذى حرص فيه الأمويون على تثبيت سلطانهم داخل الأندلس وتركوا الاهتمام بالشئون الافريقية لأهلها ، كانت محاولات العباسيين لتثبيت سيادتهم ونفوذهم على افريقية ضيقة ، اذ لم يكن لهم فى هذه المناطق من الأنصار ما يمكن الاعتماد عليهم فى مقاومة أعدائهم . فبعد عهد يزيد بن حاتم [٢] الذى فاز بحكم القيروان باسم العباسيين بعد حروب طويلة فى خلال الفترة (١٥٥ ـ ١٧٠ هـ / ٧٧١ ـ ٧٨٦ م) انهار نفوذ العباسيين فى افريقية ولم يستطيعوا الاحتفاظ فيها لأنفسهم بنوع من السيادة الاسمية الا بعد اعلان حكم الأغالبة على افريقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م .

وقبل هذا كان نفوذ العباسيين قد ضاع فى المغرب الأقصى بقيام دولة الأدارسة العلوية ، وفى المغرب الأوسط بقيام دولة الرستميين ودولة بنى مدار والى جانب هذه الدويلات قامت أيضا ببلاد المغرب امارة نكور ، وامارة برغواطه

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى أسبانيا ، رسالة دكتوراه صدرت عن جامعة الاوتونوما ، مدريد ، كلية الآداب والفلسفة ، النسخة المكتوبة باللغة العربية (غير منشورة) ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) بلغ الخليفة العباسى ، أبو جعفر المنصور أخبار الثورات التى اشعلها البربر فى المغرب الأدنى فسير اليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب على رأس جيش كبير التقى بالثوار وكان على رأسهم أبو حاتم يعقوب بن حبيب الاباضى وتمكن يزيد من التغلب عليهم وسحق ثورتهم ومضى بجيشه الى القيروان سنة ١٥٥ هـ / ٧٧١ . (انظر السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

وبالبقاء نظرة شاملة على بلاد المغرب وقتذاك نجد فيه الدويلات والامارات الآتية : امارة شكور [1] وامارة برغواطة بالمغرب الأقصى وبنى عصام فى سبتة . أما الدويلات فهى الدولة المدرارية فى سجلماسة ، والدولة الرستمية فى شاهرت فى المغرب الأوسط والدولة الادريسية فى فاس فى المغرب الأقصى ودولة الأغالبة فى القيروان فى المغرب الأدنى [2]

ونستطيع أن نقسم هذه الدويلات والامارات المستقلة بالمغرب من حيث علاقاتها بالامارة الأموية فى الأندلس الى قسمين :

---

(١) خير الله طلفاح : حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ج ٦ ، ص ١٧٥ (يذكر المؤلف أن تأسيس هذه الامارة كان فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ٨٦ ـ ٩٦ هـ / ٧٠٥ ـ ٧١٤ م) . ومن المعروف أن فتح العرب للمغرب قد تم فى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م .

(٢) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ ، وانظر أيضا فيما بعد الفصل الأول ص ٦٧ ، ص ٧١ عند حديثى عن هذه الامارات . بنو عصام هم قوم من البربر ، وقد دخل سبتة رجل من غمارة يسمى ماجكس فعمرها وأسلم ورأس فيها وانضاعت له البربر ثم وليها بعده ابنه عصام بن ماجكس ثم ابنه مجبر بن عصام ثم وليها الرضى بن عصام وكان يحكم فيها برأى فقهاء الأندلس وكانوا يودون الطاعة لبنى ادريس حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٩ هـ . انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان و ا . ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

(٣) من هذه الدويلات المستقلة ببلاد المغرب انظر مزيدا من التفاصيل فيما بعد فى الفصل الأول ص ٦٧ ـ ٧٠ .

١ ـ القسم الأول ويتألف من الدولتين الكبيرتين دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ودولة الأغالبة في المغرب الأدنى ، ولقد تميزت علاقات الأمويين بالأندلس بهاتين الدولتين بالعداء المتأصل وبالتجاهل المشوب بالحذر والخشية من توسعهما [١]

٢ ـ أما القسم الثاني من هذه الدويلات التي قامت في الشمال الافريقي ، وهي الدويلات الصغيرة فقد جمعتها مع الدولة الأموية في الأندلس علاقة صداقة ومودة ، رغم انها باستثناء الدولة الصالحية في نكور كانت تدين بمذاهب تخالف مذهب الدولة الأموية في الأندلس • فقد كانت علاقة الأمويين بالامارة الصالحية في نكور علاقة مودة وصداقة اذ أدرك الأمويون أهمية هذه الامارة بالنسبة لهم نظرا لقربها من شواطئهم • فلو قام الأدارسة باحتلالها لاتخذوا منها نقطة انطلاق يمكن استغلالها في أي عمل ضد الدولة الأموية في الأندلس • ولذلك ظلت علاقة الأمويين بأمراء هذه الامارة علاقة صداقة ومودة لدرجة أن أحد أمرائها قام بعبور المضيق في أواخر أيام الامارة بالأندلس بقصد الجهاد [٢] •

---

(١) من العداء بين الأمويين في الأندلس والأدارسة من جهة ، وبينهم وبين الأغالبة من جهة أخرى انظر : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٤٧٥ ـ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار مطابع المستقبل الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٨٣ ـ خير الله طلفاح ، المرجع السابق ج ٦ ، ص ١٨٠ •

(٢) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨١ •

أما عن امارة برغواطه فقد كانت مع الأدارسة المحيطين بأراضيها فى حالة حرب ، ولذلك رأت أن من مصلحتها أن تعتمد على الأمويين فى الأندلس ، وقد رحب الأمويون بهذه الصداقة رغم ما عرف عن برغواطه من خروج وانحراف عن الدين الاسلامى (١) .

وقد ارتبطت الدولة المدرارية أيضا مع الأمويين بعلاقة صداقة ومودة ، وأسهمت هذه العلاقة الطيبة مع الأندلس فى ازدهار هذه الدولة اذ كانت تسهم بمجهود كبير فى الحركة التجارية بين غانا وبلاد السودان والأندلس .

كما ارتبطت الدولة الأموية فى الأندلس بعلاقة صداقة ومودة مع الدولة الرستمية فى تاهرت فى المغرب الأوسط ، فقد رأت الدولة الرستمية أنها محاطة بعدوين لا يستهان بهما وهما الأغالبة من الشرق والأدارسة من الغرب فرأت أن من مصلحتها أن ترتبط بعلاقة المودة مع الدولة الأموية التى كانت على غير وفاق مع الأغالبة والأدارسة (٢) .

---

(١) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

(٢) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨١ — أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٨ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٣١٤ .

هذه هى الأوضاع السياسية التى سادت بلاد المغرب منذ القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى . وأما بالنسبة للأندلس فانه بعد وفاة هشام الرضا تولى عرش الامارة ابنه الحكم الربضى ، فكان أول خطر واجهه قدم اليه من المغرب من قبل عميه سليمان وعبدالله . فبعد أن بلغهما خبر وفاة أخيهما هشام وتولى ابنه الحكم فورا القيام بمحاولة انتزاع الملك منه . وكان عمه سليمان مقيما فى طنجة فى المغرب الأقصى فجهز جيشا من البربر والمرتزقة وعبر به الى الأندلس وحاول أن يشق طريقه الى العاصمة قرطبة ، ولكنه هزم وانتهى الأمر بقتله عند مدينة ماردة سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، وأمر الحكم أن يطاف برأسه فى أنحاء العاصمة ، ثم شيع جنازته ودفنه بالروضة فى قصر الامارة بجوار والده عبد الرحمن الداخل .

أما عمه الآخر عبدالله وكان مقيما فى المغرب الأوسط عند بنى رستم فى شاهرت ، فقد عبر الى الأندلس واتجه الى المناطق المعادية للحكم مثل بلنسيه فى المشرق وسرقسطة فى الشمال [١] ، ولكنه فشل فى محاولته هذه واضطر الى عقد صلح مع ابن أخيه الحكم الذى عفا عنه وحدد له اقامته فى بلنسيه واجرى له معاشا شهريا مقداره ألف دينار [٢] .

---

(١) كان الثائر بسرقسطه بهلول بن مرزوق . انظر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٧ ، ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

وقد اختلف الحكم عن أبيه هشام فى بعض الصفات ، ففى الوقت الذى كان فيه هشام ورعا تقيا وأظهر اهتماما كبيرا بالفقهاء الذين حظوا فى عهده بالمناصب والمراكز الكبيرة التى أدت الى تدخلهم فى شئون الحكم تدخلا كبيرا ، نرى الحكم على عكس أبيه قد أزعجه ما تحقق للفقهاء من نفوذ كبير فى الأندلس فعمل على الحد من نفوذهم الأمر الذى أثارهم وأدى الى نتائج خطيرة ، فقامت ضده ثورة كبيرة معروفة فى سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م وهى ثورة أهل الربض بقيادة الفقهاء . ولكن الحكم تمكن من الانتصار عليهم وأجبر من بقى على قيد الحياة منهم على الهجرة الى المغرب فذهبوا الى مدينة فاس ورحب بهم أميرها ادريس بن ادريس .

ومما لاشك فيه أن هذه الجماعات الأندلسية التى فرت من قسوة العقاب لم تجد أمامها سوى المغرب تلجأ اليه . وقد استقر ثمانية الآلاف من الربضيين فى فاس فى العدوة التى عرفت بعدوة الأندلسيين ، وتابع بقيتهم التى تبلغ خمسة عشر ألفا مسيرتهم الى الاسكندرية .(١)

وعلى الرغم من الظروف السياسية التى باعدت بين الأندلس والمغرب فى هذه الفترة نجد أن الصلات الحضارية لم تنقطع بين البلدين ، بل نجدها تزداد وتقوى بتولى الأمير عبد الرحمن الأوسط عرش البلاد (٢) . فقد انتهت مرحلة عزلة

---

(١) عن ثورة الربض ونتائجها انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ابراهيم بيضون : المرجع السابق ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠ .

(٢) تولى الأمير عبد الرحمن الثانى عرش البلاد من ٢٠٦ وحتى ٢٣٨هـ / ٨٢١ـ٨٥٢ م

الأندلس بانتهاء المؤامرات والدسائس العباسية ضدها بعد أن ظهر لها أن الدولة الأموية فى الأندلس ليست لها أية احلام توسعية ، فكانت مرحلة حكم عبد الرحمن الأوسط مرحلة انفتاح تام فى علاقات الأندلس بالمغرب والمشرق وعلى الأخص فى الناحية الحضارية [1] .

ففى هذه الفترة أصبحت علاقة الأندلس بالمغرب تتسم بطابع الصداقة والمودة . ففى أول سنة تولى فيها عبد الرحمن الأوسط عرش البلاد ، وفد الى البلاط الأموى فى قرطبة رسل الأمير الرستمى للتهنئة وتجديد روابط الولاء التى تربط بين الأسرة فى تاهرت والأسرة الأموية فى قرطبة ، واستمرت علاقة المودة بين الدولتين قائمة حتى بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الثانى وتولى الأمير محمد عرش الامارة [2] . ولقد بلغت علاقة المودة بين الدولتين درجة كبيرة بحيث كان صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر فى أمور دولته الا حسب ما يراه الأمير الأموى . ولو قمنا بالبحث عن مظاهر هذه الصداقة والمودة نجدها متجلية وواضحة فى التهنئة بالانتصارات ، وتبادل الهدايا ، وتصدير المنتجات الزراعية من تاهرت الى قرطبة ، كما كانت تاهرت تمد الجيش الأموى بكثير من الجنود البربر . هذا بالاضافة الى هجرة بعض أفراد الأسرة الرستمية الى قرطبة حيث تولوا فيها

---

(١) انظر فى هذا الصدد ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

(٢) تولى الأمير محمد عرش الامارة سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م . انظر الباب الثالث عند حديثى عن علاقة الأمويين بالرستميين بالتفصيل .

مناصب رفيعة (١) .

وفي أواخر عهد الامارة الأموية في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ ــ ٣٠٠ هـ ٨٨٨ ــ ٩١٢ م) صادف قيام الدولة الفاطمية وتوحيدها لبلاد المغرب سنة ٢٩٧ هـ ٩٠٩ م ، وقد تطلع خلفاء هذه الدولة منذ بداية نشأتها الى بلاد الأندلس للقضاء على الامارة الأموية بها .

فقام عبد الله المهدى (٢٩٧ ــ ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ ــ ٩٣٣ م) أول الخلفاء الفاطميين بارسال العيون والجواسيس الى الأندلس لاستطلاع أحوالها ومعرفة مداخلها ومخارجها ومواطن ضعفها وقوتها . ومن هؤلاء الجواسيس الذين دخلوا الأندلس قبل قيام الدولة الفاطمية ثم خدموا عبيد الله المهدى وقاموا بتزويده بالكثير من المعلومات عن أحوالها وأوضاعها الاجتماعية والسياسية أبو اليسر الرياضى (ت ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م) ، وابن هارون البغدادى الذى تولى الكتابة للمهدى بعد وفاة أبى اليسر الرياضى ، وشغل منصب رئيس ديوان البربر .

هذا بالاضافة الى ابن حوقل النصيبى (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) الذى دخل الأندلس وقام بتدوين ملاحظاته عن أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعسكرية ومقدرة سكانها وغير ذلك وجمع كل هذا فى تقرير قدمه الى عبيد الله المهدى .

---

(١) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨٢ .

والحقيقة أن هذه الجهود التى قام بها عبيد الله المهدى وخلفائه من بعده حتى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله لم يكتب لها النجاح ذلك أن الدعاية التى قام بها دعاة الفاطميين وعيونهم فى بلاد الأندلس لم تجتذب الا عدد محدودا من الأنصار والمشايعين من أهل الفكر بالأندلس مثل ابن أبى المنظور الذى ولى القضاء للخليفة الفاطمى اسماعيل المنصور (٣٣٤ ـ ٣٤١ هـ ـ ٩٤٥ ـ ٩٥٢ م) ، والشاعر الأندلسى ابن هانى (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م) الذى طرد من الأندلس بعد اكتشاف ميوله الفاطمية ، فقدم الى المغرب والتحق بخدمة الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، والقائد على بن حمدون الجذامى الذى قام ببناء مدينة المسيله سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م وسماها المحمدية [١] وقد عقد له الخليفة الفاطمى القائم (٣٢٢ ـ ٣٣٤ هـ / ٩٣٣ ـ ٩٤٥ م) عليها بعد اختطاطها فبناها وحصنها و شحنها بالرجال فكانت عونا ومددا للمنصور الفاطمى فى حصاره لأبى يزيد بن مخلد صاحب الحمار [٢] .

وأما عن التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس فى المجالات الحضارية فى عهد الامارة الأموية فاننا نجد أنه رغم ظروف العلاقات السياسية التى مر بها تاريخ البلدين ـ كما سبق أن أوضحت ، فقد ظلت التأثيرات المتبادلة بين البلدين فى النواحى الحضارية كما هى لم تنقطع أبدا ، نظرا لقربهما ولتأثير

---

(١) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ ـ ٦٠٩ .

كل منهما فى الآخر . فمثلا لو نظرنا الى الناحية المعمارية نلاحظ وجـــود تأثيرات متبادلة بين كل منهما . ففى المغرب كان المسجد الجامع بالقيروان وأقدم مساجد المغرب الذى بناه عقبة بن نافع الفهرى سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م المصدر المعمارى الذى اقتبست منه العمارة المغربية الأندلسية عناصرها ومنـه انبثقت الأفكار المعمارية الزخرفية وتطورت فى العصور المختلفة (١) ، وقد أعيـد بناء هذا الجامع منذ سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م فى تخطيط مماثل لجامع قرطبـة فأعمدته أخذت من أبنية قديمة كما هو الحال فى هذا المسجد (٢) .

وأصبحت مئذنة جامع القيروان نموذجا للمآذن فى المغرب والأندلـس فمنها استمدت طابعها المميز الذى لا زالت تتسم به حتى اليوم ومن التوريقات (٣) الزخرفية بجامع القيروان نشأت التوريقات الأندلسية التى تتجلى بأروع صورها فـى جامع قرطبة .

كما تميز المسجد الجامع فى القيروان بوجود قبتين فيه الأولى فى أعلـى المحراب والثانية على باب البهو ، وقد تأثرت بهذا النظام الجوامع التونسيـة مثل جامع الزيتونة وجامع قرطبة (٤) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ ـ توفيق حمد عبد الجواد : تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

(٢) مانويل مورينو : الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع والسيـد عبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ٧٠ .

(٣) التوريق : عبارة عن زخرفة نباتية متداخلة . انظر مانويل مورينو : المرجع السابق ص ٤٩٠ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ وأيضا ص ٤٣٢ .

وفى خلال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى أسس فى بجانة بالمرية مسجد به قبة (Dome) قائمة على عقود تتكئ على عمد كما هو الحال فى مسجدى القيروان وتونس ، كما تزينه زخارف بارزة [١] . وقد أدى تعظيم أهل المغرب والأندلس لجامع قرطبة الى أن أصبح مثالا معماريا لمساجد المغرب والأندلس [٢] .

كما نجد أن العقود التى على شكل حدوة الفرس [٣] والتى أصبحت منذ انشاء المسجد الجامع فى قرطبة النموذج الأصيل لضروب العمارة الأندلسية . وقد انتشر هذا النوع من العقود كتأثير أندلسى وأصبح فى طراز العمارة المغربية [٤] .

أما فى مجال العلاقات العلمية فى تلك الفترة فقد كانت مزدهرة وتأثيراتها واضحة وجلية . نفى المغرب الأقصى أنشأ الادارسة (الأدارسة) مدينة فاس فى سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م وجعلوها عاصمة لهم وبذلك وضعوا فى جسم المغرب قلبا نابضا ما زال يخفق بالحياة الى اليوم .

---

(١) مانويل مورينو : المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢ م ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
(٣) عقود حدود الفرس : هو العقد الذى يتجاوز محيطة نصف الدائرة (مانويل مورينو : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .
(٤) مانويل مورينو : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

وقد استمدت هذه المدينة لباب حضارتها من قرطبة والقيروان وهما محط رجال الحضارة الاسلامية ومنبع الفكر العربي بالمغرب ، وقد قصدها كثير من الوافدين والمهاجرين للاستيطان بها مثل الأندلسيين الذين لجأوا الى المغرب بعد طرد الحكم الربضي لهم على أثر قمع ثورتهم ، فاتجهوا الى فاس ورحب بهم أميرها فأقاموا في الجانب الشرقي من المدينة والتي عرفت باسم عدوة الأندلسيين وكان معظم هؤلاء من أصحاب الحرف والصناعات فكان لهم دور كبير في النواحي الحضارية [1] .

كما قصد هذه المدينة أيضا مهاجرون من القيروان ونزلوا في الجانب الغربي منها والذي عرف باسم عدوة القرويين [2] . ومما يدل على ما لهذه المدينة من أهمية انه وفد اليها أيضا طائفة من الفرس وسكنوا بها في المكان المعروف الآن بعين علون أو علوا وهي بعدوة الأندلسيين [3] .

ومن المدن الهامة الأخرى في المغرب والتي اشتهرت بمكانتها العلمية مدينة تاهرت في المغرب الأوسط ، وهي عاصمة الدولة الرستمية وقد قصدها الكثير من العلماء والطلاب ، كما وجد فيها علماء اجلاء وشخصيات بارزة تنسب الى

---

(١) انظر الباب الخامس عند حديثي عن العلاقات الاجتماعية بين البلدين .

(٢) محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت التطواني : تاريخ الأدب المغربي ، ص ٧٥ .

(٣) محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت التطواني : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

الأندلس مثل سعود الأندلسي ، وعمران بن مروان الأندلسي ، وغيرهم[١] .

وفي المغرب الأدنى تألقت شهرة مدينة القيروان ، تلك المدينة التي قصدها الكثير من العلماء والدارسين للأخذ من حضارتها وثقافتها . ولم يقتصر دور هذه المدينة على التدريس لطلاب العلم الوافدين اليها ، بل لقد أنجبت الكثير من العلماء الذين كان لهم دور كبير في الحركة العلمية في ذلك الوقت . وقد ظهرت في مجالس التعليم في القيروان والاسكندرية والفسطاط ودمشق وبغداد ومكة والمدينة اسماء طلبة من الأندلس خرجوا أساسا لطلب العلم ولأداء فريضة الحج فجذبتهم المجالس العلمية في تلك المدن فقضوا وقتهم في الدراسة وطلب العلم ، كما كتبوا الكتب وحملوها معهم ، بالاضافة الى ما أمكنهم الحصول عليه من الكتب المكتوبة وعادوا بكل هذا الى بلادهم[٢] . وان دل هذا على شيء فهو يدل على مدى الصلة الوثيقة بين المغرب والأندلس في تلك الفترة .

وان النظرة الشاملة والفاحصة للعناصر البشرية في كلا البلدين لتظهر لنا مدى العلاقة القوية والمتينة بين المنطقتين ، فنجد أن الكثير من سكان الأندلس في مختلف مجالات الدولة لو بحثنا عن أصولهم نجدها تعود الى المغرب ، وبالمقابل

---

(١) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، طبع بدار احياء الكتب العربية الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م . ج ٣ ، ص. ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) محمد عبد الحميد عيسى : المرجع السابق ، ص ١٤ .

نجد مثل هذه العناصر فى المغرب والتى تعود الى أصل أندلسى . وليس فقط بل ان كثيرا من مدن المغرب والتى لازال بعضها موجودا الى اليوم قد قام بتأسيسها سكان من الأندلس مثل مدينة تنس ووهران ، فأما تنس فقد أسسها جماعة من البحريين الأندلسيين سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م وسكنها فريقان من أهل البيرة وأهل تدمير ، كما سكنها أيضا معهم فريق من البربر [١] . وأما وهران فقد تأسست سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م وأسسها محمد بن عون بن عبدوس وجماعة من الأندلسيين [٢].

وعندما قامت الدولة الأموية فى الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل ، اعتمدت على العنصر العربى ولكن اشتعال نار العصبية القبلية والتى أثارها زعماء القبائل والبطون المختلفة عليه دفعته الى الاسترابة بالعرب فمال الى اصطناع الموالى والبربر ولاسيما بربر العدوة فى المغرب ليكونوا عونا له يركن اليهم ويثق بهم .

وكانت هذه السياسة قاعدة سار عليها خلفاؤه وبلغت ذروتها فى عهد المنصور بن أبى عامر [٣] .

كما نلاحظ أيضا أن قرطبة منذ أن أصبحت عاصمة للأندلس سكنتها جموع غفيرة من العرب المهاجرين من المشرق ، بالاضافة الى البربر القادمين من المغرب [٤]

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٢ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ١٩٨ — احسان عباس : تاريخ الأدب الاندلسى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م ، ص ٢١ — دوزى : المرجع السابق ص ٢٣٥ .

(٤) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

وما ينطبق على قرطبة يمكن أن ينطبق أيضا على كثير من المدن الأندلسية .

هذا ومن المعروف أن الأمويين اعتمدوا فى حماية سواحلهم البحرية على جماعات بحرية أندلسية من المولدين والبربر والمستعربين انتشر أكثرهم فى بلدان الساحل الشرقى الاندلسى ومنه انتشروا فى بعض جهات الساحل الافريقى على شكل جاليات اندلسية متفرقة فى طنجة ووهران وتنس وبونة [1] وبجاية ومرسى الدجاج [2] .

وكان هؤلاء يترددون بسفنهم فى كل عام بين شواطئ المغرب والأندلس فيقضون فصل الشتاء فى المغرب والصيف فى الأندلس ولهؤلاء البحريين مغامرات ومحاولات فى المحيط الأطلسى (بحر الظلمات) لكشف غياهبه فى منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى [3] .

أما فى مجال التجارة ، فقد كانت العلاقات التجارية بين المغرب والأندلس نشطة وعلى نطاق واسع ، اذ حمل الاندلسيون الى المغرب بضائعهم سواء كانت صناعية أم زراعية بالاضافة الى العبيد الصقالبة الذين كانوا يبيعونهم فى تلك الأسواق . وبعد تصريف بضائعهم كان الأندلسيون يشترون بأثمانها ما يحتاجونه من الحبوب والفستق والعبيد السود ثم يعودون الى بلادهم [4] .

---

(١) بونة هى عنابة الحالية شرقى الجزائر .

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٩٨ .

(٣) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٤) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

ولذلك كانت حركة النقل التجارى نشطة بين الأندلس والمغرب خصوصا المغربيين الأوسط والأقصى ، فهذه المنطقة من المغرب الممتدة من بجاية الى سبتة تقابل المراسى الأندلسية وقريبة منها ، كما أن التجار الأندلسيين كانوا يقومون بزيارة المراسى المغربية باعداد كبيرة فلا يكاد مرسى من المراسى فى هذه المنطقة يخلو منهم . وكانت أثاتهم فيها الفترات متفاوتة تطول وتقصر ، ويقصدون فى خلالها الأسواق الرسمية التى تقام فى بعض المدن المغربية مثل أصيلة التى كانت تقام فيها أسواق جامعة ثلاث مرات فى السنة فى العيدين وفى عاشوراء . وأحيانا نجد هولاء التجار يختلطون بسكان المدينة ويدفعون لهم مبلغ معين من أرباحهم أو من مالهم لقاء حمايتهم لهم . كما كانت هذه الجاليات الأندلسية التجارية تقوم وحدها أحيانا ببناء مدن جديدة خاصة بها ، وأحيانا أخرى بالاشتراك مع بعض سكان البلاد ، ويظلون يقيمون فى تلك المدن طيلة مدة الأسواق التى تقام فيها . وقد أدى ذلك الأمر الى توسيع كثير من المدن المغربية وتعميرها ، كما أدى الى اختلاط الأندلسيين بالمغاربة عن طريق التصاهر فيما بينهم [1]

أما فى فصل الشتاء فقد بنى الأندلسيون مدنا خاصة بهم فى المغرب الأوسط فكانت ترسو فيها سفنهم طوال هذا الفصل ولا تخرج منها الا فى موسم الصيف . وبمرور الزمن بنى الأندلسيون حصونا أمام تلك المراسى وأقام بعضهم

---

(١) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

في تلك الحصون اقامة دائمة كما كان الحال في تنس ووهران . ومما ساعد الأندلسيون على اقامة هذه المراسى والحصون قربها من سواحل الأندلس وتوفر الحماية وكذلك بسبب العلاقة الودية بين أمراء هذه المناطق المغربية وأمراء الأندلس (١) .

كما اتسمت العلاقات التجارية بين الأندلس والدولة المدرارية بسمات خاصة ، فالدولة المدرارية كانت تقع على الطريق الذى يؤدى الى بلاد السودان وغانا ، وهى بحكم هذا المركز كانت تقوم بدور الوسيط التجارى فى التبادل بين تجارة المغرب والأندلس من جهة وتجارة غانا وسواد افريقية من جهة أخرى . ففى سجلماسة كانت تتم عملية مبادلة الملح المرتفع الأسعار فى بلاد السودان وقطن الأندلس بالذهب الافريقى مما ترتب عليه ازدهار الأعمال التجارية فى سجلماسة بحيث أصبح التعامل بالصكوك بكميات كبيرة من الأموال شيئا شائعا ومعروفا (٢) .

ان العامل الرئيسى فى هذه العلاقات الوثيقة بين المغرب والأندلس فى مختلف المجالات — كما سبق أن أوضحت — انما يرجع الى وجود جمهور كبير من البربر فى الأندلس ، فنحن نعرف أن معظم الجيش الاسلامى الذى عبر المضيق لفتح الأندلس كان من البربر الذين استقروا فيها ، كما تلا ذلك هجرة كثير من القبائل البربرية الى الأندلس ، وهؤلاء البربر جميعا اختلطوا بالأندلسيين

---

(١) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٥ .

(٢) خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٧٨ .

وتزاوجوا معهم . وكان أغلب هؤلاء البربر من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ولا يوجد واحد منهم الا ونراه لا يزال يحن لقبيلته ويتحمس لها . فالمغرب وطن أجدادهم والدماء التى تجرى فى عروقهم تربطهم به وتكون الحب العميق له فى قلوبهم ، فقوة الدماء البربرية ورابطة الدين الاسلامى والمصالح المشتركة بين المغربين الأوسط والأقصى فى عهد الرستميين والأدارسة والعدو المشترك لهم وللأمويين وهم العباسيون ، هو العامل الرئيسى الذى كاد أن يجعل من المغرب والأندلس فى العصور الاسلامية بلدا واحدا [1]

---

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

الفصل الأول

سياسة الفاطميين إزاء الاندلس

١ - أطماع الفاطميين في بلاد الأندلس.

٢ - محاولات الفاطميين نشر المذهب الشيعي في بلاد الأندلس.

١ ـ أطمـاع الفاطميين فى بلاد الأندلـس

أدى قيام الدولة الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب فى وسط يدين بالاسلام على مذهب الامام مالك ، ومحاولتها فرض مذهبها بالقوة والتهديد تارة واللين والاغراء تارة أخرى على سكانه ، الى جعل هذه البلاد طيئة بالثورات وحركات التمرد والعصيان ضد الفاطميين .

كانت قبيلة كتامة عماد الدولة الفاطمية ، فقد حقق رجالها الانتصارات التى أدت الى نجاح الدعوة وقيام الدولة ، ومن ثم كانت سياسة عبيد الله المهدى فى مكافأة قبيلة كتامة باغداقه الأموال عليها ، وتوليد بعض رجالها امارة بعض المدن . الا أن عبيد الله المهدى سواء عن قصد أو عن غير قصد شجع رجال كتامة على الأخذ بنصيبهم من الحياة الدنيا وترك حياة البداوة والخشونة والأخذ بحياة الترف ، وكانت هذه السياسة ازاء قبيلة كتامة نقطة الخلاف بين عبيد الله المهدى وأبى عبيد الله الشيعى [1] . اذ أن أبا عبد الله الشيعى كان يرى المحافظة على الروح العسكرية لهذه القبيلة بابقائهم على ما هم عليه من حياة البداوة وبذلك يحمى الدولة الفاطمية الفتية من خطر انغماس الكتاميين فى مباهج الحياة التى تميت فيهم الروح العسكرية ، وتثير فيهم الخلافات

---

(١) هو داعى الفاطميين فى بلاد المغرب . انظر دوره فى تأسيس دولتهم فى كتاب السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٩٤ ـ ٦٠٠ .

والمنازعات التى تفرقهم ٠ وبالتالى يتقاعسون عن نصرة الدولة وهى ما تزال فى المرحلة الأولى من حياتها ٠

فقد أوضح أبو عبد الله الشيعى لعبيد الله المهدى أن ما فعله مع كتامة افسادا لهم ، اذ قال له :

" يا مولانا ان كتامة قوم قد قومتهم بتقويم واجريتهم على ترتيب وتعليم وتم لى منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت ٠٠٠ وهذا الذى فعلته أنت بهم من اعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال وما أوتهم به من اللباس والحلى فساد لهم للخروج من عادتهم[1] " ٠

واستاء عبيد الله المهدى من جرأة أبى عبد الله الشيعى واستمر فى سياسته هذه التى كان يرجو من ورائها استرضاء هذه القبيلة نظرا لما أخذه من أموالها ورفضه تسليمها لهم ٠ كما أنه أهمل قلعتهم ايكجان وجرد منطقتهم من خيرة شبابها وفرقهم فى البلاد ، ولم يبق فى كتامة الا الشيوخ والأطفال ٠ ولذلك تابع عبيد الله المهدى سياسته فى اغداق الأموال عليهم وتشجيعهم على الأخذ بمباهج الحياة ليصرف أنظارهم عن هدفه الحقيقى وليجعلهم دائما تحت سيطرته ٠ وشعر أبناء كتامة باهمال عبيد الله المهدى لمواطنهم وأخذه الأموالهم ٠ فبدأت حركة المقاومة ضده ، فدفع زعماء كتامة الموالين له بالتصدى لهم ومحاربتهم ، وقد نجحت سياسته تلك ٠

---

(١) عادلة على الحمد : قيام الدولة الفاطمية فى بلاد افريقية والمغرب ، دار ومطابع المستقبل ، ١٩٨٠م ، ص٢٣٠ (نقلا عن القاضى النعمان : الافتتاح ص ٢٦٠ ٠

كما قام عبيد الله المهدى بالحد من نفوذ أبى عبد الله الشيعى ، فلم يعهد اليه بأى منصب فى القضاء أو فى قيادة الجيش أو بامامة الناس فى الصلاة مما أدى الى أغضاب ابى عبد الله الشيعى ، ودفع بأخيه أبى العباس الى اذكاء نار المقاومة بين أبناء كتامة ضد المهدى حيث قال لهم : " والله لا تركنا بناء بنيناه بأيدينا وأتعبنا فيه أبداننا وذهبت فيه أعمارنا يسكنه غيرنا ونحن من وراء أبوابه حتى يخل فى أعاليه أو تلحقه بأسافله " (١) .

ومما ضاعف سخط هؤلاء على عبيد الله المهدى تقريبه لبعض من زعماء كتامة على حساب البعض الآخر لكى يضمن سيطرته على زعمائها .

وقد عمل أبو العباس شقيق الداعى أبى عبد الله الشيعى على استغلال مشاعر السخط والاستياء هذه فى اثارة الناس ضد عبيد الله المهدى وتشكيكهم فيه . وقام بتنظيم حركة المقاومة ضده فى مكان يسمى الثور فى مدينة تنس (٢) ، كما دعاهم الى امتحانه ومعرفة العلاقات الموجودة فيه والتى تؤكد أنه المهدى ، وقال أبو العباس للناس : " ان الامام هو الذى يأتى بالآيات والمعجزات ويختم بخاتمة فى البلاط ، فاما هذا ويعنى عبيد الله فقد شككنا فيه " (٣) .

---

(١) عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ (نقلا عن القاضى النعمان الافتتاح ، ص ٢٦٨) .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٣) عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ (نقلا عن النويرى : مخطوطة نهاية الارب ـ ٢٦ / ٣٤) .

تنس : مدينة فى المغرب قرب مليانة بينها وبين البحر ميلان .

بعد هذا أخذ عبيد الله المهدى فى الاحتراس على نفسه وعمل على التخلص من زعماء هذه المؤامرة ، فأقدم على قتل أبى زاكى — تمام بن معارك الاجانسى — ثم قتل أبا عبد الله الشيعى وأخاه أبا العباس فى رقادة سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م[١]

وأثار مقتل أبى عبد الله الشيعى اتباعه من البربر ، فقاموا بفتنة كبيرة ضد عبيد الله المهدى وقدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطى واسمه كادو بن معارك وجعلوه اماما عليهم ، وكتبوا كتابا فيه شريعة زعموا أنها نزلت على أبى عبد الله الشيعى ، كما قالوا ان هذا الطفل هو المهدى المنتظر . وقد تمكن جيش عبيد الله المهدى فى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م من هزيمة كتامة وقبض على المارطى وأصحابه وقتلهم فى رقادة[٢] .

ثم قام عبيد الله المهدى بتوجيه حملات كثيرة الى بلاد البربر ليحكم سيطرته عليها وعلى المغرب ، وقد تطلب منه ذلك الكثير من الجهد والوقت ولم يتحقق ذلك الأمر له ولا لخلفائه فى بلاد المغرب بشكل قاطع نظرا لاحتفاظ الأمويين حكام الأندلس بقواعد عسكرية لهم فى المغرب ظلت شوكة فى جنب الدولة الفاطمية[٣] .

---

(١) ابن الآبار : الحلة السيراء ، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ م ، ج ١ ، ص ١٩٢ — المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة المثنى ببغداد ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٨ .

بدأ عبيد الله المهدى بتسيير جيوشه لحرب البربر ، ففى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م سير جيشا كبيرا الى لواتة فقتلوهم وغنموا أموالهم .

وفى سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م حارب جيش عبيد الله المهدى زناته وتمكن من قتل عدد كبير منهم كما استطاع دخول مدينة تاهرت — التى ثار أهلها على دواس وولوا عليهم محمد بن خزر الزناتى ثم خذلوه فتركهم — وولى عليهم عبيد الله المهدى مصالة بن حبوس(١) .

وقامت قبيلة كتامة بالاعتداء على أهل القيروان فثار أهل المدينة ضدهم وقتلوا ألف رجل منهم وعمل أحمد بن أبى خنزير والى القيروان على تهدئة الناس بعد هذه الموقعة(٢) .

وفى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ثار أهل طرابلس على عبيد الله المهدى اذ أن عامل طرابلس ماقنون بن دبارة الاجانى أطلق أيدى كتامة على الناس فثاروا وقاموا بقتل كل من وجدوه من كتامة وهرب عامل المدينة ، وقام أهلها باغلاق الأبواب عليهم ، وسير عبيد الله المهدى اليهم جيشا كبيرا بقيادة ابنه أبى القاسم فما صدهم حتى طلبوا الأمان فوافق على ذلك(٣) .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ ، ومصالة بن حبوس هو أحد قواد عبيد الله المهدى .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص١٦٦ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ — ١٦٩ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ — ٦٠٤ .

وفى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م قام مصالة بن حبوس قائد عبيد الله المهدى بفتح نكور وقتل رئيسها سعيد بن صالح لرفضه الدخول فى طاعة الفاطميين [(١)] .

وفى سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م دخل مصالة بن حبوس مدينة نكور وهرب منها صالح بن سعيد ، ثم توجه مصالة الى فاس وحارب أميرها يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس وانتصر عليه ودخل المدينة [(٢)] وفى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م دخل مصالة بن حبوس مدينة سجلماسه وقتل واليها أحمد بن مدرار وولى مكانه المعتز بن محمد بن مدرار الذى كان مواليا للفاطميين [(٣)] .

وفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ثارت نفوسه [(٤)] على عبيد الله المهدى فسير اليهم جيشا بقيادة على بن سليمان استطاع أن يوقع بهم فى سنة ٣١١ هـ/ ٩٢٣ م [(٥)]

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م ، القسم الثالث ، ص ١٤٦ .

(٤) نفوسه احدى قبائل البربر التى تسكن الجبل الذى يعرف باسمها (جبل نفوسه) فى ولاية طرابلس بالجمهورية الليبيـة .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

وفى سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م سار صالة بن حبوس من تاهرت الي زناتة (١) وحارب أهلها وانتصر عليهم (٢) .

وفى سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م سار عبيد الله المهدى الى المغرب فسلك طريق القيروان ونزل الادريس ، ثم توجه الى باغاية (٣) ثم الى كتامة ثم الى جبل برزال وفتحه ثم توجه الى مدغرة ثم الى سوق ابراهيم (٤) .

وأرسل عبيد الله المهدى ابنه أبا القاسم غازيا ففر منه محمد بن خزر الزناتى وفتح بلد مزاته ومطماطة وهوارة وسائر الاباضية والصفرية ونواحى تاهرت قاعدة المغرب الأوسط الى ما وراءها ، ثم توجه الى الريف وفتح نكور ونازل صاحب جراوة وهو الحسن بن أبى العيش وضيق عليه ودوخ أقطار المغرب (٥) .

وفى سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م حارب أبو القاسم البربر ونزل ببرقجانة على حصنها أغزر وقاتل أهلها ونهب جيش أبى القاسم الحصن ، كما أمن أبو القاسم هوارة ولماية لانضمامهم للفاطميين ، ثم سار الى تاهرت ومنها الى

---

(١) زناتة احدى قبائل البربر فى المغرب .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٩ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٦ .

(٣) باغاية : مدينة كبيرة فى أقصى افريقية بين محانة وقسنطينة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان المجلد الاول ، ص ٣٢٥ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩١ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .. دار الكتب العلمية ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، م ٤ ، ص ٣٩ .

تاهفلت مناظرا لابن خزر ، وعاد بعدها الى طبنة ثم المهدية . ويقال ان سبب تحدث الناس بمبايعة عبيد الله المهدى لابنه أحمد المكنى بأبى على [1] .

فمن كل ما سبق نجد ان البربر الذين وعدوا بالعدل والمساواة ورفع ما لحقهم من مظالم أدركوا بعد قيام الدولة الفاطمية ان ما وعدوا به كان سرابا وليس له وجود . وبالاضافة الى البدع التى أحدثها عبيد الله المهدى فى الدين من سب لكبار الصحابة وقيامه بالتبديل والتغيير فى بعض الشعائر الدينية المتبعة عند أهل السنة . لجأ الفاطميون الى فرض سياسة مالية متعسفة ، واشتطوا فى جمع الضرائب وتنويعها ، حتى لقد فرضوا على جميع الحجاج ان يمروا بمدينة المهدية لدفع ضريبة الحج [2] . كما أن اقدام عبيد الله المهدى على قتل مؤسس دولته أبى عبد الله الشيعى كان له أسوأ الأثر فى نفوس البربر . وجعلهم يقومون بالثورات ضده وضد دولته .

واذا كان عبيد الله المهدى قد نجح فى القضاء على هذه الثورات واستخدم القوة فى توطيد دولته فهل سيستمر هذا الوضع فى عهد خلفائه ؟

بالطبع لا .. فقد ظهرت أشد وأقوى الثورات ضد الدولة الفاطمية ألا وهى ثورة أبى يزيد بن مخلد صاحب الحمار ، والتى شغلت عهد ابنه أبى القاسم

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩-١٦٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ .

القائم بأمر الله والى أن استطاع حفيده المنصور الفاطمى القضاء عليها سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م [1] .

ان كل هذه الثورات أكدت لعبيد الله المهدى أن المغرب مكان غير صالح لاستمرار دولته ، ولذلك قام ببناء المهدية [2] ليعتصم بها وتكون حصنا له ثم أخذ يفكر فى فتح الأندلس أو مصر لنقل الخلافة الفاطمية اليها [3] .

ويبرز هنا سؤال مهم وهو :

هل فعلا كان الفاطميون يريدون نقل مقر خلافتهم الى بلاد الأندلس بعد فتحها ؟ وان ما حدث بعد هذا من الاحتكاكات السياسية والحربية بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس كان انعكاسا لهذه الفكرة . أم أن الفاطميين كانوا يتجهون بأبصارهم الى مكان آخر يستطيعون عن طريقه تحقيق أطماعهم ؟

للاجابة على ذلك أقول ان الدولة الفاطمية دولة قامت على أساس مذهبى يختلف عما تعارف عليه أهل السنة والجماعة ، وان هدفهم الأساسى بعد نجاح قيام دولتهم فى بلاد المغرب هو توحيد العالم الاسلامى فى ظل خلافتهم ونشر

---

(١) عن هذه الثورة انظر الفصل الثالث ص ١٩٢

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٣ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٣٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ ـ ٦٠٨ .

المذهب الشيعى باعتبارهم أصحاب الحق فى خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم أى ان تطلعهم كان الى المشرق ، وبالذات الى الحرمين الشريفين لأن هذا سيتيح لهم تحقيق هدفهم السياسى والمذهبى باعتبارهم أصحاب السيادة على الحرمين ، وكانت أحوال مصر بصفة خاصة وأحوال الدولة العباسية بصفة عامة تساعدهم على تحقيق هذا الهدف .

واذا سلمنا بما يقوله الكتاب المحدثون من أن الفاطميين كانوا يريدون فتح الأندلس لنقل مقر الخلافة اليها . فهل كان ذلك سيساعدهم فى تحقيق الثقل السياسى والمذهبى الذى يمكنهم من توحيد العالم الاسلامى فى ظل خلافتهم ؟

وبالطبع فالاجابة لا ... وهذا راجع الى أن فتح الأندلس ونقل مقر الخلافة الفاطمية اليها لن يساعدهم على تحقيق وحدة العالم الاسلامى فى ظل خلافتهم [1] التى كانوا يرونها الخلافة الشرعية الجديرة بحكم المسلمين على أساس انهم أصحاب الحق فى ميراث الرسول صلى الله عليه وسلم [2] وربما كان سيتحقق لهم من فتح الأندلس القضاء على الأمويين وعلى خلافتهم بها ، ولكن كان ذلك سيبعدهم عن تحقيق هدفهم الرئيسى الذى كانت عوامل نجاح تحقيقه أمرا يلوح فى الأفق بسبب سوء أحوال مصر خاصة والدولة العباسية عامة .

---

(١) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : المعز لدين الله ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م ، ص ٢٩١ .

(٢) سعد زغلول عبدالحميد : فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، مجلة كلية الآداب والتربية ، بنغازى ، المجلد الأول ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م ، ص ٢١٩ .

والى جانب ما سبق فان الدولة الفاطمية لم تكن لتغزو بلدا توفرت له دعائم القوة ، وخاصة خلال عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر أقوى حكام الأمويين في الأندلس .

وعلى الرغم من نجاح الفاطميين في اقامة دولتهم في بلاد المغرب الا أنهم فشلوا في توطيد نفوذهم وفرض سيطرتهم الكاملة على المغرب كله ، وهذا راجع الى اتباع الفاطميين لسياسة ماليه جائرة مع الشعب بسبب حاجتهم الى الأموال ووجود عناصر معادية لهم من البربر أنفسهم الذين لم يجدوا العدل والمساواة التي وعدوا بها . هذا بالاضافة الى أن ما قام به أبو عبدالله الشيعي من التشكيك في صحة مهدية الخليفة عبيد الله المهدي عندما شعر أنه يريد التخلص منه ثم ما تلا ذلك من اقدام عبدالله المهدي على قتل أبي عبدالله الشيعي قد أدى الى قيام الثورات ضد الفاطميين في كل مكان والتي كادت تقضي على وجودهم في المغرب في وقت من الأوقات .

كما أن الفاطميين الى جانب ذلك لم ينجحوا في القضاء على عناصر التفكك والتجزئة السياسية والمذهبية التي سادت المغرب . فامارة برغواطة التي عرفت بمروقها عن الدين الاسلامي ظلت قائمة الى أن استطاع المرابطون القضاء عليها في أواسط القرن الخامس الهجري (1)

---

(١) تشمل هذه الدولة المنطقة الممتدة على ساحل المحيط الأندلسي من الرباط الى ما وراء الدار البيضاء حتى مصب وادي أم الربيع . ويعود تأسيسها الى أوائل الربع الثاني من القرن الثاني الهجري وقامت على مذهب الخوارج الصفرية عقب ثورة ميسرة المطغري على الخلافة الأموية سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩ م فقد استطاع أحد أتباع ميسرة وهو طريف ان يستميل اليه أهل المنطقة فقدموه عليهم وأصبحت شالة عاصمة لهم أما أصل طريف هذا فيقال انه بربري من (=)

وزعماء الدولة المدرارية لم ينقرض وجودهم فى سجلماسة بعد دخول أبى عبد الله الشيعى اليها سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ، وقتله اليسع بن ميمون بن مدرار الملقب بالمنتصر ، اذ أنه بعد خروجه قام أهلها وقتلوا عامل الفاطميين وبايعوا الفتح ابن الأمير مدرار وبعده تولى أخوه الحكم .

واذا كان الفاطميون عادوا واستولوا عليها سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م وأنها ظلت فى أيديهم بضع سنوات ، فقد نجح أحد أفراد المدراريين سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م ، وهو محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار الذى تلقب بالشاكر لله فى حكمها ، وظل حاكما لسجلماسة حتى استولى عليها جوهر قائد الخليفة المعتز لدين الله الفاطمى وقبض عليه وسجنه ، وبوفاته سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م

(=) قبيلة مصمودة ويقول البعض أنه من يهودى الأندلس من وادى برباط وأن كلمة برغواطة هى تحريف لبرباط وهو المكان الذى ينسب اليه طريف هذا وحارب الادارسة هذه الامارة واستطاعوا انتزاع شمال المغرب كله منها ومنطقة الهبط أى السهول الممتدة جنوبى الريف حتى حوض نهر سبو وكذلك منطقة ريف تامسنا الممتدة من وادى سبو الى وادى أم الربيع ومع هذا ظلت قائمة فى بطن جبال الريف معتمدة على جماعات الذنابقة وظلت تهدد شمال المغرب الأقصى بالغزو . انظر عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ١٤٣ — خير الله طلفاح : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ . انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية — مادة برغواطة ، ج ٣ ، ص ٥٥٠ — ٥٥٢ .

وهو سجين الفاطميين انقرض آل مدرار امراء سجلماسة [1] .

كما لم يستطع الفاطميون القضاء التام على الرستميين وعلى مذهبهم الاباضى حقيقة استطاع أبوعبدالله الشيعى دخول تاهرت وقتل اليقظان بن أبى اليقظان ومن ظفر به معه من بنى رستم ، واستباح أموالهم وتوجه الى مكتبتهم المعصومة وأخذ ما وجده بها من كتب الرياضيات والصنائع والفنون وأحرق ما عدا ذلك وقضى بهذا على الدولة الرستمية [2] الا أن الكثير من أهل تاهرت من الأباضية الرستميين

---

(١) تأسست الدولة المدرارية سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م فى سجلماسة وهى قاعدة منطقة تافيلالت الحالية على الحافة الجنوبية للصحراء بالمغرب ، ويعتبر اليسع ابن أبى القاسم بن المدرار (١٧٤ ـ ٢٠٨هـ / ٧٩٠ ـ ٨٢٣ م) المؤسس الحقيقى لدولة بنى واسول المعروفة بدولة بنى مدرار . تتابع الحكام على عرش هذه الدولة بعد وفاة اليسع الى أن تولى حفيده اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن سمعون بن مدلان المكناسى فى صفر سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣ م وتلقب بالمنتصر على اسم جده وهو الذى قام بسجن عبيد الله المهدى عند ما وصل اليه أمر الخليفة العباسى المقتضد بالله بالقبض عليه . وقد استطاع أبوعبد الله الشيعى دخول سجلماسة واخراج عبيد الله من سجنه وظفر اليسع وقتله سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ومع هذا ظلت هذه الدولة قائمة الى أن قبض جوهر قائد الخليفة المعتز الفاطمى على آخر أمرائها وهو محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار وسجنه وبوفاته فى سجن الفاطميين سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م انقرض بنو مدرار من سجلماسة . انظر السلاوى الاستقصا ، تحقيق وتعليق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م ، ج ١ ، ص ١٢٤ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٧ ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٩ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤ .

(٢) الدولة الرستمية دولة أباضية وسميت بذلك نسبة الى فرقة خارجية تنسب الى داعية هو عبد الله بن اباض المرى التميمى (فى العراق) وكان يدعو الى اقامة دولة اسلامية على مبدأ العدل والمساواة وعلى مبدأ اختيار الخلفاء بالشورى واتجهوا الى المغرب رغبة فى انشاء هذه الدولة نتيجة لضغوط الأمويين (=)

فروا الى جبل أوراس وجبل بنى راشد والى واحة ورجلان فى الصحراء والى جبـــل نفوسة والى جزيرة جربة[1] .

وقد حاول أبو يزيد بن مخلد (صاحب الحمار) أن يعيد انشاء الدولـــة الأباضية على مذهب النكارية الا أنه فشل فى ذلك . وأما من فر من الأباضيـــة الرستميين الى ورجلان فقد أقاموا فيها الى أن قدمت جيوش المرابطين فهاجـــروا الى مـزاب ، وحولوا الأقاليم الصحراوية الى واحات خضراء ولازال سكان اقلـــيم مزاب أباضيـة حتى اليوم[2] .

(=) والعباسيين واستخدامهم القوة فى القضاء على الخارجين ثم السخط الـــذى كان يعم المغرب ضد هاتين الدولتين ، فاقبل البربر على دعوتهم وتمـــت مبايعة أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى اليمنى بالامامة وأعلـــن قيام الدولة الأباضية فى موضع يعرف باسم صياد غربى طرابلس فى محـــرم سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ثم استولى على طرابلس واتخذها مقرا له . وامتدت حدودها من برقة شمالا الى القيروان غربا والى فـزان جنوبا وأمام خطـــر الأباضية فى المغرب أعد الخليفة المنصور العباسى جيشا هزم جيش الأباضية فى تاورغا سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م وكان عبد الرحمن بن رستم قاضى أبى الخطاب يستعد لنجدة أبى الخطاب فلما علم بهزيمته آثر الانسحاب من المغـــرب الأدنى الى المغرب الأوسط وعمل على تأسيس دولة أباضية على غرار دولـــة أبى الخطاب ــ انظر السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ــ ٥٣٨ .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٦٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ ــ ٥٤٧ ، ٥٦٧ ــ ٥٦٩ ــ محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

مذهب النكارية : هم الفرقة اتباع يزيد بن فندين الذين انكروا امامة عبد الوهاب بن رستم .

أما بالنسبة للدولة الادريسية التى أسسها ادريس الأول سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م (١) وعاصمتها فاس فقد كانت تمثل طلائع حكم البيت العلوى فى بلاد المغرب وكانت العامل الأساسى فى نشر محبة آل بيت على بن أبى طالب بين البربر .

وبعد وفاة ادريس الأول مؤسس هذه الدولة تولى بعده ابنه ادريس الثانى وعند وفاته عهد بالأمر الى ابنه محمد الذى قسم المغرب بين اخوته باشارة من جدته (٢) .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص٨٣ - ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ص ٢٠ السلاوى الاستقصا ، ج ١ ، ص ١٥٥ - ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ف . كورنيطى ، م صبيح ، كلية الآداب بالرباط ، مدريد ، ١٩٧٩م ، ج ٥ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٢ .

(٢) اصبح توزيع الادارسة فى المدن كالآتى : القاسم : فى سبتة وطنجة وقلعة حجر النسر وبسكرة وبيطاون وما يلحق بهذه المدن من بلاد وقبائل .
عمر : فى بلاد صنهاجة الهبط وغمارة .
داود : هوارة وتسول وتازى وما بينهما من القبائل مكناسة وغياثة .
عبدالله : اغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى .
يحيى : اصيلا والعرائش وبلاد زواغة .
عيسى : بشالة وسلا وآزمور وتامسنا وبرغواطة وما الى ذلك .
أحمد : مكناسة وتادلا وما بينهما من بلاد فازاز .
حمزة : على وليلى وأعمالها .
وابقى تلمسان لابن عمه سليمان بن عبدالله . أما محمد نفسه فقد اكتفى بحاضرته فاس وكان هذا التقسيم أحد أسباب انهيار هذه الدولة . انظر السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

وفى عهد يحيى بن ادريس بن عمر الذى شمل بسلطته عموم المغرب الأقصى توطد نفوذ الفاطميين بالمغرب وطمعوا فى بسط نفوذهم على المغرب كله واستعانـــوا بمصالة بن حبوس صاحب تاهرت وعجز يحيى عن مقاومتهم وتنازل لهم عن الأمـر فأقره مصالة على فاس وولى موسى بن أبى العافية على باقى المغرب •

وكاد موسى ليحيى حتى نفاه الى اصيلا [1] ثم عمد الى الاستيلاء علـــى جميع المغرب الأقصى واجلى آل ادريس الى حجر النسر وأخذ يعمل على استئصالهم حتى لامه البربر على ذلك فتركهم وخلف قائده المكن أبا فتح [2] لمراقبتهم •

وفى بلاد الريف لم تتمتع دولة الأدارسة بالاستقلال الذى تمتعت به فى فاس فقد كانت تتأرجح بين سيطرة الفاطميين فى المغرب وسيطرة الأمويين فى الأندلـس وأخيرا زالت دولة الأدارسة على يد جيوش المنصور بن أبى عامر فى عهد الحسن بن قنون سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤ م ، وقد أمر المنصور بن أبى عامر بقتل الحسن بـن قنون وهو فى طريقه الى قرطبة فى السنة التالية وتشرد الباقون من بنيه فـــــى

---

(١) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، م ١ ، ص ١١٦ — حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٦٤ — ١٦٥ •

أصيلا : بلد بقرب طنجة ••• وهى مدينة كبيرة قديمة عامرة آهلة كثـيرة الخير والخصب وكان بها موسى مقصود • انظر الحميرى : الروض المعطـار حققه احسان عباس ، مكتبة لبنان — بيروت ، ١٩٧٥ م ، ص ٤٢ •

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثنى بغداد ، ص ١٢٧ — ١٢٨ — نشر ليفى بروفنسال : نخب جامعة لأخبار المغـرب الأقصى ، مطبوعات لاروز ، باريس ، ١٩٤٨ م ، ص ٢٧ •

المغرب [١] .

أما دولة الأغالبة هذه الدولة السنية والتى أنشأها ابراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م [٢] ، بموافقة الرشيد لتكون حاجزا بين العباسيين والأدارسة بعد أن ضعف نفوذ العباسيين فى بلاد المغرب وخشوا استفحال نفوذ الأدارسة فى المغرب وامتداده الى مصر [٣] فقد دام حكمها لبلاد افريقية مائة واثنتى عشرة سنة هجرية وأياما (١٨٤ – ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ – ٩٠٨ م) [٤] . ومع امتداد حكم هذه الدولة لبلاد افريقية يلاحظ أن حكامها لم يتحولوا الى أسرة افريقية لأنهم لم يربطوا أنفسهم بأهل البلاد معتقدين أن تفويض العباسيين لهم كفيل باستمرار حكمهم وقد عمد حكام الأغالبة الى اتباع سياسة القسوة والعنف مع البربر وقضوا على اعداد كبيرة منهم فى مذبحة عظيمة قرب مدينة باجه ، هذا بالاضافة الى مذبحة بلزمة فى افريقية [٥] ، فأصبحت البلاد بهذا بركانا يغلى ضد بنى الأغلب ، وهيأ ذلك السكان وخاصة البربر الى مناصرة أبى عبدالله الشيعى فى

---

(١) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٤٤ . هناك نقطة هامة فيما يتعلق بالدولة الادريسية وهى أن هذه الدولة لم تكن دولة شيعية تدين بالمذهب الشيعى بل دولة علوية ومذهبها هو المذهب المالكى عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٢ – عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ .

(٤) عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٥) عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ١٤٧ – ١٤٩ .

دعوته ومحاربته للأغالبة فسقطت دولتهم في يده سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م [1] .

وبالاضافة الى الدول السابقة نجد أيضا في ستبة بنو عصام الذين استقلوا بها منذ سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م وظلوا بها الى أن استولى عبد الرحمن الناصر عليها منهم [2] .

أما نكور فنجد فيها بني صالح وهم من نسل صالح بن منصور الذي بني حفيدة سعيد مدينة نكور في الشمال ، وقد اقتطع صالح ناحية تمسامان وأقره عليها الوليد بن عبد الملك ، حتى اذا بنيت مدينة نكور أصبحت مركزا للدعاية الاسلامية التي شملت قبائل غمارة . بعد قيام دولة الفاطميين بافريقية تمكن مصالة بن حبوس من دخول نكور سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م وهرب من بقي من بني صالح الى الأندلس . وقتل سعيد وكانت بينهم وبين الشيعة حروب كثيرة [3] .

---

(١) تتكون دولة الأغالبة من طرابلس وافريقية وجزءا من المغرب الأوسط هو اقليم الزاب وعاصمتها القيروان ثم رقادة التي سماها الأغالبة العباسية تعبيرا عن ولائهم للعباسيين . عن دولة الأغالبة انظر : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٧ – ابن الأبار : الحلة السيراء ج ١ ، ص ١٩٤ – ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٩٨ – أبو العرب القيرواني : طبقات علماء افريقية وتونس ، ص ١٢ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٤٢ – ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٦ – المسعودي : مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، م ١ ، ص ١١٩ .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ – ١٨٠ (انظر خريطة رقم (٢))

اذ يمكن القول ان فتح الفاطميين للأندلس كان يتطلب منهم قبل أن يقدموا عليه أن يعملوا أولا على تحقيق سيادتهم التامة والقضاء على كافة المعارضة لهم سياسيا ومذهبيا في بلاد المغرب وبالذات في المغرب الأقصى وهذا ما تعذر عليهم تحقيقه • وذلك ما حولهم بالاضافة الى ما أدركوه من قلة موارد بلاد المغرب الى أن ينظروا اليها على أنها مجرد قاعدة ينطلقون منها نحو الشرق الى مصر لتحقيق هدفهم الرئيسي [1] وتدعيما لذلك نورد ما قاله جورج مارسيه في هذا الصدد : " وهكذا لم تكن افريقية سوى مرحلة أولى أو قاعدة عمليات عبيد الله المهدى الذى كانت تجذبه هيبة الشرق ، وما كاد يتزعم بلاد البربر حتى أرسل جيشا للاستيلاء على مصر ولكن هذه الآمال لم تتحقق الا بعد ستين عاما •

وفيما بين عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م الذى تولى فيه عبيد الله المهدى حكم القيروان ورقادة وعام ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م الذى دخل فيه الخليفة المعز مدينة القاهرة الجديدة مرت بالدولة أوقات حرجة وكان من الصعب حتى التمسك ببلاد البربر فالفاطميون يبدون غرباء عليهم فنظرتهم تبدو مستلهمة من الشرق وخشونة رجال القبائل الجبلية مساعديهم الأوائل كانت سببا في عدم كسب ود المدنيين في افريقيا " [2] •

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد : فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، مجلد كلية الآداب والتربية ، بنغازى ، المجلد الأول ، ص ٢٢٢ •

(2) Geoges Marcais, Manuel deart musulman, 1. L'Architecture.(1)
en Tunisie, Algerie, Maroc,Espange, Sicile.Paris,
1926, P 96.

لقد حرص الفاطميون منذ تكوين دولتهم على تأكيد الثقل الديني لمذهبهم بنقل مركز خلافتهم الى مصر ، ومن مصر يتطلعون الى بسط نفوذهم على الحرمين الشريفين والقضاء على الدولة العباسية وتحقيق وحدة العالم الاسلامي في ظل خلافتهم ، وتحقيق كل ذلك لا يمكن حدوثه وهم في داخل الأندلس ، اذ يستلزم تحقيق ذلك الهدف الكبير أن يكونوا في قلب العالم الاسلامي (١).

وعلى الرغم من نجاح عبد الرحمن الناصر في توحيد الأندلس وتوطيد نفوذ الأمويين (٢) بها الا أن عوامل التفكك في الأندلس كانت كامنة فيه ، هذه العوامل التي تتمثل في البيئة الأندلسية وفي التكوين العنصري للأندلسيين .
كما أن عبد الرحمن الناصر في نفس الوقت كان يدرك مدى خطورة تسلل الدعوة الشيعية

---

(١) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥ م ، ج ٤ ، ص ٦٠ .

(٢) في أواخر عصر الامارة الأموية تهاوت سلطة امراء بني أمية وانقسمت الأندلس الى امارات مستقلة فيما يشبه عصر ملوك الطوائف . وقام الصراع بين هذه الامارات بعضها البعض وبين الحكومة الأموية في قرطبة . وقد نجح عبد الرحمن الناصر في القضاء على هذه الحركات الانفصالية التي كان من أشهرها ثورة بني حفصون وثورة أهل طليطلة ، وثورة بني مزان الجليقي بغربي الأندلس ،وثورات بني قس ، وبني الطويل ، وبني تجيب بالثغر الأعلى وبذلك تمكن من تحقيق وحدة الأندلس ، انظر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٥٣ ـ ٢٧٥ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٣٢٣ ـ ٣٤٣ ـ أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

الى الأندلس ، ومن هنا كان تلقبه بالخلافة لمقاومة هذا الخطر [1] .

وما من شك فى أن جمهرة الأندلسيين تعلقوا بالخلافة الأموية والتفوا حولها كرمز للعظمة الأندلسية ، ووجد عبدالرحمن الناصر فى الخلافة الأموية ما يدعم به نفوذه فى الأندلس وبخاصة بعد حملة التشهير التى قام بها العباسيون ضد الفاطميين وفى الطعن فى نسبهم [2] .

ولم يكن يخفى على عبدالرحمن الناصر أهمية المغرب الأقصى فى الدفاع عن الأندلس وفى صد أطماع الفاطميين عنه . وقد شجعه عدم نجاح الفاطميين فى تثبيت سيادتهم التامة على المغرب على العمل على تشجيع المناوئين والمعارضين للفاطميين الذين استجاب اليه الكثيرون منهم ، فكان يمدهم بما يعينهم على حرب الفاطميين ، وفى نفس الوقت كانوا يوافونه باخبار اعدائه الفاطميين مثال ذلك ما ذكره لنا ابن حيان فى المقتبس حيث أورد جزءا من الرسالة التى أرسلها موسى بن أبى العافية الى عبدالرحمن الناصر يعلمه فيها بوفاة عبيد الله المهدى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م وما حصل بعد وفاته [3]

---

(١) أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ـ المجلد الخامس ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م العدد (١ ـ ٢) ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ج ٦ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ أحمد شلبى : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

ونفس هذه السنة أيضا ورد لعبد الرحمن الناصر كتاب آخر من موسى بن أبى العافية يخبره فيه بانتصاره على الفاطميين فكان مما ذكره موسى فى رسالته لعبد الرحمن الناصر : " وأما ما أراد سيدى أمير المؤمنين ابقاه الله انهاءه اليه مما نحن فيه مع المشارقة أهلكهم الله فان اللعين أبا القاسم طاغوتهم بعث الينا غلامه ميسور الخصى وعفريته ابن أبى شحمة الكتامى وغيرهما من قواده فى كثف من شياطينه داعيا لمن حولنا من القبائل الى الدخول فى طاعته فحلوا فى البلاد وبثوا دعاتهم فتوقف الناس عنهم ولاذ البرابرة منهم بأوعارهم ومعاقلهم . فلما يئسوا منهم كاتبوا أهل مدينة فاس ولطفوا بهم ودعوهم الى الدخول فى طاعتهم وأعطوهم العهود المغلظة والايمان المؤكدة على تأمينهم وتقديمهم فاغتر بهم أميرهم محمد بن ثعلبة صاحب مدينة الأندلسيين وأحمد بن بكر صاحب مدينة القرويين[1] وقدما عليهم مع وجوه من رجالهما فلما صاروا بين يدى الخصى غدر بهم فأخذهم ، وأخذ جميع ما كان معهم من دواب وأسلحة فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توقفوا عنه وامتنعوا من ادخاله فنكب عنهم وصار الينا صامدا حتى نزل منا على مسافة ستة أميال فأقام فى محلته أربعة أيام يكاتبنا فلا نصغى اليه ولا نجيبه فمشى نحونا هو وأولئك القواد فى عدد عديد وقوة قوية وآلة تامة ضاق بهم الفضاء وقسموا عسكرهم فأتونا من ثلاثة طرق من جهة القبلة والغرب والشرق فوقعت الحرب بيننا من ضحوة النهار فاتصلت الى ما بعد العصر وضمونا الى الأوعار وكنا قد كمنا لهم كمينين ، فلما لصقوا بنا وقد طمعوا فينا خرج الكمين الواحد فأثر فيهم وصبروا له ثم ردفه الكمين الثانى فغلب صبرهم وولوا مدبرين ومنحنا الله اكتافهم فحكم السلاح عمله فيهم وأخذ مأخذه منهم فقتلنا

---

(١) يقصد هنا مدينة فاس .

منهم فى تلك الردة اثنين وعشرين ومائة قتيل وأخذنا عامة دوابهم الا ما أدركه العقر منها ورجعوا الى مناخهم بغيظهم لم ينالوا خيرا وكان ذلك يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة مضت من شوال منها .

ثم عاودونا يوم الجمعة بعده صباحا بجميع عدتهم ومن كان تخلف فى الأخبية منهم فرأينا عساكر عظيمة لا تسقيها المياه فثارونا بالحرب من غدوة الى وقت العصر فاستظهرنا عليهم ورد عنا هم ردعتين عظيمتين وقتلنا خلقا منهم وانصرفوا عشاء الى محلتهم فاسرين مغيظين ، فانصرفوا بعد ذلك عنا ولم يحاربونا الى أن انقلبوا على أدرباهم والحمد لله ..." (١) .

هذا ومن جهة أخرى كان يتعين على الفاطميين لتوطيد سيادتهم على بلاد المغرب أن يعملوا على ابعاد النفوذ الأموى عنه ، وذلك بارهاب أموى الأندلس عن طريق نشر الدعوة الشيعية هناك وارسال عيونهم وجواسيسهم اليه .

ويمكن القول أن سياسة الفاطميين تجاه الأندلس كانت تستهدف تقويض النفوذ الأموى فيها بنشر المذهب الشيعى بها ، وذلك تحقيقا لسياستهم فى بسط نفوذهم الكامل على المغرب الأقصى . وتحقيقا لسياستهم العامة فى نشر المذهب الشيعى فى كافة أرجاء العالم الاسلامى لتوحيده فى ظل خلافتهم .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .
انظر نص الرسالة فى المقتبس لابن حيان ، ج ٢ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ .

لذلك كانت سياسة كل من الفاطميين والأمويين تهدف الى جعل المغرب الأقصى خط دفاع لحماية الفاطميين من خطر الأمويين فى الأندلس ولحماية الأمويين فى الأندلس من خطر الفاطميين وخطر المذهب الشيعى • وقد أدت الظروف الداخلية فى كل من المغرب والأندلس الى وجود هذه السياسة المتماثلة ازاء كل منهما •

وبعد هذا الايضاح بماذا نفسر الاحتكاكات التى حدثت على الصعيد السياسى والحربى بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب ؟

الواقع ان هذه الاحتكاكات والصراعات السياسية والحربية انما كانت انعكاسا لشعور متبادل عند الطرفين وهو امتداد لشعور العداء القديم بين بنى هاشم وبنى أمية [١] فقد كان لدى الفاطميين احساس بالخوف من الأمويين وبخاصة من عبدالرحمن الناصر ، وكان عبدالرحمن الناصر يخشى من تحريضهم للثوار [٢] وانتشار مذهبهم بين الأندلسيين •

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقى وابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوى ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ١٩٧٨م ص ١٦٨ — عبدالمنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦م ، ص٢٤٢ـ٢٤٣ •

(٢) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٢٥ ـ محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م ، ص ١٨٠ •

ولهذا أخذ كل طرف يحاول بل ويعمل على اضعاف الطرف الآخر ليأمن جانبه . ولم يصل الأمر ان تطلع الفاطميين الى أن تكون الأندلس مقرا لخلافتهم ، بل كان كل نشاطهم وثقلهم موجها وبكل الحاح الى مصر منذ وقت مبكر ، ففى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م وجه عبيد الله المهدى حملة الى مصر بقيادة ابنه ابى القاسم خرجت من رقادة الى مصر ، فاستولت على الاسكندرية والفيوم وبعض الصعيد ، ولكن هذه الحملة فشلت بسبب سعى الخلافة العباسية الى توطيد سيطرتها على مصر بعد سقوط الدولة الطولونية [١] ، اذ أرسل الخليفة العباسى المقتدر بالله [٢] أكبر قواده الأتراك وهو مؤنس الفتى أو الخادم الذى نجح فى ارغام الفاطميين على الانسحاب [٣] .

ثم عاد عبيد الله المهدى وسير الى مصر فى سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م حملة أخرى بقيادة حباسة بن يوسف بطريق البحر فاستولت على الاسكندرية ثم سارت الى الفسطاط ولكن جيش مؤنس الخادم تمكن من هزيمتها فعاد حباسة الى المغرب [٤] .

---

(١) انظر : محمد حمدى المناوى : مصر فى ظل الاسلام ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) تولى الحكم من ٢٩٥ هـ حتى ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ – ٩٣٢ م

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧١ – ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٩٢ – عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٨ – ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٦ ، ص ١٤٩ .

وفى سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م جهز عبيد الله المهدى جيشا الى مصر بقيادة ابنه أبى القاسم الذى سار فى اسطول مكون من ثمانين مركبا ، واستولى على الاسكندرية سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م ثم على الجيزة والفيوم ، ولكن مؤنس الخادم عاد والتقى بالفاطميين قرب رشيد وهزمهم وأجبرهم على الانسحاب مرة ثانية [1] .

ورغم أن هذه المحاولات لفتح مصر قد باءت بالفشل فان عبيد الله المهدى كان مصمما على فتحها ، اذ تراه فى سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م وبعد أن اضطربت أمور العباسيين فى المشرق على أثر وفاة الخليفة العباسى المقتدر بالله وانقسام الأتراك على أنفسهم ، يعد حملة كبيرة وجهها الى مصر . وبعد مناوشات مع الاخشيديين [2] عقدت معاهدة صلح فى سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م ، ولكن لم يطل أمدها ، وحدثت وقائع بين الاخشيديين والمغاربة فى الجيزة وبلبيس ونجح محمد بن طغج فى هزيمة المغاربة سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م وأسر عددا كبيرا منهم [3]

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص١٨١ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص ٧١ ـ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٦١ .

(٢) الدولة الاخشيدية حكمت مصر من سنة (٣٢٣هـ حتى ٣٥٨هـ / ٩٣٤ ـ ٩٦٨م) ، انظر : محمد حمدى المناوى : مصر فى ظل الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ .

وأخيرا كان نجاح الفاطميين فى فتح مصر فى حملتهم الرابعة بقيادة جوهر الصقلى فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م(١).
ولتأكيد هذا الرأى اليك ما يقوله فى هذا الصدد ليفى بروفنسال : " علينا أن نعتقد أن عبدالرحمن الثالث ولد محظوظا سعيد الطالع فقد كان الشاب فى السنوات الأولى بعد تسلمه العرش خليفةللأمير عبدالله ، مثقلاً يومياً بألف وألف من المشكلات المتعلقة بأملاكه الخاصة ، فما الذى كان سيحدث بصدد ارثه المتورط بالفعل لو أن الفاطميين الظافرين بعد فتوحاتهم الخاطفة الافريقية كلها والمغرب قاطبة حتى ما وراء تاهرت قد عزموا على استغلال انتصارهم ومواصلة تقدمهم نحو المغرب دون التقاط أنفاسهم البتة ؟ فلو كان المغرب الأقصى قد سقط فى أيديهم دفعهم كل ذلك الى نقل الحرب الى الأندلس لخلع مثل الأسرة التى كانوا يضمرون لها الحقد كما يضمرونه للعباسيين سواء بسواء - والذين استحوذوا على الخلافة - والسلطة المؤقتة فى الشرق الاسلامى • لكن من حسن حظ اموى قرطبة أضحى الشرق هو الذى بدا أمام عينى عبيد الله كالفريسة التى كان من المحتم عاجلا اقتناصها •

فلم يكن الاستيلاء على القيروان سوى مرحلة أولى بالنسبة اليه من سلسلة من الفتوحات مخططة صوب الشرق أولاً فى الصحراء الليبية ثم فى مصر بعد ذلك" (٢)

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص٦٦ - ٦٨ •

(2) Levi Provencal : Historia de España, t.
(España Musulmana Madrid 1950, P. 307.
; Lapolitica Africanade Abdal Rahman III,
Al Andalus, Vol XI, Fasc, 2, 1946, P.358.

اذا كان نشاط الفاطميين الحقيقى موجها نحو مصر ، كما أن ظروفها السياسية كانت تتيح لهم ذلك •

أما الأندلس فلم تكن بالنسبة لهم المكان الذى يحقق أطماعهم ومشاريعهم الكبرى ، اذ كيف يسمع صوتهم منها وهى بعيدة عن قلب العالم الاسلامى وكيف يستطيعون منها السيطرة على أرجائه الواسعة وهم بعيدون عنه •

واذا كان الفاطميون فى نظر بعض الكتاب قد فكروا فى غزو الأندلس فقد تكون هذه الفكرة نابعة من ادراكهم لمدى الصلة الوثيقة بين المغرب والأندلس منذ القدم ومدى تأثير كل منهما فى الأخرى فعملوا على الاستفادة من هذه الحقيقة فى جعل المغرب الاسلامى كله خاضعا لهم [1] وليس لأن تكون الأندلس مقرا لخلافتهم ، فهذا شىء لم يكن واردا فى أذهانهم •

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٦٨ ــ
أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، المجلد الخامس ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، العدد (١ ــ ٢) ، ص ٢٠٥ •

محاولات الفاطميين نشر المذهب الشيعى فى بلاد الأندلس

منذ أن دخل الاسلام بلاد الأندلس وهى تدين به على مذهب السنة والجماعة ، كما كانت أموية النزعة ولذلك كان التشيع فيها ضعيفا فمنذ اقامة عبد الرحمن الداخل لدولته فى الأندلس وهو يضرب بيد من حديد على كل دعوة علوية أو عباسية . ولكن على الرغم من تعلق أهل الأندلس الشديد بالأمويين فقد وجدت بينهم بعض مراكز التشيع فى بعض البيوت العربية التى دخلت الأندلس ، وكانت تنزع نحو نصرة على بن أبى طالب وآله وظلت تتوارث هذه النزعة وكذلك كان الأمر فى بعض القبائل البربرية .

وسنرى من خلال هذا العرض لمحاولات المتشيعين فى الأندلس مدى ما حققته محاولاتهم من نجاح .

فمن المحاولات العربية نجد ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر وكان جده عمار من أخلص أنصار على بن أبى طالب ، فظل سعيد حاقدا على الأمويين واستغله يوسف بن عبد الرحمن الفهرى أمير الأندلس مع حرب عبد الرحمن الداخل ، ولكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح [1] .

---

(١) جده عمار كان من أشد أصحاب على اخلاصا له وتفانيا فى الدفاع عنه وقد قتل عمار فى صفين بأيدى الأمويين . ويجب علينا الا ننسى مدى الصلة الوثيقة بين المنازع الحزبية والعصبية القبلية المتوارثة فى هذه الفترة من حياة المسلمين فقد ظل عبد الله بن سعيد هذا معاديا للحزب الأموى فى الأندلس وقد استغل يوسف بن عبد الرحمن الفهرى أمير الاندلس هذه العداوة عند قدوم عبد الرحمن الداخل الى الأندلس فعهد الى الياسرى بقتاله لما كان يعرفه من الخصومة والثأر بين عائلتيهما . وانظر محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، المجلد الثانى العدد (٢٠١) ، ١٩٥٤ م ، ص ٩٧ .

ثم الثورة التى قام بها الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الخزرجى (١٦٥ هـ / ٧٨١ م) بسرقسطة وناصره فيها سليمان بن يقظان . ومن سلالة هذه الأسرة نجد الشاعر أبا بكر عبادة بن ماء السماء شاعر الحموديين والناطق بلسان الشيعة أيام ملوك الطوائف (١).

واذا كان التشيع منذ نشأته فى المشرق قد اعتمد على الموالى من الفرس خاصة ، فانه فى المغرب والأندلس اعتمد على البربر اذ وجد تربة خصبة بينهم بسبب سوء معاملة بعض ولاة العرب لهم . ومما دفع البربر فى الأندلس الى القيام بثوراتهم التى اتسمت بالتشيع ان العرب استأثروا دونهم بالسهول والوديان الخصبة ، ولم يتركوا لهم الا المناطق الهضبية الفقيرة التى كانت مرتعا خصبا لهذه الثورات .

ومن أهم الثورات البربرية الشيعية التى قامت فى الأندلس ثورة شقيا بن عبدالواحد المكناس والتى امتدت من عام ١٥١ حتى ١٦١ هـ / ٧٦٨ ـ ٧٧٧ م .

وشقيا معلم صبيان ادعى أنه من سلالة النبى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من ولد فاطمة والحسين ، وصادف أن أمه كانت تسمى فاطمة فادعى أنه فاطمى وتسمى بعبدالله بن محمد ، وأدى هذا الى انتشار دعوته وذيوعها بين البربر (٢) .

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ٩٧ .

(٢) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

وقد امتدت ثورته ما بين ماردة وقورية غربا الى ثغور وادى الحجارة وكونكة شرقا ، أى فى جميع الهضبة التى تتوسطشبه الجزيرة الايبيرية .

ولما توفرت القوة الكافية لهذا الدعى سار بمجموعة واستولى على شنتبرية وجعلها مركزه العام ، ثم استولى على ماردة ومدلين وعلى جميع المنطقة الواقعة حولها بين نهر التاجه ووادى يانه .

وقد طلب عبدالرحمن الداخل من والى طليطلة القضاء عليه ، فأرسل اليه جيشا بقيادة سليمان بن عثمان ، ولكن الدعى الفاطمى انتصر عليه وقتل القائد . واضطر عبدالرحمن الداخل للسير اليه سنة ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م واشتبك معه ومع هذا لم يظفر به لاحتمائه فى الجبال ، فعاد الى قرطبة وترك مولاه بدر ليواصل قتاله ، ثم خرج عبدالرحمن ثانية لقتاله فى سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م ولكنه لم يفلح أيضا فى القضاء عليه .

وفى العام التالى أرسل اليه مولاه عبيد الله بن عثمان ، فخرج اليه الدعى الفاطمى وبث الخلاف فى صفوف الجند واستمال اليه البربر وانتصر عليه وفر عبيد الله[1]

وهكذا فشلت جهود عبد الرحمن الداخل فى القضاء على ثورته فاضطر أن يلجأ الى الحيلة لتمزيق شمل الثوار ، فاستقدم اليه كبير البربر فى شرق الأندلس وهو هلال المديونى وأقره على ما بيده من الانحاء وعهد اليه بالولاية أيضا على المناطق التى استولى عليها الدعى الفاطمى واخذها منه .

(١) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ص ١٦٥ .

وقد نجحت هذه الحيلة اذ أدت الى تفريق أنصار الدعى الفاطمى فانسحب من شنت بريه واعتصم بالجبال وعبدالرحمن فى أثره ينكل بأنصاره [١] .

وفى سنة ١٥٩ هـ / ٧٧٥ م عاد عبدالرحمن الداخل لمطاردة الدعى الفاطمى ولكنه احتمى بالجبال وغزا عبدالرحمن الداخل قورية . وكان الدعى ما يزال يسيطر على شنت برية وماردة ، فأرسل اليه عبدالرحمن الداخل فى العام التالى حملة بقيادة تمام بن علقمة وعبيد الله بن عثمان ، ولقيا الدعى الا أنه تفوق عليهما ثم التجأ الى حصن شبطران قرب شنت برية فحاصره القائدان أشهرا دون فائدة ثم عادا الى قرطبة . وبعد ذهابهما خرج الدعى الى قرية العيون من أعمال شنت برية وهناك اغتاله أبو معن داود بن هلال وكنانة بن سعيد سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ – ٧٧٧ م [٢] وحمل رأسه الى عبدالرحمن الداخل .

وهكذا انتهت هذه الثورة ولكنها كانت قد كشفت عن مدى النجاح الذى يمكن أن تصيبه الدعوات الشيعية بين القبائل البربرية [٣] .

وفى نهاية القرن الثانى الهجرى أخذت الدعوات العلوية تلقى رواجا فى العالم الاسلامى ، فبعد أن استطاع ادريس وأخوه يحيى أن يفرا بعد انتصار القوات العباسية فى موقعة فخ سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م وينجح يحيى فى الاستيلاء على

---

(١) محمد عبدالله عنان : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٢) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(3) Levi Provencal : Histrória de Espana, t, IV. P.308.

الديلم شمال ايران ، وادريس على المغرب الأقصى ويكونان دولتين علويتين ،وجد هذا النجاح العلوى صداه فى الأندلس بين البربر ، فقاموا بالثورة بقيادة معلم آخر لم نعرف اسمه .

قام هذا المعلم بحركته فى شرق الأندلس سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م وكان يتأول القرآن على غير تأويله وينهى عن قص الشعر وتقليم الأظافر . وقد قبض عليه وحوكم بتهمة الزندقة وعرضت عليه التوبة فلما أبى صلب (١) .

وفى هذه الفترة كانت حركات الشيعة قد بلغت ذروتها ، ففى المشرق فى فارس والعراق كان الشيعة الامامية ينتظرون رجعة الامام الثانى عشر محمد المهدى أما الشيعة الاسماعيلية أو السبعية فقد نجحوا فى ايجاد مكان لدولتهم وصدى لدعوتهم بين البربر فى افريقية ، فى حين أن الأندلس فى هذه الفترة كانت تعانى من الثورات والتفكك فى عهد امارة الأمير عبد الله الأموى . أى قبل تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش الامارة (٢) .

ومن أخطر ثورات الأندلس فى هذه الفترة ثورة عمر بن حفصون التى شغلت عهد امارة الأمير عبد الله بن محمد ثم جزءاً من امارة الأمير عبد الرحمن بن محمد . الذى استطاع بعد جهد كبير القضاء عليها . ويذكر ابن حزم أن عمر بن حفصون

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص٩٩ ـ ١٠٠ . (يذكر الباحث أيضا أن هذه الثورة كانت فى الثغر الأعلى نقلا عن ابن سعيد : المغرب ص ٥٠ ، ثم يقول ان مكان هذه الثورة من المعقول أن يكون فى المنطقة التى ثار بها شقيا من قبل) .

(٢) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

خطب للقاسم بن ابراهيم الادريسى صاحب البصرة [١] . أما ابن الخطيب فيذكر أنه دعا للفاطميين فى افريقية فوجهوا اليه داعيين اقاما عنده فترة ثم اعادهما الى الدولة الفاطمية ، اذ لم يكن مخلصا لها وانما اتخذها وسيلة لمكايدة الأمويين فى قرطبة [٢] .

كما واجهت الأندلس حركة من الحركات المتأثرة بالدعوة الفاطمية تأثرا عميقا وهى ثورة أحمد بن معاوية بن هشام الأموى المعروف بالقط سنة ٢٨٨ هـ/ ٩٠٠ م بين القبائل البربرية أى نفس المنطقة التى انتشرت فيها الدعوات الشيعية السابقة من قبل ، وهى منطقة الجوف على طول الثغر الأدنى والحدود بين المملكة الاسلامية والمملكة المسيحية ما بين ماردة ووادى الحجارة .

ولكن هذه الثورة التى وجهت بعد ذلك للجهاد ضد المسيحيين فى أسبانيا تحطمت على أسوار سمورة (Zamora) على يد الفونسو الثالث ملك استوريش (Asturias) . ورغم ان قائد هذه الثورة كان أمويا الا أن اللون الشيعى ظهر واضحا على حركته لأسباب كثيرة منها :

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٠ — ١٠١ (نقلا عن ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص٤٤) ، البصرة المدينة المقصودة هنا هى فى المغرب فيما بين طنجة وفاس ، انظر دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثالث ، ص ٦٦٧ — ٦٦٨) ، مادة البصرة . وانظر أيضا الحميرى : الروض المعطار ، حققه احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥م ص ١٠٨ .

(٢) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠١ (نقلا عن ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ٣٦) .

١ ـ تسميته بالمهدى ، ويذكر ابن حيان أنه تسمى أيضا (فائز الدين وعاصم المسلمين[١] ، وهذه ألقاب لم نعرفها من قبل فى الأندلس ، ولكنها كانت شائعة فى المشرق بين فرق الشيعة . ويلاحظ أن المهدى هنا يشبه مهدى الشيعة الاسماعيلية فى أنه انسان يجرى عليه ما يجرى على البشر من حياة أو موت .

٢ ـ وجود داعى له ينظم له الدعوة ويجمع له الأنصار وهو أبو على السراج الذى اعتمد على نقباء بيثهم فى صفوف البربر لجذبهم اليه مثلما فعل أبو عبد الله الشيعى وهو ينشر دعوة المهدى فى افريقية .

٣ ـ اعتماده على الكرامات ومعرفة الأشياء والاحاطة بالعلوم وغيرها مما استعمله لجذب البربر اليه[٢] .

وقد كانت هذه الثورة آخر المحاولات الشيعية فى الأندلس فقد انقطعت هذه المحاولات بتغير الموقف السياسى ، وذلك بتولى الأمير عبد الرحمن بن محمد زمام الأمور فى الأندلس ولم يكن هناك من مجال لظهور مثل هذه المحاولات فى عصر الخلافة الأموية وبالذات فى عصر قوتها ، الا أنها ظهرت مرة أخرى على مسرح الأحداث بظهور الدعوة العلوية الحمودية والتى اقامت لها دولة ذات كيان فى الأندلس[٣] .

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٢ (نقلا عن ابن حيان : المقتبس ، ص ١٣٣ .

(٢) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(٣) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٣ .

لكن مع هذا نلاحظ تسرب بعض الثقافة الشيعية الى الأندلس فى عصر الخلافة الأموية وذلك عن طريق احتكاك الأندلسيين بالشيعة .

الثقافة الشيعية فى الأندلس :

نستطيع أن نقول أن الثقافة الشيعية دخلت الأندلس بطريقتين :

أولهما : الأندلسيون الذين رحلوا الى المشرق ، الى العراق أو مصر أو الى المغرب وأخذوا قليلا أو كثيرا من هذه الثقافة .

ثانيهما : بعض المشارقة الذين قاموا فى الأندلس بنشاط دعائى أو قاموا بدور التجسس لمصلحة مواليهم من الشيعة .

فمن الأندلسيين الذين رحلوا الى الشرق محمد بن عيسى القرطبى المعروف بالأعشى (٢٢١ هـ / ٨٣٥ م) ويبدو أنه أول من نقل شيئا من الثقافة الشيعية الى الأندلس ، اذ أنه رحل الى العراق وخالف بذلك زملاءه الذين رحلوا للتفقه على مذهب مالك بن أنس فى المدينة ، وقد نقل معه الى الأندلس كتاب وكيع بن الجراح أكبر محدثى الشيعة وعرض عليه قضاء الأندلس ورفضه وكان يتحدث عن فضل على بن أبى طالب ويتخذه قدوة له (١) .

ورحل الى العراق أيضا الشاعر عباس بن ناصح الثقفى الذى أوفده عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ليجلب له بعض الكتب . وقد كان رفيق يونس بن الياس البونواطى الذى طلب علم النجوم والكهانة ثم عاد الى بلاده

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

ليحيى النحلة البرغواطية التى تستمد أكثر أصولها من التشيع [١] .

ومع أن كثيرا من العلماء اسهموا فى نقل بعض ألوان التفكير الشيعى الا أنهم لم يجاهروا بنزعة شيعية صريحة . ولكن انتشار الدعاية الفاطمية فى نهاية القرن الثالث الهجرى أدت الى اعتناق بعض الأندلسيين للتشيع منهم محمد بن حيون الحجارى (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧ م) [٢] ويبدو أنه كتم مذهبه حتى لا يتعرض للاضطهاد من جانب الفقهاء .

ومن هنا نرى أن المام الأندلسيين بشىء من مبادىء الشيعة وفرقهم كان ضئيلا ، ثم ان الدولة الأموية حرصت على أن تكون عقيدة المسلمين فيها صحيحة ، وان يفهم التشيع على أنه مجموعة من الضلالات والبدع [٣] .

وقد تحدث ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد عن الشيعة حيث أفرد لهم فصلا خاصا ، ونلاحظ فى كتاباته أنه أكثر من الرجوع الى كتاب ابن أبى شيبة وهو كتاب قدم به بقى بن مخلد من المشرق ، كما اعتمد على ابن قتيبة ، ونجد أنه فى الوقت الذى ألف فيه كتابه (٣٠٠ — ٣٢٢ هـ / ٩١٢م — ٩٣٣ م)

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ١٠٤ .

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ، ١٩٦٦م ، رقم ١١٦٦ ، ص٢٦ — ٢٧ .

(٣) محمود على مكى : المقال السابق ، ص١٠٥ .

لا يذكر لنا شيئا عن الشيعة الاسماعيلية الذين انتشرت دعوتهم فى افريقية ، ويمكن أن يكون هذا راجعا الى اهتمامه بالمشرق وتقديم كل ما يتصل به على بلده أو على المغرب على وجه العموم • وقد يكون راغبا فى مسايرة سياسة الأمويين فى عدم ذكر أى شئ عن مبادئ الشيعة فى افريقية (١) •

وقد ذكر بعض الكتاب ان ابن عبدربه كان متشيعا وان تشيعه معتدل كأبى الفرج الأصفهانى ولكن الدكتور محمود على مكى ينفى هذا الزعم نظرا لارتباط ابن عبدربه بموالاة الأمويين ، ولأن الدولة الأموية فى ذلك الوقت لم تكن لتتسامح مع أى مؤلف شيعى ، وخصوصا من كان كاتبا له شهرة ومكانة ابن عبدربه نظرا للعداوة التى ربطت بين أموى قرطبة والفاطميين فى القيروان • ثم يضيف أن ابن عبدربه كان سنيا متعصبا وان تحدث فى كتابه عن الشيعة فهذا يدل على كراهيته لهم وعدم الأخذ بأقوالهم وسخريته بها (٢) •

كما تسربت الى الأندلس العقائد الباطنية عن طريق تعاليم ابن مسرة (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) الذى قضى فترة من حياته الدراسية فى القيروان ، وكان وجوده فيها فى وقت بلغ فيه نشاط الدولة الفاطمية الفتية أوجه من الناحية السياسية والدعائية (٣) •

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٦ •

(٢) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٦ ـ ١٠٨

(٣) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٠٨ •

ولابن مسرة آراء مستوحاة من تعاليم الباطنية وقد استمر على هذه الآراء بل ظهرت هذه الآراء واضحة فيمن تأثر بها من مفكرى الأندلس ومتصوفيها . وقد رأت الدولة أن هؤلاء يشكلون خطرا حقيقيا عليها ، اذ أنهم الى جانب كونهم عاملا من عوامل التفكك المذهبى فمن الممكن أن يكونوا بطريق غير مباشر أداة للسياسة الفاطمية التى تمطمح فى تحطيم دولة بنى أمية (١) .

وبرغم هذا نجد بين مفكرى الأندلس من اتجه اتجاها شيعيا معتدلا ولم يكن خطرا يهدد كيان الدولة وسلامتها . مثال ذلك منذر بن سعيد البلوطى (٣٥٥ هـ / ٩٦٥م) (٢) الذى وصل الى مركز قاضى الجماعة بقرطبة ، ومع هذا نجده حريصا على سلامة الدولة المذهبية ، فكان اذا جلس الى القضاء قضى بمذهب مالك ، اذ احتفظ بمذهبه لنفسه ولم يفرضه على الناس ، ولعل مصادر ميله الى هذا الاتجاه كونه من قبيلة نفزة البربرية التى كانت أول من آمن بدعوة

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٠ — ٢٥ .

(٢) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، نشر ليفى بروفنسال ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م ، ص٦٦ — ابن خاقان : مطمح الأنفس ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٢ هـ ، ص ٣٧ — ٣٨ — المقرى : ازهار الرياض ، ضبطه وحققه مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠ م ، الجزء الثانى ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ — ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٣٠٣ .

ابن القط ونصرته ، وما بقى من أخبار عائلته تدل على اعتناقهم لمبادئ شيعية منذ زمن طويل ، ثم عطه كقاضي فى المناطق التى قامت فيها الثورات الشيعية من قبل أى فى منطقة الجوف اذ تولى القضاء بما رده وما والاها .

ومن مظاهر تشيعه سخطه على ابن عبد ربه عندما قرأ قصيدة له ذكر فيها الخلفاء الراشدين ثم معاوية ولم يجد فيها ذكر على بن أبى طالب بين الخلفاء ثم تأويله القرآن تأويلات غريبة رد عليها ابن حزم بعد ذلك (١) .

أما بالنسبة للعامل الثانى وهو المشارقة الذين قاموا بالدعاية والتجسس لمصلحة مواليهم من الشيعة ، فنجد أنه منذ استقرار عبيد الله المهدى فى افريقية بعث بكثير من دعاته الى الأندلس بقصد التجسس ونشر الدعوة الشيعية بها وقد ستروا هذا الأمر بستار من المصالح المشروعة مثل التجارة والعلم والتصوف . ومن هؤلاء الذين دخلوا الأندلس ثم خدموا عبيد الله المهدى بعد ذلك وزودوه بمعلومات حول الأندلس : أبو اليسر الرياضى ، وهو شاعر مغامر حسن التأليف .

وعندما وصل الى الأندلس دخل على الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢) بكتاب مختلق على لسان أهل الشام يستدعون فيه الدولة الرومانية (المروانية) الأندلسية ويعرضون الخطبة لها فى بلادهم .

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١١٠ ــ ١١١

(٢) تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢م وظل يحكم البلاد حتى توفى سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م .

وقد فطن الأمير محمد الى أن هذا الكتاب لا أساس له ولكنه مع هـــذا احتفى به وأكرمه ولم يمكنه من مزاولة نشاطه ، ولما أراد مغادرة الأندلس أعطاه الأمير جوابا على كتاب أهل الشام ، فلما جاز البحر وفض الكتاب ليقرأها فوجـده أبيضا ليس فيه الا " بسم الله الرحمن الرحيم " . فعلم أنه تمويهه لم يجـز ومع هذا حظى بالاكرام من الأمير فمظم حكام الأندلس فى نظره . ثم توجـه الى مصر وعمل على بث دعوته فيها ، ولكن أحمد بن طولون فى ذلك الوقـت فطن اليه فقبض عليه وسجنه ، ولم يعرف كيف خرج من سجنه ، ولكنه نـراه بعد هذا فى القيروان حيث تولى الكتابة لبنى الأغلب فى عهد ابراهيم بن أحمـد الثانى وعبد الله الثانى وزيادة الله بن الأغلب آخر ملوكهم .

وبعد سقوط دولة الأغالبة على يد الفاطميين تولى الكتابة لعبيد اللـه المهدى حتى مات ، وقد رافق أبا عبد الله الشيعى فى حملته التى توجه بهـا الى سجلماسة لتخليص عبيد الله وابنه من السجن .

ولا بى اليسر الرياضى مؤلفات فى فنون من العلم وسند الحديث ، وله كتاب فى القرآن سماه (سراج الهدى) وكتاب (لقيط المرجان) ورسالة الوحيـدة المؤنسة وقطب الأدب وغير ذلك [1] .

ومع أن أبا اليسر لم ينجح فى مهمته فى الأندلس الا أنه ولاشك قد تمكـن من نقل بعض الثقافة الأدبية الشيعية اليها فقد أدخل شعر أبى تمام وشعـر

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

دعبل الخزاعى الذى كان من أهم السنة الشيعة . هذا بالاضافة الى مؤلفاته التى أذاع بعضها فى الأندلس وكانت وفاته سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م [(١)] .

وبعد وفاة أبى اليسر الرياضى استعمل عبيد الله المهدى أبا جعفر محمد بن أحمد بن أحمد بن هارون البغدادى الذى تولى أمر البريد الى جانب الكتابة له سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م [(٢)] وقد استعان به عبيد الله على أمر أبى عبد الله الشيعى وأخوه وجماعة من كتامة فاستفاد منه كثيرا .

كان ابن هارون البغدادى ذا دهاء وفهم حسن ، ودخل الأندلس فى عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن [(٣)] فصحب الناس وجالس أهل الأدب والعلم وكان بعد هذا يحافظ من جاز به قاصدا الحج من خلطائه بقرطبـــة ويكرمهم .

ويبدو ابن هارون البغدادى قد وفق فيما لم يوفق فيه أبو اليسر الرياضـى كما نجد أنه فى دولة عبيد الله المهدى يباشر سلطات واسعة ، فكان يولى على القضاء والوثائق فى شتى الأقاليم فى الدولة الفاطمية ، وأدى هذا الى شكوى الموظفـين منه ، ومع هذا لم يحد عبيد الله المهدى من سلطاته ، بل نجد أنه بعد وفـاة عبيد الله المهدى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م قام ابنه أبو القاسم بتفويض ابن هــارون

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٢ ــ محمود على مكى : المقال السابق ص ١١٢ ــ ١١٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٣) تولى الأمير عبد الله العرش ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م وحكم حتى وفاته سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م .

البغدادى على كثير من أعمال البلاد .

ويبدو أن سبب اطلاق يد ابن هارون البغدادى وتفويضه فى كثير من الأعمال راجع الى نجاحه فى نشاطه الدعائى والمذهبى حيث أفاد مواليه الفاطميين بكثير من المعلومات عن الأندلس التى دخلها مستترا بقصد العلم وقيامه بنشر كتب أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكذلك كتب ابن قتيبة . ويبدو أنه كان له دور كبير فى نشر تعاليم الشيعة الفاطميين فى الأندلس(١)

ومن دعاة الشيعة أيضا الذين قاموا بدور مهم فى الأندلس ابن حوقل النصيبى (٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)(٢) وهو رحالة وجغرافى عربى يذكر عن نفسه أنه ترك بغداد فى رمضان سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م بقصد دراسة البلاد والشعوب والكسب عن طريق التجارة ، فزار بلاد العالم الاسلامى من المشرق الى المغرب ودرس مؤلفات من تقدمه مثل ابن خرداذبة وقدامة وغيرهم .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ — محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٩٤ — ١٩٥ — أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والأندلسى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢ م ، ص ٣٩٢ — محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١١٥ — دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، ص ١٤٥ ، مادة ابن حوقل .

وكان ابن حوقل عينا للفاطميين فى بلاد الأندلس التى دخلها مستترا بزى التجار فقد سماه ياقوت التاجر الموصلى [1] وكان هدفه من دخول الأندلس ليس للتجارة كما هو الظاهر ، ولكن التجسس ودراسة أحوالها من كافة النواحى لمصلحة مواليه الفاطميين ، وقد رفع الى الفاطميين تقريرا عن الأندلس ذكر فيه أحوالها فقال : " وفيها غامر وأكثرها عامر مأهول ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة والرخص والسعة فى جميع الأحوال الى نيل النعيم والتملك الفاشى فى الخاصة والعامة فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنهم وصلاح بلادهم ويسار ملكهم بقلة كلفة ولوازمه وسقوط شغله بشئ بحذره وحال تخيفه اذ لا رقبة عليه لأحد من أهل الجزيرة ولا خشية له من عدو ينصب لهلكته مع عظم مرافقة وجباياته ووفور خزائنه وأمواله وما أولا بالقليل منه على كثيره وغزيره ان سكة ضربه على الدنانير والدراهم ضمانها فى كل سنة مائتا ألف دينار ويكون عن صرف سبعة عشر بدينار ثلاثة آلاف وأربع مائة درهم . هذا الى صدقات البلد وجباياته ومزاجاته واعشاره وضماناته ومراصده وجواليه وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة اليهم والصادرة عنهم والرسوم على بيوع الأسواق ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هى فى يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والأبطال وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها فى نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها " [2] .

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

والواقع أن هذا التقرير الذى كتبه ابن حوقل عن بلاد الأندلس فيه تحامل واضح وصريح على أهلها ، فاذا كان كما يذكر أنه تلرك بغداد سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢ م وجاب العالم الاسلامى فهذا يعنى دخوله الأندلس قد حدث فى أثناء فترة الخلافة ، ونحن نعلم أن هذه الفترة تعتبر من أزهى العصور فى تاريخ الأندلس ، اذ توفر للبلاد من الموارد ومن أسباب النجاح والازدهار والقوة مالم يتوفر لها من قبل .

مدى نجاح الشيعة فى الأندلس :

نستطيع أن نقول أن ما حققته الدعوة الشيعية الفاطمية فى الأندلس كان ضئيلا جدا ، اذ أن هذه المحاولات الشيعية التى تحدثت عنها من قبل لم تجتذب الاعدادا محدودا من الأنصار والمشايعين ، والسبب فى ذلك يرجع الى ما للمذهب السنى من قوة متأصلة فى نفوس أهل البلاد . ولكن مع هذا فقد نجحت الدعوة الشيعية فى الأندلس فى كسب عدد من الشخصيات الأندلسية مثل ابن أبى المنظور الذى ولى القضاء للمنصور الفاطمى (٣٣٤هـ / ٣٤١ هـ / ٩٤٥م/ ٩٥٢ م) (١) .

كما أفلحت الدعوة الشيعية الفاطمية فى ضم أعظم ثوار الأندلس الى صفها وهو الثائر عمر بن حفصون الذى قام بثورته ضد الحكم الأموى فى جنوب الأندلس

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦٠٨ ـ ٦٠٩ ـ محمود على مكى المقال السابق ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، فقد دعا لعبيد الله المهدى (٢٩٧ ــ ٣٢٢هـ / ٩٠٩ ــ ٩٣٣م) الذى أرسل له داعيين اقاما عنده ، وكانا يحرضانه على التمسك بطاعة الفاطميين واقامة دعوتهم وعندما استولى الأمير عبد الرحمن بن محمد على معاقل ابن حفصون قام باحراق منبره الذى كان يدعو عليه الفاطميين ، ويبرز لنا ابن حيان هذه الحقيقة فيقول :

" وأحرق منبره الذى حمل عليه الدعاء للعبيين المرتد ونسله الخبيث وجرى عليه ذكر وليه عبيد الله الشيعى الذى كان علق بحبله وتشبث بدعوته "(١).

وكانت المراكب الفاطمية تقوم بامداده بالمؤن والذخيرة من العدوة المغربية ، ويؤكد هذه الحقيقة ما ذكره ابن عذارى اذ يقول : " الفيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب فى البحر كانت تميره من العدوة فاحرق جميعها " (٢) .

ومع كل ذلك نلاحظ أن ابن حفصون لم يكن مخلصا للدولة الفاطمية وانما اتخذ الدعاء لها وسيلة لمكايدة خصومه بنى أمية ، اذ نجده فى أواخر أيامه يستغنى عن الداعين الفاطميين ويبعدهما بهدية الى الخليفة الفاطمى .

ومن الأنصار الذين جذبتهم الدعوة الشيعية فى الأندلس القائد على بن حمدون الجذامى المعروف بابن الأندلس . وقد اتجه الى المغرب واتصل بعبيد الله المهدى وبابنه القائم الذى عهد اليه ببناء المسيلة وسماها المحمدية (٣).

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ ــ ٦٠٩ .

كما عقد أبو القاسم له عليها فحصنها وشحنها بالذخيرة والرجال • وكانت المحمدية بمثابة مدد للمنصور فى حربه مع أبى يزيد بن مخلد صاحب الحمار ، كما عقد له على ولاية المزاب فى جنوب المغرب الأقصى وأصبحت له بها دولة مزدهرة وقصده العلماء والشعراء منهم ابن هانئ الأندلسى •

كما جذبت الدعوة الشيعية اليها من الأندلس الشاعر أبا القاسم محمد بن هانئ (٣٦٢ هـ / ٩٧٢م)(١) •

وقد ولد ابن هانئ بأشبيلية ونشأ بها ونال حظا وافرا من الأدب ومهر فى الشعر ، واتصل بصاحب أشبيلية وحظى عنده بمكانة كبيرة ، واتهم بمذهب الفلاسفة ، فلما اشتهر عنه ذلك نقم عليه الناس واتهموا صاحب أشبيلية بمذهبه فطلب منه الرحيل عن البلد لفترة ، فسار الى المغرب ومدح جوهر الصقلى القائد ، ثم جعفر بن صاحب المسيلة ، ولما علم بخبره الخليفة المعز لدين الله الفاطمى طلبه والتحق بخدمته ومدحه ويعتبر شعره فى مدح هذا الخليفة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص٥٠ ـ ٥١ ـ ابن سعيد : رايات المبرزين ، تحقيق النعمان عبدالمتعال القاضى ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ص ٨٦ • حاشية ٥ ـ بطرس البستانى : أدباء العرب ، دار الجيل ، ج ٣ ، ص٨٤ ـ ٨٥ آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٦٣ ـ ٦٤ •

وثيقة هامة لنظريات العقيدة الاسماعيلية [1] .

ولولا ما عرف عن شعره من الغلو والافراط المفضى الى الكفر لكان ديوانه من أحسن الدواوين . وقد سار فى شعره على سياسة الشيعة فى الطعن فى بنى أمية فى الأندلس وبنى العباس فى المشرق [2] .

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٥٥ ــ ٥٧ .

(٢) بطرس البستانى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ ، ١٠٤

الفصل الثانى

الأندلس فى عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد

٣٠٠ - ٣١٦هـ/٩١٢ - ٩٢٨م

---

١ - أحوال الأندلس قبل عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد.

٢ - جهود الأمير عبد الرحمن بن محمد فى توحيد بلاد الأندلس.

٣ - العوامل الداخلية والخارجية التى أدت إلى قيام الخلافة الأموية فى الأندلس وتلقب الأمير عبد الرحمن بن محمد بألقاب الخلافة (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م)...

تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش الأندلس وهو فى مقتبل العمر ولكن مع هذا استطاع هذا الأمير الشاب بفضل ما أوتى من حنكة وحسن تصرف وبعد نظر أن ينتشلها من الهاوية التى وشكت على السقوط فيها • فقد توفى جده الأمير عبد الله تاركا له البلاد تشتعل بالثورات والاضطرابات • واذا كان جده لم يستطع انتشالها مما أوصلها اليه من سبقه من الأمراء ، فقد عمل على الأقل على ايقاف عملية سقوطها التى كان الناظر الى أحوال البلاد فى تلك الفترة يتوقع حدوثها بين وقت وآخر •

فعند ما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عمل بنفسه على قيادة جيوشه وتوحيد البلاد بشجاعة وصبر مما دفع الناس للالتفاف حوله وساعده هذا على النهوض بالبلاد من كبوتها والوصول بها الى أعلى درجات الرقى والتقدم الحضارى •

وبعد أن تحدثت فى الباب الأول عن محاولة الدولة الفاطمية توطيد نفوذها وأحكام سيطرتها على بلاد المغرب ، واقتناعها التام بعدم صلاحية هذه البلاد مقرا لخلافتها وتطلعها الى مكان آخر يصلح لأن يكون مقرا لدولتها وما قامت به من محاولات لنشر المذهب الشيعى فى بلاد الأندلس ومدى نجاح هذه المحاولات • وقبل أن أتعرض للحديث عن موقف الدولة الأموية وردها على هذه المحاولات سياسيا وعسكريا أجد أنه من الضرورى أن أذكر شيئا عن وضع الأندلس قبل تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد لها ثم ما قام به من جهود فى توحيدها والنهوض بها ، والأسباب التى دفعته الى اعلان الخلافة الأموية فى الأندلس •

وعن هذه الأحداث أبدأ باعطاء لمحة موجزة عن أحوال بلاد الأندلس قبل تولى الأمير عبدالرحمن بن محمد لها لنعرف مدى القوة والعظمة التى شيدها لدولته بحسن سياسته وبعد نظره.

١ ـ أحوال الأندلس قبل عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد

ان نظرة عامة على أحوال البلاد فى عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ترينا أن البلاد لم تشهد تفككا مثل الذى أصبحت تعيشه فى هذه الفترة ، اذ عمت الاضطرابات كل مكان واشتعلت نيران الثورة فى كل ولاية واتسعت وجذبت اليها ذوى الطموح من عرب وبربر ومولدين .

وقد أدى ذلك الى تقلص سلطان الدولة بدرجة لم تعرفها الأندلس من قبل ، وأصبح الناظر والمراقب لأحوال البلاد يترقب سقوطها فى أية لحظة . ومع ذلك الوضع الخطير الذى آلت اليه الأندلس كان على الأمير عبد الله أن يكافح بدون هوادة لانقاذ البلاد من السقوط ، فقضى فترة حكمه فى حروب مستمرة استنفدت قوى الدولة عسكريا وماليا .

ونجحت جهود الأمير عبد الله هذه فى تمزيق شمل الثوار واستمالة البعض الآخر اليه وبسط سلطانه ولو اسميا على بعض القواعد مثل أشبيلية وسرقسطة ، الا أن هذه الجهود لم تعد للبلاد وحدتها السابقة ، وان كانت قد حققت من عملية السقوط التى كانت تسير اليها بخطى سريعة ، ومكنت الأمير عبد الرحمن بن محمد من اعادة الوحدة اليها فيما بعد [١] .

---

(١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٢٨٣ .

أما أسباب كثرة الثورات والحركات الانفصالية فى الأندلس فترجع الى عوامل كثيرة منها ما تتميز به معاقل هؤلاء الثوار من قوة وحصانة تضمن لها الصمود فى ثورتها لمدة طويلة ، ومنها عدم التزام بعض العرب والبربر بالطاعة لحكومة قرطبة بل نجدهم أحيانا يلجأون الى ملك النصارى يستعينون به ضد بعضهم الآخر . وهذا أمر لا يخفى ما فيه من خطورة شديدة على البلاد (١) .

هذا ومن أشد الثورات التى عانت منها الأندلس كثيرا ثورة عمر بن حفصون زعيم المولدين التى امتدت لفترة طويلة حتى تمكن عبد الرحمن بن محمد من القضاء عليها . وكان عمر بن حفصون فاسدا سيء السيرة كون له عصابة من أهل الشر والبغى وتحصن بجبل ببشتر شمال شرق جبال رنده سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م وسبب هذه الثورة يرجع الى اشتطاط عامل الأمير محمد على كورة رية — يحيى بن عبد الله بن يحيى — فى مطالبته لأهلها ببقايا عشور تأخرت عليهم ، وقامت معارك بسبب ذلك . وفى هذا الجو قاد عمر بن حفصون زمام ثورة اضطرمت نيرانها لفترة طويلة فى الأندلس . على أن السبب الحقيقى لهذه الثورة هو سوء حال المولدين وما يلاقونه من عنت ومشقة وعدم ظفرهم بالعناية اللازمة من الحكومة المركزية فامتلأت نفوسهم بالسخط والغضب (٢) ، وعانت حكومة الأندلس كثيرا فى سبيل

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال ، دار المكشوف بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م ، القسم الثانى ، ص ٣٦ .

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٠ — حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٠٣ .

القضاء على هذه الثـــورة •

وقد عاصرت ثورة عمر بن حفصون الأمراء الأمويين محمـــد بن عبد الرحمـــن (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) والمنـــذر بن محمد (٢٧٣ ـ ٢٧٥هـ/ ٨٨٦ ـ ٨٨٨ م) وعبد الله بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ / ٨٨٨ ـ ٩١٢ م) ، ولم يستطع أى واحد منهم القضاء عليهـــا •

ومما ساعد ابن حفصون على الوقوف فى وجـه الدولة منعة موقعـه وكثـرة أتباعـــه •

ولما تولى الأمير عبد الله العرش كانت ثورة ابن حفصون قد اشتـد خطرهـــا ولذلك ركز الأمير عبد الله جهوده للقضاء عليها ، فجهز قواته واتجـه بها الـى قبرة ، كما حشد ابن حفصون قواته فى معقل بلاى (بلى أو بولى Polei - Poly)(١) وكان اللقاء بين الفريقين على ضفاف نهر الفوشكة أحد فروع نهـر الوادى الكبـــير سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م حيث هزم ابن حفصون ولحقت به خسائر فادحة •

وفى سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م اعتنق ابن حفصون النصرانيـــة هو وأفـراد أسرته وسمى نفسه صمويل فتفرق عنه أتباعـــه ، فعمـد الى مفاوضـة ملك ليـــون

---

(١) هذا الموقع معروف الى اليوم تحتله قرية اجيلار (Aguilar) الحديثة الواقعة جنوبى قرطبة (انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ هـ) •

الفونسو الثالث وبنى قسى وبعض أمراء المغرب ، ولكن العون الذى جاءه كان من قبل ابراهيم بن حجاج سيد أشبيلية الذى ساءت علاقته مع الأمير عبدالله بسبب رفض الأمير اطلاق ابنه . غير أن الأمير عبدالله نجح للمرة الثانية فى ايقاع الهزيمة بابن حفصون فى سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، كما هزمه أيضا فى سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م . وفى السنة التالية ، وجه اليه أيضا حملة فى سنة ٢٩٥ هـ /٩٠٧ م سارت الى معقله وعاثت فى المنطقة التى كان يسيطر عليها [١] .

كما تمكنت قوات الأمير عبدالله من ايقاع الهزيمة به سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩ م ومرة أخرى فى سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م . وفى السنة التالية سير اليه الأمير عبدالله حملة أخرى . ولكن على الرغم من هذه الحملات المتوالية التى كانت تسير اليه وتلحق به الهزائم فانها لم تستطع القضاء عليه [٢] .

وبالاضافة الى ثورة المولدين التى كانت أبرزها ثورة ابن حفصون فقد كانت هناك ثورات أخرى عمادها العرب أنفسهم وسببها هو سخطهم على حكومة بنى أمية التى توجست خيفة من العرب بسبب عصبيتهم القبلية ، فلم تعتمد عليهم فى حماية عرشها واعتمدت على الموالى .

---

(١) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق . ص٣٣٧ ــ ٣٣٨ .

(٢) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ص٣٣٨ .

فمن ثورات القبائل العربية فى البيرة ثورة بزعامة يحيى بن صقالة سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م الذى طارد المولدين والنصارى • وبعد مقتله خلفه سوّار بن حمدون القيسى ، ثم خلف سوّار فى زعامة العرب سعيد بن سليمان بن جودى السعدى زعيم قبيلة هوزان الذى حارب المولدين • وبعد مقتله سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م قام بأمر العرب محمد بن أضحى الهمذانى صاحب حصن الحامة (١) •

وكانت أشبيلية من أعظم قواعد الأندلس ومسرحا لثورة القبائل العربية التى امتدت لفترة طويلة • فمن البيوتات العربية فى أشبيليه ، بنو أبى عبده الذين كانت لهم الرياسة فيها وزعيمهم فى ذلك الوقت أمية بن عبد الغافر بن أبى عبده ، وبنو حجاج وزعيمهم عبد الله بن حجاج وأخوه ابراهيم ، وبنو خلدون وزعيمهم كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد • وقد ثار بنو خلدون سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ، ثم تحرك بالثورة بعدهم بنو حجاج ، حيث ظفروا بالحكم فى أشبيلية وظلت دولتهم بها حتى انتهت على يد عبد الرحمن الناصر (٢).

وفى بطليوس نجد عبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى فشلت حكومة قرطبة فى اخضاعه وانتهى الأمر باستقلاله ببطليوس • وقد استمر بنو مروان فيهما حتى انتزعها عبد الرحمن الناصر منهم فى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م • (٣)

---

(١) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ •
(٢) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٤
(٣) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ •

كما قام البربر بثورات كثيرة واستقلوا ببعض الولايات والمقاطعات . ففي الثغر الأدنى (١) ثار البربر بزعامة محمد بن تاكيت المصمودى الذى استولى على ماردة واستقل بها .

وقامت فى طليطلة أسرة بنى ذى النون وهم من أكبر زعماء البربر وينتمون الى قبيلة هوارة وزعيمها موسى بن ذى النون . وقد حكم بنو ذى النون طليطلة أعواما ثم غلبهم عليها محمد بن لب بن موسى كبير بنى قسى ، وكان سبب تحولهم الى الثغر الأوسط فقدهم لزعامتهم فى الثغر الأعلى ، وخروج سرقسطة من أيديهم ووقوعها فى يد يحيى التجيبى . وكان النزاع مشتعلا لفترة طويلة بين بنى قسى والتجيبيين . أما بنو ذى النون فقد ظلوا يحكمون المناطق الواقعة شرقى طليطلة مثل اقليشى ووبذه ثم قلعة رباح وغيرها الى أن أخذها عبد الرحمن الناصر منهم (٢) .

وظهر فى الثغر الأعلى أيضا محمد بن عبد الملك بن شبريط . وأسرة بنى شبريط أكبر أسر المولدين ، ظهر عميدهم من عهد الحكم بن هشام واستولى على وشقة ، ولما علا نجم بنى قسى حجبوهم عن الظهور ، فلما ضعف شأن بنى قسى

---

(١) الثغر الأعلى : عبارة عن سرقسطة وأعمالها من المدن الشمالية المتاخمة لحدود نافار وليون وقطلونية والثغر الأوسط طليطلة وأعمالها ، والثغر الأدنى عبارة عن المنطقة الغربية الواقعة بين نهر التاجه ومن مدنها قورية وقلمرية وشنترين وغيرها . انظر محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٣٩)

(٢) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

عادوا للظهور ثانية وغزا محمد بن عبد الملك بن شبويط أرض النصارى واستولى على حصن ورطه ومنت بطروش وبليارش وبرشلونة ولكنه قتل فى سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م[١]•

ولم يقم الأمير عبد الله بغزو النصارى فى هذه الفترة لكثرة حروبه الداخليـة • أما النصارى فبعد تولى الفونسو الثالث ملك ليون الحكم لم يقم هو أيضا بغـــزو الأرض الاسلامية واكتفى بالاستيلاء على مدينة سموره وهى من أمنع مـــدن الحدود الشمالية الغربية وجعلها قاعدة للاغارة على الأراضى الاسلامية سنـــة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م[٢] •

كما ظهر أيضا فى هذه الفترة أحمد بن معاوية المعروف بالقط الذى زعـم أنه المهدى ، ودعا لنفسه[٣] • وعلى الرغم من جهوده الضخمة فى مواجهة هذه الثورات فقد قام الأمير عبد الله بفتح الجزائر الشرقية (جزائر البليار) التى فتحها عصام الخولانى وأقره الأمير واليا عليها فى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢م[٤] •

هذه حال الأندلس وما كانت عليه حينما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمـــد عرشها ، فقد أصبحت ممزقة الأوصال تعانى من الثورات والحروب وتقلصت رقعتهـا وأصبح كل ما فيها ينذر بقرب سقوطها حتى أراد الله للأمير عبد الرحمن بن محمـد أن يقوم بانتشالها من التمزق والتفكك وأن يعيد اليها وحدتها وقوتها •

---

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣

(٢) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ •

(٣) انظر الفصل الأول الذى تحدثت فيه عن ثورة ابن القط ، ص ٨٧

(٤) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ •

٢ ـ جهود الأمير عبد الرحمن بن محمد فى توحيد الأندلس

بويع الأمير عبد الرحمن بن محمد بالامارة فى مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م ، وبعد ولايته دعا الخارجين الى الخضوع لسلطان حكومته ، فاستسلمت له أكثر الولايات حينما رأته يتقدم جيوشه فى حروبه بثقة واعتزاز وقوة وتصميم ، اذ وجدوا فيه مالم يجدوه فى غيره . فقد استسلمت له الولايات التى فى جنوب قرطبة ثم اشبيلية ، كما أرغم البربر على الطاعة وكان يخلع على من يستسلم له من الثوار ويعطيهم الهبات والارزاق وبهذا خضع له الكثير منهم .

ثم تفرغ بعد هذا المنازلة الثائرين المتمنعين فى معاقلهم ، وكان أشد هؤلاء عمر بن حفصون الذى لم يستطع جده القضاء عليه مع ما قاساه من المتاعب والأهوال فى حربه . وقد استطاع الأمير عبد الرحمن القضاء على هذا الثائر والاستيلاء على معقله وهدمه فى مدة قصيرة ، ثم تتبع باقى أولاده حتى استسلموا له .

ولم تأت سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م الا وقد أصبحت البلاد فى قبضته تنعم بالرخاء والوحدة فى ظل أمير عادل محبوب من رعيته . كما سقطت فى يده مدينة طليطلة التى اضطر أسلافه الى منحها نوعا من الاستقلال الذاتى ، وبذلك استرد ما فقده من سبقه من أسلافه فى مدة قصيرة وأصبح قوة تهاب ويحسب لها ألف حساب حتى بين أعدائه أنفسهم (١) .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

ويشرح لنا ابن الخطيب سياسة الأمير عبد الرحمن بن محمد في تحقيق وحدة الأندلس بقوله :

" فهادن طائفة وارتهن أخرى واستنزل الى حضرته أخرى وغلب بالسيف أخرى ، فاستأثر من بين قومه بالهدوء وخلوا الجهات من الهرج وتهنأ فحول الملك " (١) .

ولنحاول في شيء من الايجاز التعرف على جهود الأمير عبد الرحمن بن محمد في محاربة الثائرين وفي القضاء على ما كانت تعانيه الأندلس من تفكك وحركات انفصالية . ففي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وجه الأمير عبد الرحمن عباس بن عبد العزيز القرشي على رأس جيش الى بربكركي وجهل البوانس ، كما وجه قائده أحمد بن أبي عبده الى كورة قبرة لحرب الثائرين فيها . والتقى عباس بن عبد العزيز في قلعة رباح بالفتح بن موسى بن ذي النون فهزمه ، ثم ورد كتاب للأمير عبد الرحمن من عبيد الله بن فهير عامل قلعة رباح بظفره بأحد المفسدين وهو محمد بن ارذيلش في مدينة مديده فقتله فكانت أول رأس قطعت لثائر في عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد (٢) .

وفي هذه السنة تمكن الأمير عبد الرحمن بن محمد من فتح مدينة استجة (٣)

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣٦

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٩ — ابن حيان : المقتبس ج ٥ ، ص ٥٣ .

(٣) استجه : احدى مدن الأندلس متصلة بأعمال رية بين القبلة والمغرب من قرطبة ... وبينها وبين قرطبة عشرة فراسخ . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان المجلد الأول ، ص ١٧٤ .

المليئة بأهل الشر والفساد فوجه اليها حاجبه بدر بن أحمد فى جيش كبير ، ثم أمر قائده أحمد بن محمد بن عديو بالسير الى الحاجب بدر ، فأوقع وجود هذه القوة الرعب فى قلوب أهل المدينة فاستسلموا لجيش الأمير وولى عليهم حمدون ابن بسيل (١) .

وقام الأمير عبد الرحمن بصلب محمد بن يونس الجيانى أحد الثوار . وكان محمد هذا سجينا فى عهد الأمير عبد الله ، ولما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش الامارة أطلقه الا أنه نكث عهد الطاعة ، وكما يذكر ابن حيان : " وعبر البحر الى عدوة زغاوة بصحيفة منهم ساعيا على دولته ، فقبض عليه وصلب " (٢) .

ثم سار الأمير عبد الرحمن فى جيش كثيف الى جيان واحتل حصن مارتش . وفى هذه الأثناء وردته الأخبار بمسير عمر بن حفصون الى مالقة قصبة كورة رية وطمعه فى الاستيلاء عليها ، فوجه الأمير عبد الرحمن بن محمد سعيد بن عبد الوارث فى جيش كثيف فسيطر على مالقة (٣) .

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥ - ٥٦ - وابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٠ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ (انظر أبيات الشعر التى قيلت فى هذا الفتح) .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٦١ . مالقة مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٤٣ .
أما جيان فهى تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة الى ناحية الجوف فى شرقى قرطبة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، ص ١٩٥ .

وأخذ الأمير عبد الرحمن فى الاستعداد لغزو حصن المنتلون وحث أهل الولايات والعمال للخروج معه ، فكان أول من أجابه أهل جند دمشق الذين هم من كورة البيرة [١] مع قاضيهم محمد بن عبد الخالق الغسانى [٢] . وسار الأمير حتى نزل حصن المنتلون [٣] وكان عليه سعيد بن هذيل فضيق عليه الخناق وسلم سعيد الحصن الى الأمير فعمل الأمير على توطيد الأمور فيه وولى عليه محمد بن عبد الوهاب [٤] .

وواصل الأمير مسيره الى حصن شمنتان [٥] وكان عليه عبيد الله بن أمية بن الشاليه فوقع الرعب فى قلبه واستسلم للأمير وسلمه جميع حصونه فولى عليها

---

(١) مدينة كبيرة فى الأندلس متصلة بأراضى كورة قبرة بين القبلة والشرق من قرطبة من مدنها قسطيلية وغرناطة وغيرها . انظر ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٢٤٤ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٥٩ . (انظر القصيدة التى نظمها ابن عبد ربه فى وصف خروج الامير عبد الرحمن بن محمد لهذه الغزوة والتى أوردها ابن حيان فى كتابه) .

(٣) حصن بالأندلس من نواحى جيان . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٢٠٧ .

(٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٨ - ٥٩ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ - مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، نشرها ليفى بروفنسال وغرسية غوميس ، سنة ١٩٥٠م ، ص ٣٤ - ٣٥ - ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، حققه محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م ، المجلد الثالث ، ص ٤٦٥ .

(٥) شمنتان من ناحية جيان . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٦٤ .

يحيى بن الليث (١) .

ثم سار الأمير الى حصون بنى هابل أو هذيل فاستنزلهم منها ، واستأمنه اسحاق بن ابراهيم صاحب منتيشة (٢) ، وعكاشة بن محصن صاحب وادى بنى عبد الله ، وسلمة بن عرم صاحب بحيلة ، ومنذر بن حريز صاحب بفتويرة ، وأفلح ابن عروس صاحب بكور (٣) ، وفحلون بن عبد الله صاحب سانة (٤) وكذلك استنزل الأمير من حصن الشارة عبد العزيز بن عبد الاعلى ، ودجون بن هشام من حصن قاشتره (٥)

كما استولى الأمير على كورة البيرة ، واستسلمت له حصون تاجلة وبسطة (٦) ومربيط والبواجلة والاستاد ، ثم توجه الى حصون وادى اش فأخلى أكثرها رهبة

---

(١) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص٣٦ .

(٢) منتيشة من أعمال جيان وقيل انها من قرى شاطبة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٦١ ــ هذه أقوال ابن عذارى بينما يذكر ابن حيان فى المقتبس ، ج ٥ ، ص٦٠ أن الأمير عبد الرحمن فتح حصن بكور .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ ــ بينما يذكر ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٦٠ ان اسم الحصن اقليق ، ثم نراه يذكر اسمه فى ص ٦٣ حصن شنتيانة) .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٦٠ يذكر حصن الشارة باسم شنتره .

(٦) بسطة بالاندلس من أعمال جيان ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٢٢ .

لـه[1] • وفى سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢ م وصل الأمير الى حصن فنيانة وقد أغـوى شيعة بن حفصون أهل الحصن بالخروج عليه فحاصرهم حتى استسلموا وقبض على شيعة بن حفصون وفيهم بعض قواده ووجوه أصحابه مثل مسلمة بن رؤية وخالـد المعروف بأبى سليمان ومنيرة وغيرهم[2]

واستطاع الأمير الاستيلاء على حصون البشارات وكانت منضوية تحت لواء ابن حفصون ، واستولى على المعاقل بجهة بشيرة وجاز لعساكر فى جبـل الثلج وهو صعب وممتنع ، ولكن استطاع الاستيلاء على كل حصون تلك الجهة[3]

فى هذه الأثناء حاول ابن حفصون الاستيلاء على حاضرة البيرة فوجه اليـه الأمير القائد عباس بن عبد العزيز الذى التقى به قرب غرناطة وأسر حفيده عمر بن أيوب بن عمر بن حفصون • كما قام الأمير بالاستيلاء على حصن آخر من حصون ابـن حفصون وهو حصن شبيلش[4] ، وقبض على أصحاب ابن حفصون الموجودين فيـه

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٦٢ — ابن حيان : المصـدر السابق ، ج ٥ ، ص٦٦ •

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٦٣ — ٦٤ •

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٢ • (انظر الخريطـة فى نهاية الرسالة رقم ٣ •

(٤) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٣٧ (اسم الحصن شبيلس) — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٦١ • وحصن شبيلش من أعمال البيرة • انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٢٤ •

كما قتل من وجده فيه من المشركين ، ثم توجه الى غربى الحصن وفتح جميع حصون فريرة [1] وما حولها . كما قام بالاستيلاء على شلوبنية [2] وكان فيها جعفر بن عمر ابن حفصون الذى فرعها الى بيشتر ، ثم حارب حصن اشتبين وحصن بنة فراطة اللذين اضرا بأهل غرناطة وحاصره البيرة ، كما وطد أمور كورة دمشق وقنسرين وعاد الى العاصمة [3] .

وفى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م تم للأمير عبد الرحمن بن محمد فتح مدينة اشبيلية [4] حيث ذكر لنا الرازى انه بعد وفاة أميرها عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج التف الناس حول أحمد بن مسلمة ، فعمل محمد بن ابراهيم أخو عبد الرحمن ابن حجاج على الاستيلاء على أشبيلية منه ، فطلب من الأمير عبد الرحمن بن محمد أن يوليه على اشبيلية وأن يأذن له فى حرب ابن مسلمة فوافق . وكان ابن مسلمة فى نفس الوقت يطمع فى اقرار الأمير له على الولاية فرفض الأمير عبد الرحمن ذلك ، واخرج

---

(١) فريرة : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٢٥٩ .

(٢) حصن بالأندلس من أعمال البيرة على شاطئ البحر . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ – ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٦١ .

(٤) أشبيلية احدى مدن الأندلس وتسمى أيضا حمص وهى قريبة من البحر . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ١٩٥ .

فى نفس الوقت محمد بن ابراهيم بن حجاج ومعه قاسم بن وليد الكلبى حيث حاصروا ابن مسلمة ، فاستغاث بابن حفصون ولكن ابن حفصون هزم من قبل محمد بن ابراهيم وقاسم بن وليد . وزاد خوف ابن مسلمة فقرر الدخول فى طاعة الأمير عبد الرحمن بن محمد ، فقبل الأمير ذلك منه وأوفد اليه الحاجب بدر بن أحمد الذى آمن الناس فى أشبيليه وأدخلهم فى طاعة السلطان (١) .

وعمل الحاجب بدر بن أحمد على تنظيم أمور اشبيلية وولى عليها سعيد بن المنذر القرشى (٢) ، وهدم أسوارها .

وأما محمد بن ابراهيم بن حجاج ، فلما عرف أن ولاية اشبيلية لم تصر اليه أعلن الثورة والخروج على الأمير واعتصم بمدينة قرمونة (٣) ، فأرسل اليه الأمير قاسم بن وليد فاشترط لخروجه من قرمونة ابقاء حبيب بن عروس على قرمونة وقدم محمد بن ابراهيم بن حجاج قرطبة فولاه الأمير خطة الوزارة ولكن ظهر له غدر محمد بن ابراهيم عندما قام خليفته حبيب برفع لواء العصيان فأقصاه الأمير

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٠ — ٨١ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٤ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨١ — البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا تحقيق عبد الرحمن الحجى ، دار الارشاد — بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ١١٤ .

(٣) قرمونة : كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال اشبيلية غربى قرطبة وشرقى اشبيلية . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ص ٣٣٠ .

عن الوزارة وسجنه [١] .

وفى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م استولى الأمير عبد الرحمن بن محمد على حصن قلهرة وغزا كورة رية والجزيرة [٢] وقرمونة . وكان استيلاء الأمير على الجزيرة ضربة عظيمة لابن حفصون لأنه بهذا قطع وصول الامدادات اليه من العدوة وخافه أهل تلك الجهات ودخل أهل ساس وفج وسيم والقصر فى طاعته . وأقام الأمير المراكب فى البحر وأمرهم بالتجول من الجزيرة الخضراء الى حد تدمير وقطع كل محاولة لابن حفصون فى الاتصال بالعدوة .

ثم قام الأمير عبد الرحمن بن محمد بحصار حصن طرش ، وسير حاجبه بدر لمحاربة حصن بلده [٣] ، كما غزا الأمير حصون ابن حفصون منها شنت باطر [٤] والجش وريه وتغلب عليها . ثم سار الى مالقة ودخلها ، وأخرج الخيل الى حصن منت ميور واستولى على ذخائر ابن حفصون .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٨٢ .

(٢) الجزيرة الخضراء (Algeciras) هى ميناء فى أقصى جنوب أسبانيا بجوار جبل طارق وتسمى أيضا بجزيرة أم حكيم وهى جارية لطارق بن زياد . كان قد حملها عند غزوة لأسبانيا ثم تركها فيها فنسبت اليها . ولقد بنى الناصر لدين الله فيها دارا هائلة لصناعة الأساطيل الحربية ذات أسوار وحصون (انظر ابن الكردبوس : الاكتفاء) تحقيق أحمد مختار العبادى ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ص٩٠ ، حاشية ٣) .

(٣) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية وقيل من أعمال قبرة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٨٢ .

(٤) شنت باطر : حصن منيع من أعمال رية بالأندلس . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٦٦ .

وتمكن أيضا من دخول حصن لورة وتوجه الى قلسانة [1] ودخل أميرهـا نمارة بن سليمان وأخوه فى طاعته .

كما دخل الأمير حصن شلبر ونظم أمور كورة شذونة [2] ، وسار الى حصون رية [3] ومعاقل ابن حفصون يتبعها معقلا معقلا . كما دخل فى طاعته أهـل شانروفج وسيم وقلبيرة والقصر ، ثم توجه الى كوره شذونة ومورور [4] حتى وصل مدينة قرمونة فحاصرها وطلب من حبيب من عمروس بن سوادة الرجوع الى الطاعة فأبى ، فحاصره وترك القائد عيسى بن أحمد بن أبى عبده على حصاره مع جيش كبير ، فطلب ابن سوادة الرجوع الى طاعة الأمير فقبل منه الأمير ذلك . ولكن بعد رحيل الأمير عاد الى العصيان مرة أخرى [5] .

وفى سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م أخرج الأمير عبد الرحمن بن محمد عمه ابان بن الأمير عبد الله بالصائفة الى أعمال ابن حفصون فتجول بالعسكر على جميع حصونه

---

(١) قلسانة : من أعمال شذونة . انظر ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٣٨٩ .

(٢) شذونة : مدينة بالأندلس . وهى من أعمال اشبيلية . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٢٩ .

(٣) رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهى قبلى قرطبة ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ١١٦ .

(٤) مورور ينطقها ياقوت فى كتابة موردر وهو اسم الكورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال قرمونة وهى عن قرطبة بين الغرب والقبلة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٢٢٢ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٩١ .

وفتح حصن جريشة ونظم أموره [١] .

وفى سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م تولى أمر بجانة والمرية مسعود بن على بعد وفاة أخيه قاسم بن على و ولم يلبث بعد فترة أن خرج على طاعة الأمير ، فوجه اليه يحيى بن اسحاق الطبيب ومحمد بن عيسى الجيانى ولاطفاه بالرجوع الى الطاعة فأبى ، وتمكن بنو طارق ومن معهم من أهل حصن مرشانة [٢] من أسرة وولى أهل بجانة عليهم عبد الرحمن بن مطرف بن عبد الرحمن بن أصبغ الطائى [٣] .

وفى هذه السنة أيضا ذكر لنا الرازى أمرا انقيادا من حفصون للطاعة وطلبه الصلح من الأمير وطمعه فى الاجابة الى ذلك بماله من جميل على الأمير عند مـا آوى والده الأمير محمد عند فراره من أبيه الأمير عبد الله ، فأجابه الأمير الى طلبه وكتب له كتابا بذلك [٤] .

والتزم ابن حفصون بشروط الصلح وتبين للأمير صدقه وخصوصا عند ما حارب ابنه سليمان الذى غدر بابن بقى المعروف ببشطان صاحب حصن ابذه [٥] حتى

---

(١) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٥٠ —
ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٠٦ — ابن عذارى : المصدر السابق
ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) مرشانة : مدينة من أعمال قرمونة بالأندلس ، ياقوت الحموى : معجم البلدان
المجلد الخامس ص ١٠٧ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١١٥

(٥) ابذة : مدينة بالأندلس من كورة جيان ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان
المجلد الأول ، ص ٦٤ .

حتى أرجعه الى طاعة الأمير •

وفى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م قام اسحاق بن محمد القرشى بغزو كورة تدمير[١] وبلنسية[٢] ففتح حصن أوريوله[٣] ، كما غزا الحاجب بدر بن أحمد مدينة لبلة وكان فيها عثمان بن نصر الذى جاهر بالمعصية ، وفتحها وقبض عليه وأرسله الى قرطبة[٤] •

كما قام الأمير عبد الرحمن بن محمد بغزو سليمان بن عمر بن حفصون على أثر غدره بنشطان صاحب مدينة ابذه من كورة جيان ، فسير اليه يونس بن سعيد فى جيش كبير ، وسار أيضا عمر بن حفصون لحرب ابنه وتمكن من أسره وأخذه الى حصونه وحبسه فيها وسلم مدينة ابذة للأمير •

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٩ — مؤلف مجهول مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٥٣ ، وتدمير كورة بالأندلس تتصل باحواز كورة جيان وهى شرقى قرطبة • انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، ص ١٩ •

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٧ • (بلنسية : مدينة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهى شرقى تدمير وشرقى قرطبة • انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٩٠ •

(٣) اوريولة : مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير بساتينها متصلة ببساتين مرسية • انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان المجلد الأول ، ص ٢٨٠ •

(٤) انظر القصيدة التى نظمها ابن عبد ربه فى هذه المناسبة وأوردها ابن حيان : المقتبس ، ص ١٢٩ — ١٣٠ •

ولكن ابن حفصون عندما اطلق ابنه من السجن وأعاده الى حصنه قام مرة أخرى بغزو ابذة ، فسير اليه الأمير عبدالوهاب بن محمد الأشونى حتى طلب الأمان فقبل منه وأرسله الى العاصمة (١) .

وفى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م قام الوزير اسحاق بن محمد بغزو حبيب بن عمروس بن سوادة فى قرمونة وحاصره ، ثم خرج اليه الحاجب بدر بن أحمد فضيق عليه وشدد الحصار حتى دخلها عنوة وقبض على ابن سوادة وأخذه الى قرطبة وسجنه مع أبنائه (٢) .

وفى سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م كانت وفاة ابن حفصون وقد اقتسم أبناؤه الأربعة ملك أبيهم فيما بينهم ، ووجد الأمير عبدالرحمن فى ذلك فرصة سانحة ليضرب الأخ بأخيه ، وأخيرا وجد الأمير عبدالرحمن نفسه أمام الابن الرابع لابن حفصون الذى آل اليه ملك اخوته ، ولكن لم يستطع أن يقاوم قوات عبدالرحمن فاستسلم بعد بضعة أشهر من المقاومة وعفا عنه الأمير عبدالرحمن الذى [illegible] م

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٣١ — ١٣٢ .

(٢) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ، ص ٥٦ ، ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٣٦ — ١٣٨ (انظر أيضا نص القصيدة التى نظمها ابن عبدربه فى هذه المناسبة وأوردها ابن حيان فى كتابه) .

دخل على رأس رجاله حصن ببشتر [(١)] سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م [(٢)] .

وفى هذه السنة أيضا استولى الأمير على حصن دوش أما ننش ، وحاصر بلده واستسلم له من فيها من المسلمين وقتل من ظفر به من الكفار ، ثم سار الى حصون ربة بفتح كل ما مر به [(٣)] .

وفى سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م سار الأمير عبد الرحمن بن محمد للاستيلاء على حصنى شنت اولالية [(٤)] وشنت مرية [(٥)] وهى من حصون جعفر بن عمر بن حفصون من

---

(١) ببشتر : حصن منفرد بالامتناع من أعمال ريه بالأندلس بينة وبين قرطبة ثلاثون فرسخا . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، م١ ص ٣٣٢ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص١٢٨ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ج ٢ ، ص١٧١ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، حققه عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، ص ١٣١ . بالاضافة الى الرازى يذكرون أنها سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م .
وفى هذه النقطة يذكر لنا ابن الخطيب فى كتابه أعمال الاعلام ف ٢ ، ص ٣٢ ـ وابن عبد ربه : فى العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ : ان موت ابن حفصون كان سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨ م بينما يذكر المؤلف المجهول صاحب المدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص٥١ ان موت ابن حفصون كان سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ويؤيده فى هذه أيضا مؤلف مجهول آخر صاحب جغرافية الأندلس ، ورقة ٦٦ . لكن الظاهر أن هلاك ابن حفصون كان سنة ٣٠٦ هـ /٩١٨ م اذ اننا نلاحظ أن ابن حيان يذكر لنا نقلا عن الرازى أن ابن حفصون فى سنة ٣٠٣ هـ طلب الصلح من الأمير ولم يكن هلاكه فى سنة ٣٠٣ هـ كما يذكر صاحب المدونة وصاحب جغرافية الأندلس .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ص١٧٤ ـ ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٤) شنت اولالية : مدينة من أعمال طليطلة بالأندلس ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص٣٦٦ .

(٥) شنت مرية : حصن من أعمال شنتبرية ، ياقوت : معجم البلدان ، المجلد ٣ ص ٣٦٧ .

كورة رية وأمر حاجبه بدر بن أحمد بمحاصرتها والتضييق عليها الى أن استولى عليها كما استولى على حصن المُرة وهو حصن يشرف على قلعة بيشتر وشحنة بالجند واستولى أيضا الحاجب بدر بن أحمد على حصن طلجيرة وهدمه ، وعلى قرى عامس وطلبيرة (١) وهما حاضرتان لابن حفصون .

واحكم الحاجب بدر بن أحمد الحصار حول قلعة بيشتر حيث استولى على الجهات المشرفة عليها ، فخاف أهل القلعة ووقعت بينهم وبين جيش الأمير الحرب ، بين باب بوتقاط وباب طلجيرة ثم اعتصم الثوار فى القلعة . وفى نفس الوقت عمل على تقوية حصن اللرة ودمر قصر بنيرة وسكور وفوذ الشى وهى من الأماكن التابعة لابن حفصون . ثم تجمع الجند عند باب بوتقاط ، وضاق الأمر بالمارق جعفر بن عمر فلم يجد مفرا من أن يوسل الى الأمير عبد الرحمن معترفا بذنبه وطلب الدخول فى طاعته فقبل الأمير ذلك منه (٢) .

كما استولى الأمير عبد الرحمن بن محمد على حصن طرش (٣) وكان فيه

---

(١) طلبيرة : مدينة بالاندلس من أعمال طليطلة كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه . انظر ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٣٧ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٥١ـ ١٥٤

(٣) اسم الحصن : طرش خشين وقد أورده بهذا اللفظ ابن حيان فى كتابه : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٤ وصاحب المدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٦٢

عبدالرحمن بن عمر بن حفصون الذى طلب الأمان من الأمير واسلمه الحصن.

وفى سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م سار الأمير عبدالرحمن بن محمد الى طليطلة [١] وخرج اليه صاحبها لب بن الطربيشة مظهرا للطاعة ، ثم توجه الأمير الى مدينة الفرج [٢] وعزل عنها بنى سالم واستوزر فى هذه المحلة سعيد بن المنذر ، كما استعمل على هذا الموضع ابن غزلان القرشى واستقضى عليهم الفقيه محمد بن مسور فصلحت أحوالهم ورضى الجميع .

واحتل الأمير ثغر مدينة سالم ووطد نفوذه فيها ، كما غزا طرآلبة والقلاع واحتل بوادى دويرو ، وفتح المندات بحذو قرطبة من كورة رية ، كما بنى حصن قاشتره ذكوان وشحنه بوجاله وجنده . [٣]

وفى سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م قتل جعفر بن عمر بن حفصون صاحب ببشتر غيلة وسبب ذلك أنه كان يكتم الاسلام ويظهر النصرانية ، فلما توفى والده وصار الأمر اليه اظهر الاسلام وقرب المسلمين فاغضب هذا النصارى منه فدبروا مؤامرة لقتله ، وبعد

---

(١) طليطلة مدينة كبيرة بالأندلس وهى غربى ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة ، على شاطئ نهر تاجة ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان المجلد الرابع ، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

(٢) الفرج : مدينة بالأندلس تعرف بوادى الحجارة وهى بين الجوف والشرق من قرطبة ولها مدن بينها وبين طليطلة . انظر ياقوت : معجم البلدان المجلد الرابع ، ص ٢٤٧ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ــ ١٨٠ ــ ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٦٢ ــ ١٦٩ .

مقتله ولوا أخاه سليمان عليهم [١] .

وفى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م غزا الأمير كورة رية واستولى على حصن طوش ، كما وجه بعض قواده الى بيشتر وحصن أقواط لحرب سليمان وأخيه حفص أبنــاء عمر بن حفصون وأنزل بنى سعيد بن ناصح بن مستنة من حصون باغة [٢] المعروفة بمالية وبربش وموسى بن يزيد من حصن ، وبنى المهلب من يقرد يرة واشبر غيره وهدمها كما دخل فى طاعته محمد بن اضحى بن عبد اللطيف بن خالد الملقب بالغريب بـن يزيد بن الشمر الهمذانى صاحب حصن الحامة [٣] .

وفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م سار الأمير لغزو حصن منت روهـى بين كورة البـيرة وجيان على طريق مدينة بجانة [٤] فحاصرها وابقى الوزير سعيد بن المنذر محاصـرا لها حتى استسلم له الحصن وهدمه [٥] .

وسار الأمير الى كورة رية ونزل على جبل بيشتر وأبقى القواد لحصاره ، وسار

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٦٨ .
(٢) باغة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة . انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان المجلد الأول ، ص ٣٢٦ .
(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٦٨ .
(٤) بجانة مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة . ياقوت : معجم البلـدان المجلد الأول ، ص ٣٣٩ .
(٥) مؤلف مجهول : مدونة تاريخية من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصـر ص ٦٧ ـ ابن حيان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

الى كورة تاكرنا (١) وأصلح أمورها ثم الى كورة مورور تاكد من استتباب الأمن فـــى أشبيلية وقرمونة وعاد الى العاصمة •

وفى هذه السنة فتح قصر بنيرة وولى عليه يحيى بن زكريا بن انتلة كمـــا دخل أهل بجانة البحريين فى طاعة الأمير •

وفى سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م سار الأمير عبد الرحمن بن محمد لغزو مدينـــة بيشتر وحصون ريــة (٢) وحاصر سليمان بن عمر بن حفصون الذى بادر بمواسلتــــه ابتغاء صرفه عنه ، فرفض الأمير وعمل على تدمير زروعه وحصونه كحصن قـــرذارش (قرادرش) (٣) وحصن نجارش (بمارش) (٤) والجش وشنت بيطر ثم خرج اليــــه حفص بن عمر بن حفصون فأمنه الأمير واقره فى بعض الحصون لمصلحة رآها فـــى ذلك • كما استولى على مرسى شاط والمنكب (٥) وحصن مشكريـــل •

---

(١) كورة بالأندلس ذات جبال حصينة يخرج منها عدة أنهار ولا تدخلها وفيهـــا معقل رندة • انظر ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، ص٦ـ٧ •

(٢) ذكر ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص١٨٣ ـ وصاحب المدونة من عهـــد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص٦٩ : أن اسم هذه الغزوة هو شاط •

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص١٨٣ •

(٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٣ •
بمارش : حصن منيع من أعمال رية بالأندلس على بعد ثمانية عشر ميلا مـــن مالقة • انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٤٩٤ •

(٥) المنكب : بلد من أعمال البيرة بينه وبين غرناطة أربعون ميلا • انظـــــر ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص٢١٦ •

وفى سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م سار الأمير الى كورة تدمير وبلنسية وأصلح أحوال أهلها ، واستنزل عبد الرحمن بن وضاح من لورقة (١) ، ويعقوب بن خالد التوزرى وعامر بن أبى جوشن من مواضعهم ، ثم ترك جيشه لحرب محمد بن عبد الرحمن الشيخ بمدينة العسكر عن احواز بلنسية .

وفى طريق عودته جعل موره بشنت بريه (٢) مكان بنى ذى النون حيث قبل الأمير الطاعة من يحيى بن موسى بن ذى النون وابن أخيه يحيى بن أبى الفتح (٣)

وفى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م غزا الأمير كورة البيرة وأصلح أحوال كورة جيان وماوالاها كما استقدم اليه الوزير سعيد بن المنذر من كورة تدمير ، واخرج ابن اسحاق فاحتل حصن المنتلون وأخرج عبد الله بن سعيد بن هذيل منه وعزله عن سائر الحصون التى بيده وولى بدلا منه عبد العزيز بن مسلمة وعبد الله بن عمرو بن مسلمة وهدم أكثر حصون جيان وقصا بها نظرا لما كانت تشكله من أضرار على المسلمين (٤)

---

(١) لورقة : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص٢٥ .

(٢) شنت برية مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وهى شرقى قرطبة . ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٦٦ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٦ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

كما قام الأمير عبد الرحمن بن محمد بحصار حصن اشتبين وشدد عليه الحصار ثم عاد الى العاصمة قرطبة بعد أن ترك الوزيران ، سعيد بن المنذر وعبد الحميد ابن بسيل فى جيش كبير محاصرين له حتى فتحاه (١) .

وفى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ارسل الأمير الوزير عبد الحميد بن بسيل الى الثغر الذى به بنو ذى النون فأوقع بهم لخروجهم عن الطاعة ، كما فتح مدينة سُرتَّة(٢) ثم عاد بعد أن استقامت الأمور فى هذه الأماكن .

وفى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م كانت وفاة سليمان بن عمر بن حفصون ، وبعث الوزير عبد الحميد بن بسيل برأسه الى الأمير فى قرطبة فرفعت على باب السدة وفرح الناس بموته (٣) .

وفى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م اجتهد الأمير عبد الرحمن بن محمد فى حصار حفص بن عمر بن حفصون فى مدينة بيشتر ، ثم سار الى مدينة الجش واستنزل من فيها وهدم أسوارها . (٤)

---

(١) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٧٢ — يذكر ابن حيان فى المقتبس ، ج ٥ ص ٢٠١ ، أن اسم الوزيرين اللذين حاصرا الحصن هما عيسى بن أبى عبده وصاحب الشرطة درى بن عبد الرحمن .

(٢) سُرتَّة : مدينة بالأندلس متصلة الأعمال بأعمال شنتبرية وهى شرقى قرطبة منحرفة نحو الجوف بينها وبين طليطلة عشرون فرسخا . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث وص ٢٠٧ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٢ — ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق٢ ، ص٣٤ — ابن القوطية : المصدر السابق ، ص١٣١ — ابن حيان : المقتبس : ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ وانظر أيضا مزيدا من التفاصيل حول وفاته فى ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١٠ .

وسار الى حصن شنت بيطر وحارب أهله ثم ولى على مدينة مالقة عبد الملك بن العاصى وترك معه جملة لمحاربة الحصون القريبة ، وفتح حصن ايوش وما اتصل به من حصون حفص بن عمر بن حفصون .

وأخذ الأمير فى تشديد الحصار على حفص بن عمر بن حفصون وأحاط بقلعته ولما أيقن حفص بسقوط معقله فى يد الأمير استسلم له ودخل الأمير حصنه وأبقى الوزير سعيد بن المنذر ببشتر ضابطا لها وعاد الى قرطبة [(1)] .

وفى سنة ٣١٦هـ /٩٢٨م سار الأمير الى مدينة ببشتر لضبطها وأمر بهدم كل الحصون الموالية لها وقد قرت أعين المسلمين بهذا الفتح والقضاء نهائيا على ثورة ابن حفصون [(2)] .

وقد هنأ الشعراء الأمير عبد الرحمن بن محمد بهذا الفتح العظيم ، فالشاعر أبو عثمان عبيد الله بن يحيى بن ادريس الأول يقول لنا فى هذه المناسبة :

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٧٥ ـ ابن القوطية : المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ـ مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٧٦ ـ ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

أحقا خضوع المعقل المتجبر ... وفتح أمين الله حصن ببشتر

كفى خبرا مستشنعا من مخبر ... وحسبك بشرى أعظمت من مبشر

وقال أيضا :

ألا هكذا فلينصر الله ناصره ... ويشكر بالنعمى العظيمة شاكره [١]

ثم قام الأمير عبد الرحمن بن محمد باستنزال أهل حصون شنت بيطر وبمارش وحطرون وهدمها وفعل مثل ذلك في حصون تاكرنا ومخيلة [٢] ، وسير الوزير عبد الحميد بن بسيل الى كورة شذونة لهدم حصونها وجمع أهلها الى مدينة فلسانة قاعدة الكورة كما استنزل الأمير بنى داود من حصونهم وولى عليها ثقات رجاله ثم عاد الى قرطبة .

كما قام القائد أحمد بن اسحاق القرشي بفتح مدينة لقنت حتى تدمير ومدينة قلّيوشة [٣] ، وأنزل عنها وعن القصاب المحيطة بها بنى الشيخ وأوفدهم الى قرطبة كما استنزل بنى أبى جوشن من بلنسية وعمت الطاعة شرق الأندلس حيث فتحت مدينة شنتجيلة وحصن شنت بيطر وغيرها من كورة تدمير [٤] .

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص٢٢٠ — ٢٢١ . انظر نص الرسالة في المقتبس لابن حيان ، ج ٥ ، ص٢٢٦ — ٢٣١ .

(٢) مخيلة : اقليم من أعمال شذونة بالأندلس . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١٦٣ .

(٣) قليوش : على بعد ستة أميال من اوريولة بالأندلس . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٣٩٦ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٧ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ .

وفى سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م أيضا قام القائد أحمد بن الياس بفتح مدينة ماردة [١] وشنترين [٢] بدون حرب حيث طلب أهلها الأمان وأجابهم الى ذلك [٣] .

وفى سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩ م قام الأمير (الخليفة) بغزو كورة الغرب حيث حارب بطليوس [٤] وباجة واكشونبة [٥] وفتح مدينة شاطبة [٦] . وفى سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م فتح مدينة بطليوس وحاصر طليطلة ثم خرج لغزوها مرة أخرى فى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م حيث قام بفتحها . وفى سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧ م أتم فتح مدينة سرقسطه بعد أن غزاها فى سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م [٧] .

---

(١) ماردة : كورة واسعة من نواحى الأندلس متصلة بحوز قريش بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة احدى القواعد التى تخيرتها الملوك للسكن . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .

(٢) شنترين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة فى غربى الأندلس ثم غربى قرطبة وعلى نهر تاجة قريب من انصبابه فى البحر المحيط وهى حصينة بينها وبين قرطبة ١٥ يوما . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ص ٣٦٧ .

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ ــ ٢٤١ .

(٤) بطليوس : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٤٧ .

(٥) أكشونبة : مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل أشبونة وهى غربى قرطبة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٢٤٠ .

(٦) شاطبة : مدينة شرقى الأندلس وشرقى قرطبة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٠٩ .

(٧) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤١٩ .

بعد هذا العرض الموجز لجهود الأمير عبد الرحمن بن محمد فى القضاء على الثورات والحركات الانفصالية وخصوصا نجاحه فى القضاء على ثورة ابن حفصون أعظم ثوار الأندلس ودخوله معقلهم فى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨م يتضح لنا مدى الجهود الجبارة التى بذلها لانتشال البلاد من حالة التفكك والتمزق التى كانت تعانيها ويتبين لنا منها مدى ما كان يتصف به الأمير من عزم وتصميم على تحقيق وحدة الأندلس واستعادة سلطان حكومة قرطبة على كافة أرجائها ، وتحقيق الطمأنينة والأمن للرعية .

حرب الأمير عبد الرحمن بن محمد للنصارى

أخذت مملكة ليون النصرانية تتوسع فى ممتلكاتها على حساب الأندلس حتى وصلت جنوبى نهر دويرة فى عهد الفونسو الثالث (٢٥٢ ـ ٢٩٨ هـ / ٨٦٦ ـ ٩١٠ م) الذى استغل ما كانت تعانيه الأندلس فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى من تمزق وتفكك فى مد رقعة مملكته على حساب أراضى المسلمين . وعندما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش البلاد كان على عرش هذه المملكة اردونيو الثانى (١) .

كما نشأت أيضا فى شمال أسبانيا مملكة نصرانية أخرى وهى مملكة نبرة (نافار)

---

(١) عن نشأة هذه المملكة وامتداد رقعتها على حساب أراضى المسلمين فى بلاد البشكنس شرقا الى شاطئ المحيط غربا ، ومن خليج بسكونية شمالا الى نهر دويرة جنوبا . انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٠ ـ ٢١٣ ، ٣٥٨ ـ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١٦ .

واتخذت مدينة بنبلونة عاصمة لها • وكان معاصرا للأمير عبد الرحمن بن محمد ملكها شانجة الأول الذى تمكن من أن يمد حدودها حتى تاخمت بلدتى لاردة ووشقة من بلاد المسلمين [١] •

وقد استمرت غارات الأسبان النصارى على أراضى المسلمين فى الأندلس فى بداية عهد الأمير عبد الرحمن مستغلين ما كانت عليه الأندلس من تفكك وتمزق وانشغال الأمير فى نفس الوقت بمواجهة الثورات الداخلية •

ففى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م [٢] حشد اردونيو الثانى ملك ليون جيشا عظيما يقدر بثلاثين ألفا وقصد مدينة يابرة [٣] وكان عاملها فى ذلك الوقت مروان بن عبد الملك ابن أحمد ، فحاصرها حصارا شديدا حتى استولى عليها وقتل كل من فيها وسبى النساء ، وقد مات فى هذه الموقعة عامل المدينة مروان بن عبد الملك •

---

(١) عن هذه المملكة وامتداد رقعتها على حساب أراضى المسلمين • انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ وانظر أيضا حدود هاتين المملكتين فى خريطة أسبانيا المسلمة المرفقة فى آخر الرسالة •

(٢) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٣ ـ ٤٦ ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٩٢ •

(٣) يابرة : بلد فى غربى الأندلس • انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان المجلد الخامس ص ٤٢٤ •

وفى سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م يذكر لنا الرازى قيام اردونيو الثانى على رأس جيش كبير لحرب مكناسة الأصنام من أرض الجوف وفتح حصن الحنش ، فخرج من ليون الى سمورة ثم الى ماردة وعبر وادى التاجة على قنطرة السيف ، وكان معه دليلان من البربر من ماردة غدرا به وجعلاه يسير فى طرق وعرة فقتلهما ، ثم استولى على حصن مذلين (١) ودخله . ودخل قلعة الحنش ، ثم سار الى قولسانة وعاد بعدها الى دياره (٢) .

وفى سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م قام شانجة بن غرسيه بن ونقة البشكنس صاحب بنبلونة بالايقاع بأهل مدينة تطيلة من الثغر الأعلى وأسر أميرها عبد الله بن محمد بن لب بن موسى القسوى (٣) .

هذا ويلاحظ أن الأمير عبد الرحمن لم يبدأ فى الرد على غارات الأسبان النصارى الا فى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م وهذا راجع الى أنه فضل فى البداية مواجهة الثورات والحركات الانفصالية فى الداخل حتى يستطيع التفرغ والرد على النصارى . هذا بالاضافة الى أن عمر بن حفصون زعيم أقوى ثورة للمولدين ضد الحكومة فى قرطبة قد قام سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م بعقد هدنة مع الأمير عبد الرحمن بن محمد وقبل الأمير اجابته الى هذه الهدنة حتى يستطيع الرد على غارات الأسبان النصارى .

---

(١) مذلين : حصن من أعمال ماردة بالأندلس . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٧٧ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٢٠ – ١٢٣ .

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

ففى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م وجه الأمير القائد أحمد بن محمد بن أبى عبده الى أرض المشركين ، فغزا وغنم وعاد سالما . وفى سنة ٣٠٥ هـ /٩١٧ م خرج أيضا القائد أحمد بن أبى عبده الى أرض المشركين فهاجم قشتيلية ثم نازل حصن قاشتر موريش ، وهو من أمنع حصون النصارى . وهرع اردونيو لنجدته ففر بعض المسلمين من المعركة وثبت القائد حتى استشهد هو ومن معه وكانت هذه المعركة خسارة كبيرة للمسلمين (١) .

وكان على الأمير عبد الرحمن بن محمد أن يواجه حلفا أسبانيا قام بين اردونيو الثانى ملك ليون وشانجة (ملك نبرة) . ففى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م سار اردونيو وحليفه شانجة الى مدينة ناجرة (٢) ، ثم الى تطيلة واستوليا على حصن بلتيرة واحرقا المسجد الجامع (٣) .

وفى سنة ٣٠٦ هـ /٩١٨ م كانت غزوة مطونية واخرج لها الأمير عبد الرحمن ابن محمد الحاجب بدر بن أحمد وكان انتصار الحاجب فيها كبيرا (٤) .

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٠ — ١٧١ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٢) ناجرة : مدينة شرقى الأندلس من أعمال تطيلة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٢٥٠ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ — ابن حيان : المصدر السابق ج ٥ ص ١٤٣ .

(٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٤٥ — ١٤٧ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٩٥ — ٣٩٦ .

وفى سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م بلغ الأمير عبد الرحمن بن محمد خبر خروج ملك ليون بجيش عظيم الى الجوف لمباغتة المسلمين ، ولكنه عندما علم بتوجه الوزير اسحاق بن محمد القرشى على رأس جيش كبير اليه عاد الى بلاده مرةثانية (١) .

وفى سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م سار الأمير عبد الرحمن بن محمد لغزوة مويش أو مونش (٢) فوصل الى مدينة الفرج أو وادى الحجارة ومدينة سالم ، ثم سار الى حصن وخشمة واستولى عليه ، ثم الى قاشتر موريش وهى شنت اشتبين قاعدة المشركين ودخلها وفر من فيها من المشركين ، ثم اتجه الى قلونية وسار بعدها لنجدة المسلمين فى تطيلة اذ كانوا قد تعرضوا لهجوم من المشركين بقيادة شانجة ثم زحف الأمير الى حصن قلهرة (٣) واستولى على ما فيه ودمره (٤) .

وبعد هزيمة الأسبان النصارى عمل شانجه واردونيو على توحيد جهودهما للقضاء على جيش المسلمين المتقدم وحاولا مهاجمتهم فى شعاب الجبال ولكن الأمير عبد الرحمن خرج بجيشه وعسكر فى خونكيرا (٥) حيث حاربهم وانتصر عليهم

---

(١) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٦١ — ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٧ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٦١ (يلفظها هكذا الرازى وعريب فى كتاب ابن حيان) .

(٣) قلهرة : مدينة من أعمال تطيلة فى شرقى الأندلس . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٣٩٣ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٧ — ١٧٨ — ابن حيان المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٦٣ — ١٦٥ .

(٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٩٧ .

وفر المشركون من أمامه ٠

وعقب ذلك الانتصار أصلح الأمير حصن بقيرة [١] المشرف على حدود نبرة وزوده بالعتاد والمؤن ٠

وفى سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م هاجم شانجة صاحب بنبلونة بقيرة وتغلب عليها وأسر من فيها من الزعماء من بنى لب وبنى ذى النون وقتلهم أجمعين ، فأثر هذا فى الأمير عبد الرحمن فأرسل جيشه وعليه عبد الحميد بن بسيل الى الثغر الأقصى فسار حتى دخل مدينة تطيلة وملكها ٠

وفى سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م سار الأمير عبد الرحمن بن محمد لغزو بلاد الأسبان النصارى وهى الغزوة المعروفة بغزوة بنبلونة ، فدخل حصن قلهرة وهدمه ثم توجه ببطوة آلته أو قنطرة آلبة [٢] وقد تركه الأسبان النصارى الى ثلاثة غيران ،فتبعهم المسلمون وتمكنوا منهم وهدموا حصونهم فى هذه الجهة ٠ ثم سار الأمير عبد الرحمن بن محمد الى حصن فالجش فأحرقه ، ثم الى حصن تفالية (طفالية) وخربه ثم الى حصن قرقستال وتقدم الى فج الموكوين وهدم حصون المشركين [٣] ٠

---

(١) بقيرة : مدينة فى شرقى الأندلس معدودة فى أعمال تطيلة ٠ وبقيرة أيضا : حصن من أعمال رية ٠ انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الأول ص ٤٧٣ ٠

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩١ ٠

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٦ — ابن حيان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٩٢ ٠

كما وصل الأمير فى غزوته تلك الى قرية يشكونشة وهدمها . وحاول شانجه التعرض للمسلمين عند وادى هيفة ، ولكنه فشل واستمر الأمير عبد الرحمن فى مسيرة الى لنبيرة ثم الى لقين (بفير) وهو يهدم ويحرق كل ما يمر به من حصون المشركين [1]

ثم وصل الأمير عبد الرحمن الى بنبلونة وهدمها [2] ، ثم الى صخرة قيس وكان فيها كنيسة لشانجة فهدمها . ثم تقدم الى أساريه وحاول الأسبان النصارى التعرض للجيش الاسلامى ولكنهم اخفقوا فى ذلك . ثم ترك الأمير أسارية الى قرية منيو (بنتيرة) ثم الى دى شره المجاورة لشنت اشتبين وهزم المشركين ، ثم توجه الى ربيسة سرته (برنية سرته) وهزم شانجه مرة ثانية ودخل حصن قلهرة وهدمه [3] .

وبعد ذلك توجه الأمير الى بلتيرة وكان من حصون المسلمين المجاورة للمشركين ، فحفظ الأطعمة فيه وفرق الأموال على المسلمين ثم سار الى تطيلة واحتلها ثم تركها عائدا الى العاصمة [4] .

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٢ – ١٩٣ – ابن عذارى المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٨ – المقرى : نفح الطيب م ١ ، ص ٣٦٣ – ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٢٢٩ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٨ – ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩ – ابن حيان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٥ .

وبعد هذه الغزوة والهزيمة التى الحقها الأمير عبد الرحمن بن محمد بالنصارى الأسبان فى الشمال تفرغ للقضاء على أولاد ابن حفصون حيث تتبعهم وتمكن من دخول معقلهم وهدمه فى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م . وكان الأسبان النصارى بعد وفاة اردونيو الثانى سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م قد شغلوا بحروب أهلية استمرت حتى تولى عرش ليون راميرو الثانى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ (١) وبذلك سنحت للأمير عبد الرحمن فرصة التفرغ للقضاء على أبناء ابن حفصون . وبقضائه على هذه الثورة سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م — كما سبق أن أوضحت — اجتاز أصعب المراحل فى اعادة الوحدة السياسية للأندلس ، وهو ما أثمره بالقوة ودفعه الى اعلان خلافته فى الأندلس سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٠٠ — أيضا انظر رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس والممالك النصرانية منذ عصر الامارة حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، ص ١٤٥ .

٣ - العوامل الداخلية والخارجية التي أدت الى قيام الخلافة الأموية في الأندلس وتلقب الأمير عبد الرحمن بن محمد بألقاب الخلافة (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م)

في سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م قام الأمير عبد الرحمن بن محمد بخطوة هامة وهي اعلان الخلافة في الأندلس وتلقب بالناصر لدين الله وهو القائم أيضا [(١)] وكان من سبقه من أمراء هذه الدولة قد اكتفوا بلقب الامارة [(٢)] ، وكان يسلم عليهم بابن الخلائف ، اذ كانوا يرون أن الخلافة لا تكون الا لمن ملك الحرمين [(٣)] . وقد ذهب بعض الكتاب الى أن اعلان الخلافة الأموية في الأندلس كان بعد سنة ٣١٦ هـ [(٤)] / ٩٢٨ م ، ومنهم من ذكر أنها كانت سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م [(٥)] . ومن

---

(١) ابن حزم : نقط العروس ، بقلم شوقي ضيف ، فصلة من مجلة كلية الآداب ، المجلد الثالث عشر ، ج ٢ ، ديسمبر سنة ١٩٥١ م ، ص ٥٠ - ٥١ ، انظر أيضا ص ٦٢ . لم يتلقب بلقب القائم كثيرا واكتفى بلقب الناصر لدين الله .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨ - مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٧٨ - ابن حزم : جمهرة انساب العرب تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ، ص ١٠٠ - أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ص ٣٧٨ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد ، ص ٩٠ - المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ، ص ١٣ - الضبي : بغية الملتمس ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ص ١٧ - ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، حققه شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ج ١ ص ١٨٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٦٠ - أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

المرجح أنها أعلنت سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م ، فذلك التاريخ لاعلان الخلافة يتمشى مع سير الأحداث فى داخل الأندلس وفى العالم الاسلامى ، فضلا عن أن عددا من ثقات مؤرخى وجغرافى الأندلس ينص على ذلك التاريخ ، منهم صاحب جغرافية الأندلس ، وصاحب المدونة من عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ، وابن عذارى وابن الخطيب ، وفى هذا الصدد يقول صاحب جغرافية الأندلس ما نصه :

(... وفى سنة ستة عشر وثلاثمائة تسمى عبدالرحمن الناصر أمير المؤمنين ، وذلك لما بلغه ضعف الدولة العباسية ...) [١] .

وقد استهل أحمد بن بقى بن مخلد الخطيب بجامع قرطبة بذكر هذا الاسم فى يوم الجمعة مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م وانفذ عبدالرحمن كتابا الى العمال بأمر الخلافة ونصه ما يلى :

(بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على نبيه محمد الكريم . أما بعد : فانا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله تعالى ما ألبسه ، فنحن للذى فضلنا الله به ، وأظهر أثر تنافيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا دركه (ادراكه) [٢] وسهل (بنا) [٣] وبدولتنا مرامه وللذى أساد (أشاد) [٤] فى الآفاق من ذكرنا ، وأعلى فى البلاد من أمرنا وأعلق (أعلن) [٥] من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بما أظلمهم من دولتنا ان شاء الله ، فالحمد لله ، ولى الأنعام بما أنعم به ،

---

(١) مؤلف مجهول : جغرافية الأندلس ، ورقة ٦٦ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .
(٣) ابن الخطيب: أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠ .
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ١٩٨ .
(٥) ابن عذارى : نفس المصدر ونفس الصفحة .

وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه ، وعلمنا أن التمادى على ترك الواجب لنا من ذلك حق لنا أضعناه ـ واسم ثابت اسقطناه ، فمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله [1] . (والله المستعان وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ) [2] .

وحسبما ورد فى كتاب عبد الرحمن الناصر الذى انفذه الى العمال باعلان خلافته ان الخلافة حق لبنى أمية أضاعه أو فرط فيه اسلافه من أمراء بنى أمية فى الأندلس ، وان خلافتهم هى الخلافة الشرعية وما عداها ـ أى الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية ـ منتحلة ودخيلة وتسميتها لا تستحقه ، وبصرف النظر عن هذا الادعاء فان تلقب عبد الرحمن الناصر بالخلافة ـ بعد هذه الجهود الضخمة التى بذلها فى القضاء على الحركات الثورية الانفصالية فى الأندلس واستعادة وحدة الأندلس تحت سلطان حكومة قرطبة ، وفى جهاد الممالك الأسبانية النصرانية ، قد أضفى صفة الشرعية على حكومته وأعطاه سلاحا أقوى من حد السيف فى تثبيت سلطانه بين رعاياه ، وفى اضفاء صفة الجهاد المقدس على حربه للأسبان النصارى ، بل ـ وهذا هو الأهم ـ فى التصدى لحركات الفاطميين ضد

---

(١) مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ص ٧٩ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

الأندلس وضد بنى أمية ، وذلك باشهار عدم شرعية الخلافة الفاطمية بل وبطلانها بصفتها منتحلة ودخيلة . كما ترتب على ذلك تمتعه بمكانة كبيرتبين ملوك أوربا حتى اننا نجد اوتو الأول [1] الذى أصبح فيما بعد امبراطورا للدولة الرومانية المقدسة يلجأ اليه لوقف غارات الفراكسينت [2] .

---

(١) اوتو الأول أو العظيم يعتبر مؤسس الامبراطورية المقدسة تولى الحكم بعد وفاة والده هنرى الأول سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م واستمر فيه الى وفاته سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣م وقد جعل هذا الامبراطور المانيا دولة قوية مستقرةوسط مظاهر الفوضى التى سادت غرب أوربا فى ذلك العصر . انظر سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٧٢م ص ٢٥٥ ـ ٢٦٣ .

(٢) كما نعرف أن العرب استقروا فى أسبانيا وصقلية وغيرها من جزائر البحر المتوسط وحاولوا الاستقرار على سواحل هذا البحر فى ايطاليا وفرنسا ونجحوا فى تأسيس امارة مستقلة لهم فى اقليم بروفانس الأسفل ، وقد اخذت قوتهم تزداد مع مرور الوقت بما يصلهم من امدادات من الأندلس وافريقية وصقلية فاستطاعوا بذلك اقامة المعاقل والحصون على المرتفعات المشرفة على خليج غويمر جنوب اقليم بروفانس . وفى غابة فراكسينت (Fraxinet) ومن هنا اطلق على هذه الدولة اسم الدولة الفراكسينية . وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى استطاعت هذه الدولةبماحازت من قوة ومال تهديد تورينو والانتشار فى نواحى مونت فرات وبيد مونت والاستقرار فى سهول نهر البو . وفى سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٥م تقدموا الى ليجوريا ودخلوا جنوة واستولوا على بعض الممرات جبال الألب الهامة وفرضوا الضرائب على المسافرين بالاضافة الى امتداد نفوذهم على شواطئ بحيرة كنستانس شمالا الى جنوة ومرسيليا ونيس جنوبا ونشروا فيها الاسلام وعمل ملك بروفانس على طرد هؤلاء العرب من بلاده واستعان بأوتو الأكبر (٣٢٥ هـ ٣٦٣ هـ / ٩٣٦ م ـ ٩٧٣م) والذى أصبح أمبراطور الدولة الرومانية المقدسة سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م لطرد عرب الفراكسينت من بلاده وكان أوتو يعتقد أن الناصر لدين الله الخليفة الأموى فى الأندلس يساعد هؤلاء العرب فى نشر فتوحاتهم فلذلك استعان به وبعث له سفارة لوقف غارات هؤلاء العرب . (عن الفراكسينت انظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) وانظر أيضا صورة لهذه السفارة فى آخر الرسالة .

وكما ذكرت فى حديثى عن الخلافة أن الأمويين فى الأندلس قبل عبد الرحمن الناصر لم يتلقبوا بألقاب الخلافة ، واكتفوا بلقب أبناء الخلائف لأن الخلافة عندهم لا تكون الا لمن ملك الحرمين الشريفين . ولكن الظروف السياسية تغيرت بعد ذلك وأجاز أهل السنة تعدد الخلافة اذا ما كانت هناك مصلحة تقضى بذلك واعترفوا بامكان تولى امامين للحكم فى وقت واحد بشرط أن توجد مساحة شاسعة تفصل بينهما منعا للاصطدام وعدم حدوث الفتنة بين المسلمين . ويذكر صاحب كتاب الحلل الموشية أن الأندلسيين طلبوا من عبد الرحمن أن يكون خليفة وبايعوه على ذلك (1) .

أما عن نظامها فهو ملكى يقوم على أساس التوريث . وهى فى هذا مختلفة عن نظام الخلافة فى أيام الخلفاء الراشدين ، التى كانت تقوى على الشورى والانتخاب .

والواقع أن هناك سؤالا مهما وهو لماذا اختار عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م لاعلان الخلافة الأموية فى الأندلس ؟ ولماذا لم يقم باعلانها قبل هذا التاريخ أو بعده ؟

الواقع أن هناك أسبابا كثيرة تفسر ذلك منها أسباب داخلية وأخرى خارجية فبالنسبة للأسباب الداخلية نجد الآتى :

١ - فرض هيبة عبد الرحمن الناصر فى نفوس أهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة

---

(١) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨١ - ١٨٢ (نقلا عن صاحب الحلل الموشية) .

الاسماعيلية [1] وخصوصا ما قام به دعاتهم من محاولات لنشرها بين سكان الأندلس •

٢ ــ رفع منزلة عبدالرحمن الناصر الدينية والسياسية بل واضفاء صفة الشرعية على حكمه وخصوصا بعد الضعف الذى أصاب أسلافه نتيجة للثورات الداخلية التى شغلت عهودهم فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وبخاصة ثورة ابن حفصون •

وكان قضاؤه على هذه الثورة واحتلال مقرها مدينة ببشتر سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م أمرا كافيا لبعث الاطمئنان فى نفسه اذ شعر بعدها أنه اجتاز أصعب المراحل وأدقها فى طريق الوحدة السياسية •

٣ ــ استهدف عبدالرحمن الناصر من وراء اعلان الخلافة اعطاء قرطبة دورا أكثر مركزية بحيث تشتد قبضتها على أقاليم الدولة ويكون لديها فى نفس الوقت من السلطة الشرعية ما يمكنها من قمع أى تحرك أو انفصال عن جسم الدولة باعتباره خروجا عن سلطان الخلافة [2] •

٤ ــ الاستجابة لرغبة أهل الأندلس فى أن يكون لهم خليفة وبخاصة بعد أن رأوا قيام الخلافة الفاطمية فى المغرب •

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص٦١٣ ــ ٦١٤ •
السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٦٠ •

(٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٠٦ •

٥ ـ انتصاره الساحق على نصارى الشمال وخصوصا انتصاره على شانجه أو شانشو الأول ودخوله بنبلونة عاصمة نبرة (نافار) سنة ٣١٢ هـ/٩٢٤ م ، كما أتاح له أيضا موت أورد يفو الثانى ملك ليون ووقوع النزاع بين أبنائـــــه الفرصة للتفرغ لبلاده فأحس بقوته فى الداخل والخارج [١] .

أما عن الأسباب الخارجية فيأتى فى مقدمتها ما آلت اليه الخلافة العباسية فى بغداد فى مطلع القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وما انتهت اليـه من الفوضى والاضطراب واستبداد موالى الترك بالأمر وحجرهم على الخلفــــاء فضلا عن تفاقم خطر الدول المستقلة بالمشرق [٢] . ويصور لنا ابن طباطبا هـذا الوضع بقوله : " اعلم أن دولة المقتدر [٣] كانت دولة ذات تخليط كثير لصغــــر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النســاء والخدم وهو مشغول بلذاته فخربت الدنيا فى أيامه وخلت بيوت الأموال واختلفـــت الكلمة فخلع ثم أعيد ثم قتل ... " [٤]

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٧٥ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .
(٣) المقتدر حكم من (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ/٩٠٧م ـ ٩٣٢ م) واسمه أبو الفضل جعفر ابن المعتضد وتولى الحكم وهو فى الثالثة عشرة من عمره وتلقب بالمقتدر . عن هذه الفترة التى حكم فيها المقتدر وأحوال الدولة العباسية خلالها . انظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٠ ـ ٢٩ .
(٤) ابن طباطبا : كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، طبع بمطبعة الموسوعات بمصر ، سنة ١٣١٧ هـ ، ص ٢٣٦ ـ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، دار المسيرة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ـ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، بمصر ، الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٦ .

وكان قتل المقتدر بالله العباسى فى سنة ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م وتولى الأمر بعده الخليفة العباسى القاهر (٣٢٠ هـ – ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ – ٩٣٣م) ولم يكن حظه بأحسن ممن سبقه فقد سمل وحبس وساءت حاله لدرجة أنه خرج يطلب الصدقة بجامع المنصور ، ولكن المستكفى أمر بحبسه وتوفى فى سنة ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م .

ولم يجد الخليفة الراضى (٣٢٢ – ٣٢٩ هـ / ٩٣٣ – ٩٤٠ م) ازاء هذا الضعف بداً من استمالة ابن رائق الذى كان يلى أمر واسط والبصرة ووجد فيه الرجل الذى يمكن الاعتماد عليه فعهد اليه بكافة أمر الدولة ولقبه أمير الأمراء . وبعد أن كان الصراع بين الخلفاء العباسيين وكبار القواد والأمراء الأتراك أصبح بين الخلفاء وأمراء الأمراء مثلما وقع بين الخليفة العباسى المتقى بالله وتورون (٣٢٩ – ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ – ٩٤٤ م) (١) .

وكان من أثر تنازع القواد على هذا المنصب وما أعقبه من الفوضى والاضطراب أن أدى الى استنجاد الخليفة العباسى المستكفى (٣٣٣ هـ – ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ – ٩٤٥م) ببنى بويه الشيعة الذين سيطروا على الأمور فى بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م واستبدوا بالسلطان دون الخليفة العباسى ولم يتركو له سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة . وعلى الرغم من أن بنى بويه الشيعة لم يكونوا يعترفون بحق بنى العباس فى امامة المسلمين فقد أبقوا على الخلافة العباسية

---

(١) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .

وفضلوا أن يحكموا الدولة باسم الخلافة العباسية غير الشرعية فى نظرهم على أن يعلنوا ولاءهم للخلافة الفاطمية الفتية القوية (١) .

فاستبداد موالى الترك بالخلفاء العباسيين فى بغداد وما وصلت اليه الخلافة العباسية من ضعف فى مطلع القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، حذى بالخليفة الراضى الى استحداث منصب أمير الأمراء لحفظ الخلافة من السقوط ، ثم ما تبع انشاء هذا المنصب الذى وليه ابن رائق من حروب جرت بينه وبين محمد بن طغج الأخشيد وانهزام ابن رائق ودخول مكة المكرمة والمدينة المنورة تحت سيادة الاخشيديين (٢) ، كل ذلك قد أدى الى اهتزاز مكانة الخليفة العباسى فى نظر المسلمين ، وساعد فى نفس الوقت على توطيد دعائم الخلافة الأموية التى أعلنها عبد الرحمن الناصر فى الأندلس سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م .

أيضا من الأسباب الخارجية التى دعت عبد الرحمن الناصر الى اعلان الخلافة الأموية فى الأندلس سنة ٣١٦ هـ /٩٢٨ م قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب (٣) .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ، ج ١١ ، ص ٢٣٨ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ ، ص ٥٩٤ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٢٩ .

وقد أدى قيامها فى بلاد المغرب الى قطع علاقة المغرب بالمشرق وبالخلافة العباسية مما دعى أمير الأندلس عبد الرحمن الى اعلان الخلافة والتلقب بألقابها (١).
كما كان قيام الخلافة الفاطمية دافعا لعبد الرحمن الناصر لاعلان الخلافة الأموية فى الأندلس ، اذ أن من أهم الأسباب التى استند فيها الى أحقيته بالخلافة هو ما أثير على الخلافة الفاطمية من التشكيك فيها وفى صحة نسب خلفائها للسيدة فاطمة الزهراء ، وكان أول من أثار التشكيك فى نسب الخلفاء الفاطميين هو مؤسس دولتهم وداعيتها فى المغرب أبو عبد الله الشيعى سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، ويتضح ذلك من قول شقيقه أبى العباس للبربر : " ان الامام هو الذى يأتى بالآيات والمعجزات ويختم بخاتمه فى البلاط ، فأما هذا ، ويعنى عبيد الله فقد شككنا فيه " (٢) .

---

(١) يقول صاحب كتاب الاكتفاء : " فلما قام على بنى العباس بمصر وافريقية بنو عبيد وتسموا بالخلفاء وأمراء المؤمنين وانشغل عنهم بنو العباس بما كانوا فيه من الخلع والخلاعة والقيام عليهم والفتك بهم اقتدى عبد الرحمن بهم وسلك مسلكهم فى مذهبهم " . (انظر ابن الكرديوس : الاكتفاء ، ص٦١)
يذكر ابن الكرديوس وجود الفاطميين فى مصر وافريقية وقت اعلان عبد الرحمن الناصر للخلافة وهذا خطأ لأن الناصر لدين الله أقدم على اعلان الخلافة الأموية فى الأندلس قبل انتقال الفاطميين الى مصر فى عهد المعز لدين الله الفاطمى رابع الخلفاء الفاطميين .

(٢) عادلة على الحمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ (نقلا من النويرى : مخطوطة نهاية الارب . ٢٦ / ٣٤) .

وبالاضافة الى تشكيك المغاربة فى نسب عبيد الله المهدى يأتى ما أثير من شائعات فى بغداد حول الطعن فى نسب الخلفاء الفاطميين وفى صحة انتسابهم الى السيدة فاطمة الزهراء [1] . كما أن فشل عبيد الله المهدى فى جعل أهل المغرب يلتفون حول خلافته وسوء سياسته ازاء البربر ، ومحاولة فرض المذهب الشيعى عليهم ، وجمعه للأموال من الناس بطريق مشروع وغير مشروع قد أدى الى قيام البربر بكثير من الثورات ضده [2] .

وفضلا عن ذلك فان محاولات الفاطميين نشر مذهبهم بين سكان الأندلس وفرض نفوذهم على المغرب الأقصى تمهيدا للتدخل فى شئون الأندلس واسقاط الدولة الأموية عدوتها اللدود ، كل هذا كان دافعا للأمير عبد الرحمن بن محمد لاعلان الخلافة الأموية فى الأندلس ، وقد وفق توفيقا كبيرا فى اختيار وقت اعلانها . وهكذا يعتبر قيام الأمير عبد الرحمن بن محمد بتحويل الامارة الأموية الى خلافة عملاً من الأعمال السياسية البارعة ، ذلك أن الخلافة العباسية فى المشرق قد ضاعت هيبتها وسلطانها بعد أن غلب عليها الأتراك ، كما أن الخلافة الفاطمية فى المغرب لم يكن أهل السنة من المغاربة يعترفون بها ، وقد لقيت متاعب كثيرة فى نشر المذهب الشيعى بين المغاربة وفى توطيد سلطانها فى بلاد المغرب .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٢٤ ـ أحمد شلبى : الموجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ .

هذا فضلا عن أن الأندلس كانت تعتبر ثغرا من ثغور الاسلام الذى يواصل الجهاد ضد الأسبان النصارى بينما كان العباسيون قد أهملوا الجهاد ضد الروم• كما أن احياء الخلافة الأموية انما يعنى أن الأمويين بالأندلس بدأوا يتطلعون الى ما وراء حدود الأندلس ، أى الى بلاد المغرب الذى قامت فيه خلافة منتحلة ودخيلة ومتسمية بما لا يستحق حسبما جاء فى كتاب عبدالرحمن الناصر الخاص باعلان خلافته •

وقد كان لاحياء الخلافة الأموية على يد عبدالرحمن الناصر نتائج سياسية بعيدة المدى سواء فى الأندلس أو فى بلاد المغرب • ففى الأندلس أعطت الخلافة للحكم الأموى صفة الشرعية وبذلك أصبحت طاعة الأندلسيين للخلافة طاعة واجبة من الناحية الدينية • وفى المغرب ساعد ذلك على نجاح سياسة عبدالرحمن الناصر ، اذ اتجه اليه بالطاعة والولاء المغاربة الذين ظلوا على مذهب أهل السنة ولم يعترفوا بسلطان الفاطميين عليهم •

الفصل الثالث

سياسة عبد الرحمن الناصر
فى محاربة أطماع الفاطميين فى الأندلس

---

١ - بث بذور الفتنة بين قبائل البربر وقادة الشيعة فى المغرب ضد الفاطميين ، وتأليبهم عليها .

٢ - دخول بعض أمراء الأدارسة فى طاعة عبد الرحمن الناصر .

٣ - توطيد علاقته بدولة بنى رستم الخارجية فى تاهرت .

٤ - تشجيع عبد الرحمن الناصر لأبى يزيد بن مخلد بن كيداد الثائر على الخلافة الفاطمية .

٥ - توطيد عبد الرحمن الناصر لعلاقاته مع أعداء الدولة الفاطمية :

- مع ملك إيطاليا HUGUES DE PROVENCE
- مع الأمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع .
- مع أمير مصر محمد بن طغج الأخشيد .

كانت علاقة عبدالرحمن الناصر مع الفاطميين فى المغرب علاقة عدائيـــة
بعثها الخوف والحقد المتواجد لدى كل طرف ضد الآخر ، ومع مرور الوقـــت
وتوالى الأحداث انتهى الأمر بالفريقين الى اشهار الحرب من كل منهما على الآخر .
ولكن قبل الدخول فى الشرح وايراد تفاصيل المعارك بين الفريقين ، أجد أنـــه
لابد فى هذا الفصل من التعرض للحديث عن دور الدسائس والمؤامرات التى مرت
بها العلاقة بين الطرفين .

وقد سبق أن أشرنا أن الدولة الفاطمية لم تستطع توطيد دعائم ملكهـــا فى
المغرب نتيجة لسياستها التعسفية [1] ، فادى هذا الى وجود أعداء لها مـــن
داخل المغرب نفسه وآخرين من خارجه ، فكان وجود هؤلاء الأعداء عاملا كبـــيرا
فى تمكين الخليفة عبدالرحمن الناصر من الاستفادة منهم فى تدبير المؤامـــرات
والدسائس ضد الفاطميين فى المغرب .

ففى داخل المغرب نجد أعداء كثيرين للفاطميين منهم قبائل البربر ، تلـك
القبائل التى تعودت على الحرية ولم تتعود على القسوة ولا القهر ، وكانت اذا اعتنقت
مبدأ ورأت فيه الخير لنفسها دافعت عنه وبذلت الأرواح فى سبيله ولكن اذا اتضح لها
أن هذا المبدأ لم يحقق لها ما تصبو اليه تركته بل وتصبح من أشد أعدائه فيما بعد .
وهذا ما حدث بالنسبة للفاطميين مع البربـــر فقد ناصروهـــم وساعدوهـــم
علـــى اقامة دولتهم أملا فى الحرية والمساواة والعدل ولكن كل هذا ذهب أدراج
الرياح بعد قيام الدولة الفاطمية التى خشيت على نفسها من البربر فاتبعت معهـم

---

(١) بخصوص هذه النقطة انظر الفصل الأول ، ص ٦١ .

سياسة القسوة والعنف ، فثار البربر ضدها ، وقد أحسن عبد الرحمن الناصر استغلال هذه العناصر الثائرة فى الكيد للدولة الفاطمية والدس عليها .

ودخل فى طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر بعض هذه القبائل ، هذا بالاضافة الى انضمام بعض قادة الشيعة الفاطميين ، وبعض مدنهم فى المغرب اليه وقيامهم بحرب الفاطميين فى المغرب .

وانضم الى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر أيضا ضد الفاطميين بعض أمراء الأدارسة مثل ادريس بن ابراهيم السليمانى الحسنى أمير ارشقول وغيره . ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بتأليب كل هؤلاء الأعداء على الفاطميين بل نجده أيضا يعمل على توطيد علاقته مع الدولة الرستمية التى ارتبط الأمويون معها برباط المودة والصداقة .

واضافة الى ما سبق ، فقد عمل عبد الرحمن الناصر على تشجيع ثورة أبى يزيد ابن مخلد (صاحب الحمار) وهى أشد ثورة خرجت على الفاطميين وزعزعت أركان دولتهم وسيطرت على معظم أراضيهم لدرجة انه لم يبق لهم من سلطان فى بلاد المغرب سوى مدينة المهدية وما حولها .

وكما شجع عبد الرحمن الناصر الأعداء فى داخل المغرب وأحسن الاستفادة منهم ضد الفاطميين ، أيضا استغل فرصة وجود العداء بين الفاطميين وملك ايطاليا الذى كان يحقد عليهم لتدميرهم ميناء جنوة فعمل على توطيد علاقته به .

ووطد علاقته مع الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع الذى نظر الى الفاطميين نظرة عداء لاستيلائهم على جزيرة صقلية •

كما قام عبدالرحمن الناصر بتوطيد علاقته مع حكام مصر الاخشيديين حتى لا يدع فرصةللفاطميين لنشر مذهبهم بين أهل مصر •

بعد هذا العرض الموجز لأحداث هذا الفصل سأتولى الحديث عن كل نقطة من هذه النقاط على حدى •

١ ـ بث بذور الفتنة بين قبائل البربر وقادة الشيعة ضد الفاطميين وتأليبها عليهم :

الواقع لو نظرنا الى العلاقة بين الأمويين والعلويين وعدنا بها الى الوراء لوجدنا أنها علاقة تستمد جذورها من العداء القديم فى الجاهلية بين بنى أمية وبين هاشم • وقد زادت أحداث النزاع بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وماتلاه بعد ذلك من تولى معاوية الخلافة وتحويل بنى أمية الخلافة الى نظام وراثى ، ثم تصديهم لحركات أئمة العلويين الذين كانوا يرون أحقيتهم فى تولى الخلافة • هذا العداء حدة • ولما قامت الدولة الفاطمية فى المغرب ، أدرك الأمويين مدى ما يمكن أن تتعرض لها دولتهم فى الأندلس من أخطار من جانب الفاطميين ومن جانب دعوتهم الشيعية قد تؤدى الى زوال دولتهم • ولذلك لم يقف بنو أمية فى الأندلس مكتوفى الأيدى وهم يرون الفاطميين فى المغرب يعملون على بسط سيادتهم ومذهبهم على المغرب كله ، وما أعقب ذلك من محاولات لنشر المذهب الشيعى فى بلاد الأندلس •

فمن الطبيعى أن يقف أمراء وخلفاء بنى أمية فى الأندلس من هذا موقف عداء شديد ، ولذلك حاربوا تسلل المذهب الشيعى الى بلادهم وواصلوا سياسة أجدادهم فى المحافظة على وجود المذهب السنى فيها • فقد حرصوا على أن يغرسوا فى نفوس أهل الأندلس كراهية التشيع ، والدليل على ذلك أن بعض عقائد الشيعة التى تسربت الى الأندلس كان تأثيرها ضعيفا ولم تجتذب

لها سوى عدد محدود من الأنصار [1] .

ومن قبل تصدى أمراء بنى أمية فى الأندلس لدولة الأدارسة العلوية فى المغرب الأقصى على الرغم من أن الأدارسة ودولتهم كانوا سنة على مذهب الامام مالك . فما أن قامت دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى حتى قام أمراء بنى أمية بتوطيد علاقتهم بدولة بنى رستم فى المغرب الأوسط (الجزائر) على الرغم من أنها كانت على مذهب الخوارج الأباضيــة . فقد اقتضت مصلحة بنى أمية وبنى رستم على الرغم من الاختلاف المذهبى توطيد العلاقات بينهما على حساب جيرانهم الأدارسة العلويين فى المغرب الأقصى [2] .

وبالاضافة الى ذلك كانت هناك صلات تجارية بين الأندلس والمغرب الأوسط (الجزائر) حيث تدفق الأندلسيون على السواحل الافريقية وأسسوا معظم ثغور المغرب الأوسط مثل تنس ، ووهران ، وبجانة ، ومرسى الدجاج ، وقد تبع هذا النشاط آثار ثقافية ظهرت بعد ذلك عندما استفحل النزاع بين الأمويين والفاطميين فى بلاد المغرب [3] .

---

(١) عن سياسة أمراء وخلفاء بنى أمية فى هذا الصدد انظر محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، ص ١١٧ ــ ١١٨ .

(٢) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٢١ .

(٣) محمود على مكى : المقال السابق ، ص ١٢٢ .

هذا وقد تضاعف نشاط الدولة الأموية فى المغرب بعد قيام الدولة الفاطمية ويبدو لنا هذا النشاط فى مظاهر شتى منها :

١ ـ كان لحكومة قرطبة عيون ووسطاء منتشرين فى أنحاء المغرب [1] ينقلون لحكومتهم كل الأخبار التى تهمها عن هذه البلاد . وكان يساعد هؤلاء الجواسيس فى أداء مهمتهم وجود جاليات اندلسية كبيرة فى كل مدينة تقريبا ، وهذه الجاليات كانت متمسكة بمذهب الامام مالك وشديدة الكراهية للمذهب الشيعى . وكان الفقهاء يحملون لواء المعارضة ضد الفاطميين ومنهم يحيى بن عمر القرطبى (ت ٢٨٩ هـ/ ٩٠١ م) ، وأبو جعفر بن خيرون وأبو على حسن بن مفرج ، ومحمد الشذونى ، الذين قتلهم الفاطميون (لتفضيلهم الصحابة رضوان الله عليهم على على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

وللدلالة على هذه المقاومة للمذهب الشيعى مذهب الفاطميين أورد هنا نصا جاء فى مخطوطة رياض النفوس الجزء الثانى لأحد فقهاء المالكية يدعى جبلة قد ترك رباطه بقصر الطوب وأقام فى القيروان فقيل له : " أصلحك الله كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وترابط فتركت الرباط والحرس ورجعت الى هاهنا ! " . فقال : " كنا نحرس عدوا بيننا

---

(١) محمود على مكى : المقال السابق ، ص١٢٢ ـ ١٢٣ ـ أحمد مختار العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص٢٠٦ ـ السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ .

وبينه البحر فتركناه وأقبلنا نحرس الذى قد حل بساحتنا لأنه أشد علينا من الروم » (١) .

٢ ـ فى سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م وصل الأمير عبد الرحمن الى الجزيرة الخضراء وضبط البحر ونظر فى الأساطيل ووزعها على السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية للأندلس ، ليقطع بذلك الطريق على الامدادات الفاطمية لابن حفصون الذى دعا لهم وأرسل بيعته الى عبيد الله المهدى .

٣ ـ فتحت الأندلس أبوابها لاستقبال أعداء الدولة الفاطمية مثل أحمد بن الفتح المليلى ـ يكنى أبا جعفر ويعرف بابن الحزاز ـ وكان قاضيا بطليلة وهرب منها الى قرطبة سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م خوفا من جنود الشيعة ، فولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر قضاء بلده ، وهو شاعر وفقيه وتوفى فى طليلة سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م (٢) . وممن استقبلهم الأمويون أيضا حكم بن محمد القيروانى القرشى الذى تعرض لسجن عبيد الله المهدى بسبب مهاجمته للفاطميين ، وكان يتردد بين قرطبة والقيروان (٣) .

---

(١) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٩٨ (نقلا عن المالكى : رياض النفوس ، ج ٢) .

(٢) ابن الفرضى : علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م ، رقم ٢٠٢ ، ص ٦١ .

(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، رقم ٣٧٧ ، ص ١٢١ .

ومن اللاجئين الى الأندلس أيضا ثلاثة من أبناء سعيد بن صالح أمير نكور ، وهم : صالح ، وادريس ، والمعتصم ، الذين عبروا البحر الى مالقة فقام عبد الرحمن الناصر باستقبالهم والاحسان اليهم وخيرهم بين المقام فى مالقة أو القدوم اليه فى قرطبة ، فاختاروا مالقة لقربها من بلادهم[1] وكان ذهابهم الى الأندلس عقب استيلاء مصالة بن حبوس سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م على نكور ، وقتله أميرها سعيد بن صالح ، فلما ترك الشيعة نكور سار صالح بن سعيد اليها وقتل عامل الشيعة ذلول وظل فيها على ولائه لعبد الرحمن الناصر .

وفى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م سار الى نكور موسى بن أبى العافية وكان عليها المؤيد بن عبد البديع بن صالح فاستولى عليها وهدم أسوارها وخربها[2] ثم وليها أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك فبنى المدينة القديمة التى أسسها صالح بن منصور وسكنها الى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م فسار اليه صندل مولى أبى القاسم الشيعى ، فتغلب عليه وقتله وولى مكانه رجلا من كتامة اسمه مرمازوا .

ولما ابتعد صندل عن نكور تراجع أهلها وولوا عليهم موسى بن المعتصم ابن محمد بن قرة بن المعتصم بن صالح بن منصور المعروف بابن روحى وقتلوا

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٤ ـ ٦١٥ ـ انظر أيضا

(1) Levi Provencal ; Historia de Espana, t.IV.p, 309.

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية ، ص ٩٧ .

ومازوا . ثم قام على موسى بن رومى عبد السميع بن جوشم فاخرجه من نكور سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م فسار الى الأندلس ونزل المرية ، ومن رجاله من نزل بمالقة . ثم استدعى أهل نكور جريج بن أحمد وولوه عليهم وكان هذا فى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م وقد استقامت له الأمور الى وفاته (١) .

٤ ــ بث بذور الفتنة بين القبائل البربر (٢) وتأليبها ضد الفاطميين ، اذ نجد أن كلا من الفاطميين والأمويين يعمل على اجتذاب قبائل البربر ناحيته واثارتها ضد الفريق الآخر . فبينما استمال الفاطميون قبائل كتامة اليهم ، استطاع الأمويون استمالة قبائل كثيرة من البربر اليهم وبخاصة من زناتة . وفى هذا الصدد أورد لنا ابن ابى زرع وصاحب نبذ تاريخية نصا يقولان فيه : " وجاز قواد الناصر وجيوشه من الأندلس الى العدوة يقاتلون من خالفهم من البربر ويستألفونهم ويحملون الطائع على المخالف والناصر ممد لمن عجز منهم برجاله مقوى لمن ضعف بماله حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعه أكثر القبائل من زناته وغيرهم من البربر وخطب له على منابره من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة" (٣)

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ــ ٢١٤ .

(٢) انظر الخريطة رقم (٤)

(٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٨٨ ــ مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، نشرها وصححها ليفى بروفنسال ، المطبعة الجديدة برباط الفتح سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ، ج ١ ، ص ٤ .

وكان من أسباب استمالة زنانة لدعوة عبد الرحمن الناصر حقدها على الفاطميين الشيعة[(١)] بسبب تفضيلهم للكتاميين وايثارهم بالمناصب دون غيرهم فعمدوا الى حرب الفاطميين وقد تجلت ذروة حقد الزناتيين على الفاطميين فى ثورة أبى يزيد بن مخلد صاحب الحمار ٠

وكانت قبيلة مغراوة من أوسع بطون زناته ومكانها بأرض المغرب الأوسط الى تلمسان الى جبل مديولة وما اليها ٠ وكان لهم مع اخوانهم بنى يفرن اجتماع وافتراق ، ومن أعظم ملوك مغراوة محمد بن خزر الذى لم يزل ملكه فى ضواحى المغرب الأوسط الى أن قامت الدولة الفاطمية الشيعية فى افريقية فسير عبيد الله المهدى عروبة بن يوسف الكتامى لحرب المغرب ، ثم بعده سير مصالة بن جبوس الذى استولى على أعمال الأدارسة وأدخلهم فى طاعة عبيد الله المهدى ، وولى يحيى بن ادريس بن عمر على فاس ٠ وموسى بن أبى العافية أمير مكناسة وصاحب تازة ، واستولى على ضواحى المغرب ٠

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٢٨

هى احدى قبائل البربر أما عن مواطنهم فهى فى بلاد المغرب فنجد أن ابن خلدون فى العبر ، ج ٧ ، ص ٢ يذكر لنا هذه المواطن فيقول : " فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ٠٠٠ ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحى افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين ٠٠٠ والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينتسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى ٠٠٠ " ٠

وقام عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر بالخروج على طاعة الشيعة وحرض زناتة وأهل المغرب الأوسط على ذلك ، فسير اليهم عبيد الله المهدى قائده مصالة فلقيه محمد بن خزر فى جموع زناتة ، ثم عاد مصالة الى عبيد الله المهدى .

وأرسل عبيد الله المهدى ابنه أبا القاسم لحرب محمد بن خزر فانسحب من أمامه الى الصحراء ، فحارب أبو القاسم قبائل البربر وجدد لابن ابى العافية على عمله ثم عاد .

وقد انتهز الخليفة عبد الرحمن الناصر هذه الفرصة وأرسل رسوله محمد بن عبد الله بن أبى عيسى [1] سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م يطلب من الأدارسة وملوك زناتة نقض طاعة الشيعة ، فاستجاب له محمد بن خزر [2] وطرد عمال الشيعة من الزاب وملك شلف وتنس ووهران وولى عليها ابنه الخير ونشر دعوة الأمويين فى أعمال المغرب الأوسط ما عدا تاهرت التى سار ابن خزر لحربها فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م [3] ، وكان انتصاره على الشيعة تسجيلا لنجاح سياسة عبد الرحمن

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ـ ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٢) انظر نص الرسالة التى أرسلها ابن خزر بالبيعة لعبد الرحمن الناصر فى المقتبس لابن حيان ، ج ٥ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

(٣) انظر نص الرسالة التى أرسلها ابن خزر لعبد الرحمن الناصر عن حربه لمدينة تاهرت سنة ٣١٩ هـ وانضمام ابن أخيه للشيعة فى المقتبس ج ٥ ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٥ .

الناصر في المغرب مع الفاطميين (١) .

ونلاحظ أنه في خلال حروب ابن خزر في المغرب ضد الشيعة كانت المكاتبات تتردد طوال الوقت بينه وبين عبد الرحمن الناصر في قرطبة يطلعه فيها على أحـــوال المغرب وما وصل اليه في حربه مع الشيعة . وكان عبد الرحمن الناصر يرسل اليـه الهدايا ويقويه في حروبه ، كما نجد أيضا الخير بن محمد بن خزر يخاطـــب عبد الرحمن الناصر ويطلعه على ما جرى له مع الشيعة في وهران وما يليها مـــن الساحل (٢) .

وكان عبيد الله المهدي يسير قواده لحرب قبائل البربر في المغرب ، فأرسـل حميد بن يصل ثم ميسور الخصي وبعد فترة انضم حميد بن يصل الى دعوة عبد الرحمن الناصر ، وزحف محمد بن خزر مع حميد بن يصل على تاهرت سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ومعهم الخير بن محمد وأخوه حمزة وعمه عبد الله بن خزر ويعلى بن محمد في قومـه بني يفـرن واستولوا عليها ، كما زحف أيضا محمد بن خزر في قومه على بسكرة (٣) وفتحها .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٦ .

(٢) انظر نص رسالة الخير بن محمد بن خزر الى عبد الرحمن الناصر يطلعه فيها على ما جرى له من الحروب مع الشيعة . في كتاب ابن حيان المقتبـس ج ٥ ، ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ .

(٣) بسكرة : بلدة في المغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان ... وبينها وبين طبنة مرحلة ... وكما يقول ياقوت هي مدينة مسـورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة . انظر ياقـوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٢٢ .

ولما خرج الخليفة الفاطمى المنصور من حصار أبى يزيد صاحب الحمار ، زحف الى المغرب خاشيا من ابن خزر نظرا لخروجه على طاعة الفاطميين ، فخاف محمد ابن خزر وتقرب الى الخليفة الفاطمى المنصور الذى أوعز اليه بطلب أبى يزيد صاحب الحمار ووعده بالمال فى حالة ظفره به وكان معبد أخو محمد بن خزر مع أبى يزيد فلما مات أبو يزيد قتل المنصور الفاطمى معبد فى الوقت الذى كان فيه محمد بن خزر وابنه الخير متغلبين على المغرب الأوسط [1] .

وفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١ م وفد على عبد الرحمن الناصر أيضا فتوح بن الخير مع مشيخة تاهرت ووهران فتقبل منهم الطاعة وأجازهم وصرفهم الى أعمالهم [2] .

ثم قامت فتنة بين مغراوة وصنهاجة [3] وانشغل محمد بن الخير وابنه خزر بحروبهم وتغلب يعلى بن محمد على وهران وخربها وولى عبد الرحمن الناصر ابن يصل على تلمسان وأعمالها ويعلى بن محمد على المغرب وأعماله .

وفى أواخر عهد عبد الرحمن الناصر راجع محمد بن خزر طاعة الشيعة ، ووفد على المعز لدين الله الفاطمى فاكرمه ، وسار مع جوهر غلام المعز فى حربه للمغرب

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٢٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٣) مغراوة من أوسع بطون قبيلة زناتة ، أما صنهاجة فهى حليفة الفاطميين .

ثم هلك سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م وهى السنة التى توفى فيها عبد الرحمن الناصر وانتشرت دعوة الشيعة فى المغرب فى حين ظل الوجود الأموى مستمرا فى سبتة وطنجـة ولم يفلح الفاطميـون فى القضاء عليه (١) .

وهناك بعض القبائل البربرية التى تعد فى نظر كثير من نسابة البربر من بطون زناتة قد انضمت لعبد الرحمن الناصر مثل ازداجة وموطنهم بالمغرب الأوسط ناحية وهران . وكان قد نزل وهران محمد بن أبى عون ومحمد بن عبدون من رجال الدولة الأموية وقاما بالدعوة فيها لعبد الرحمن الناصر وداخلا بنى مسكـن ، فلما قامـت دولة الفاطميين وملك عبيد الله المهدى تاهرت أمر دواس بن صولات (٢) بحصـار وهران وانضم اليهم بنى مسكن واضرمت فيها النار وفر محمد بن أبى عون ولكـن دواس جدد بناءها وأعاد اليها محمد بن أبى عون (٣) .

ومن زناتة أيضا بنو يفـرن ولهم بطون كثيرة . ففى افريقية منهم بنو واركـو ومرنجيصـة وغيرهم . ويوجد منهم أيضا بنواحى تلمسان ما بينها وبين تاهـرت عدد كبير وهم من اختطوا مدينة تلمسان (٤) .

وكان يعلى من بنى يفرن قد أجاب عبد الرحمن الناصر الى دعوته ودخل فى طاعته مع قومه ، وملك وهران سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤م من يد محمد بن أبى عـون كما سار يعلى مع الخير بن محمد بن خزر واستوليا على تاهرت وحاربا ميسور الحصـى

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ٢٦ .

(٢) دواس بن صولات احد قادة الشيعة .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ١٧

وشيعته وعلا سلطان يعلى فى المغرب وخطب لعبد الرحمن الناصر على منابره من تاهرت الى طنجة [١] .

وقد عمل عبد الرحمن الناصر على تولية رجاله على امصار المغرب، فولى محمد بن الخير بن محمد بن عشيرة على فاس فحكمها سنة ثم جاز الى الأندلس للجهاد ، وولى على عمله ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الذى اختط مأذنة القرويين [٢] .

وقد ظل سلطان يعلى بن محمد اليفرنى فى المغرب حتى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى الذى قام بغزوة ، وسارع يعلى الى الدخول فى طاعته ولكن المعز لدين الله لم يلبث أن فتك به فيما بعد [٣] .

وأيضا من الأشخاص المهمين فى المغرب والذين كان لهم دور كبير فى محاربة الفاطميين موسى بن أبى العافية الذى انضم الى عبد الرحمن الناصر وأصبح بانضمامه اليه خطرا كبيرا يهدد أمن وسلامة الدولة الفاطمية [٤] . وكان موسى صاحب تسول وتازة [٥] وملوية ووجده [٦] ، وكان اتصاله بعبد الرحمن الناصر والدخول فى طاعته

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ١٧

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ١٧ ــ انظر فيما بعد الفصل الخامس

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ١٧ ــ ١٨ .

(٤) صابر محمد دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٣ م ، ص ١١٣ .

(٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٨٠ .

(٦) مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، ج ١ ، ص ٤٨ .

سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩م [١] ، وبعضهم قال فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م [٢] . وقد ذكر لنا عيسى الرازى أن عبد الرحمن الناصر فى موالاته لهؤلاء البربر كان يرغب فى ارتجاع سلطان آبائه وأجداده على المشرق [٣] .

وقد عمل موسى بن أبى العافية وابن خزر على نشر دعوة الأمويين فى المغرب ولكن فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣٠ م وقع خلاف بين موسى بن أبى العافية ومحمد ابن خزر ، فعمل عبد الرحمن الناصر على اصلاح هذا الخلاف لأن حدوثه لم يكن فى صالح الدعوة الأموية فى المغرب ، ولأن موسى قبل انضمامه الى عبد الرحمن الناصر كان فى طاعة الفاطميين . وكان رسول عبد الرحمن الناصر اليهما فى الصلح محمد بن عبد الله بن أبى عيسى [٤] ــ أما سبب الخلاف فهو مهاجمة محمد بن خزر لمدينة جراوة واستغاثة أهلها بموسى فطلب موسى من ابن خزر أن يعقد ا صلحا معا ولكن ابن خزر فر هاربا ــ وقد حث عبد الرحمن الناصر موسى بن أبى العافية على نشر دعوة الأمويين فى المغرب ، وعينه قائدا له هناك حتى يوطد أمور

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٩ ــ الناصرى : الاستقصا ج ١ ، ص ١٨٨ ــ بينما ذكر ابن أبى زرع فى : الأنيس المطرب ، ص ٨٥ أنه انضم الى عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٠ هـ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٧ ــ ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : م ١ ، ص ١١٧ . أيضا انظر : نص رسالة عبد الرحمن الناصر الى الأمراء الموالين له فى العدوة بشأن موضوع ارتجاع سلطانه فى المشرق فى المقتبس ج ٥ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٧ .

(٤) انظر : نص رسالة موسى بن أبى العافية الى عبد الرحمن الناصر بشأن خلافه مع محمد بن خزر وجواب عبد الرحمن الناصر اليه فى هذا الشأن . فى المقتبس ج ٥ ، ص ٣٠٨ ــ ٣١٢ .

البلاد ويمهد له السبيل لارتجاع ملك آبائه فى المشرق ، وأن كل ما يستولى عليه فى المغرب هو اقطاع له ولأولاده من بعده مكافأة من أمير المؤمنين لمحبته واخلاصه .

وفى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م أرسل موسى بن أبى العافية الى عبد الرحمن الناصر برسالة يذكر فيها ما حدث بينه وبين الفاطميين ، حيث سار حميد بن يصل قائد الفاطميين الى ناحية تلمسان طامعا فى مهاجمتها ، ولكن عندما علم بوجود موسى فى جراوة وارشقول ومدى قوته ، عاد مرة أخرى الى تاهرت حيث أمده عبيد الله المهدى بجيش كبير وخصوصا وهو يرى مدى قوة الدعوة الأموية وانتشارها بالعدوة مما اضطر موسى بن أبى العافية أن يطلب المدد من عبد الرحمن الناصر لمواجهة قوات الشيعة . فكان جواب عبد الرحمن الناصر اليه أن سير الى سبتة قاسم بن طملس فى جيش كثيف لمساعدته ، كما وجه فى نفس الوقت رسالة الى البربر الذين فى طاعة الأمويين بالاجتماع الى موسى بن أبى العافية لمقاتلة الفاطميين (١) . ثم فى نفس هذه السنة أى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م فى شهر رمضان أرسل موسى الى عبد الرحمن الناصر رسالة أخرى بالبشرى بما فتحه الله عليه وانهزام الفاطميين وعودتهم الى تاهرت مرة أخرى (٢) .

وفى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م وجه موسى بن أبى العافية رسالة الى عبد الرحمن الناصر يذكر فيها ماكان من الفاطميين بعد وفاة عبيد الله المهدى وتولى

---

(١) انظر : نص الرسالة التى وجهها الخليفة عبد الرحمن الناصر للبربر فى المقتبس لابن حيان ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ – ٣٣٠ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .

ابنه أبو القاسم حيث سير قائده ميسور الخصى وابن أبى شحمة الكلبى لقتال البربر الموالين للأمويين ودعوتهم الى خلع طاعة عبد الرحمن الناصر ففر كثير من البربر منهم واعتصموا بمعاقلهم وقلاعهم (١) .

ولما يئس ميسور الخصى وابن أبى شحمة من البربر وجهوا رسالة الى أميرى فاس محمد بن ثعلبة وأحمد بن بكر للدخول فى طاعة الفاطميين واعطاهما الأمان والعهد . فلما سار الأميران اليهما غدرا بهما ، وعندما رأى أهل فاس ذلك أقفلوا أبوابهم فى وجه جيش الفاطميين ، فسار الجيش حتى نزل على مسافة ستة أميال من موقع موسى بن أبى العافية ، وأرسل قائد الفاطميين رسالة الى موسى فلما لم يلق منه جوابا زحف اليه ، وانتصر موسى على جيش الفاطميين ، ولكن جيش الشيعة أعاد الكرة على جيش موسى فى اليوم التالى فكان النصر حليف موسى ابن أبى العافية (٢) .

وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م أى بعد وفاة عبيد الله المهدى وتولى أبنه أبو القاسم الذى كان على خلاف مع اخوته فى المهدية حتى فاز بالسلطة ، سار جيش الفاطميين بقيادة ميسور لمحاربة موسى ولكن عندما علم ميسور بقيام أهل تاهرت

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ انظر نص هذه الرسالة التى أرسلها موسى بن أبى العافية الى عبد الرحمن الناصر بما وقع له من حروب مع الفاطميين فى سنة ٣٢٢ هـ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ و ص ٣٥١ ، جواب عبد الرحمن الناصر لموسى على رسالته تلك .

على عامل الفاطميين أبى مالك بن شحمة ، وانضمام القبائل البربرية اليهم أصابه هو وجنوده الخوف من جراء ذلك وتفرقوا . وسارعت قبائل البربر بالانضمام الى موسى ابن أبى العافية الذى أرسل رسالة الى عبد الرحمن الناصر بذلك وقد أبدى موسى فى رسالته هذه أن يمهد له الناصر لدين الله يضبط مدينة طنجة وأصيلا ليكونا عونا له فى سياسته فى المغرب (١) .

وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م وصل كتاب آخر من موسى الى عبد الرحمن الناصر يعلمه بمسير جيش الفاطميين والأدارسة أبناء محمد وعمر المعروفين ببنى ميالة لحربه وكانت هذه الرسائل تصف أحوال الفاطميين فى المغرب ومدى ما وصلوا اليه من الكفر والالحاد والعبث باعراض الناس وأموالهم (٢) .

وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م هزم ميسور الخصى موسى بن أبى العافية فتحصن موسى فى موضع يقال له تاكرت فدعاه ميسور الى الرجوع الى طاعة الفاطميين فلم يجبه الى ذلك (٣) وفى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م أرسل عبد الرحمن الناصر أسطولا من قبله لمساعدة موسى بن أبى العافية (٤) .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ، ص ٣٦٩ ــ ٣٧١ ــ انظر نص هذه الرسالة حرب موسى مع الفاطميين والتى أرسلها الى عبد الرحمن الناصر يطلعه بتفاصيل المعركة ويطلب منه فى ضبط مدينة طنجة واصيلا ويشرح له فائدتهما ص ٣٦٩ ــ ٣٧١ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ . انظر تفاصيل هذه الأشياء التى يشرحها موسى بن أبى العافية فى رسالته لعبد الرحمن الناصر ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٤

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٧٤ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ، ص ٣٨٢ .

وكان موسى بن أبى العافية قد علم بنبأ انهزام ميسور قائد الفاطميين مع صندل أمام مدينة فاس ورجوعهما عنها [١] ، كما قبض ميسور على ابراهيم بن ادريس الحسنى صاحب ارشقول وسجنه ، ثم التقى ميسور بمحمد بن أبى عون الذى لاطفه فتركه بعد أن شدد عليه بالتزام طاعة الفاطميين [٢] .

وأيضا فى سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م أرسل موسى بن أبى العافية كتابا الى عبد الرحمن الناصر يذكر فيه استعادته لقوته وعودته الى أراضيه واحتلاله لقلعة حرماط ومعه أهله ومواليه وأنصاره وأنه أوقع الرعب فى قلوب الأدارسة فهابوه وحاول الأدارسة من بنى محمد وعمر التقرب الى موسى فرفض أن يكون هناك تقارب الا بعد مشاورة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر [٣] .

وطلب موسى بن أبى العافية من عبد الرحمن الناصر مساعدته فى بناء قلعة جاره وأن يمده بالعمال والآلات وهذا نظرا لما لهذه القلعة من أهمية حيث يتاح له التحصن فيها ضد أى خطر وخصوصا من الفاطميين المتربصين به ، وما يقومون به من اغرائه فى ترك عبد الرحمن الناصر ودعوته مقابل ترك المغرب له . وقد أجابه عبد الرحمن الناصر الى ما طلب وأرسل اليه محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ - أنظر أيضا
Levi Provencal; Historia de Espana, t.IV. 315.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، انظر نص رسالة محمد ابن أبى عون الى عبد الرحمن الناصر فى هذا الصدد ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

مع العمال والآلات اللازمة لذلك [1] .

وفى سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م يذكر لنا الرازى ارسال موسى بن أبى العافية لرسالة أخرى الى عبد الرحمن الناصر يطلعه فيها على أحوال الفاطميين وما جرى معه فى المغرب . فبعد وصول أسطول عبد الرحمن الناصر اليه حارب به مدينة نكور وقتل من استحق القتل وأمن التجار ، ثم سار بالأسطول واستولى على ارشقول [2] وكان بها ابن أبى العيش وخرب ما كان الفاطميون قد قاموا ببنائه فيها . واستولى على المراكب ثم توجه الى مدينة جراوة بعد أن ضبط الساحل ووقعت بينه وبين ابن أبى العيش حرب واعتصم ابن أبى العيش بالقلعة بعد أن تفرق أنصاره عنه واستولى موسى على جراوة وعلى ما فيها من المؤن والذخائر . وفى هذه الأثناء كانت مدينة تاهرت خالية من الفاطميين بعد أن قبض أبو القاسم الفاطمى على ميسور الخصى

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٧ ، وانظر : نص رسالة موسى الى عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٤ هـ ، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

(٢) ارشقول : مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة وهى على نهر تافنى وهو نهر كبير تدخل فيه السفن . والمدينة قريبة من البحر تصل اليها المراكب اللطاف . انظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، نشر وتعليق سعد زغلول ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ١٣٤ . قبل هذه الحملة كانت هناك غارة للأسطول الأندلسى على أرشقول فى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م وفشل الأسطول الأندلسى فى الاستيلاء عليها ، ثم تعرضت هذه المدينة للنهب فى سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ونقل أهلها الى الأندلس . انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الأول ، ص ٦٢٢ ، مادة ارشجول . أيضا انظر ما ذكر عن هذه المغارة فى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م فى كتاب أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٢ .

لأمر ازعجه فيه فسجنه (١) .

وقد أخذ مدين بن موسى فى تضييق الحصار على ابن أبى العيش فى قلعة حتى أجبره على التسليم والرجوع الى طاعة عبد الرحمن الناصر . هذا بالاضافة الى توطيد العلاقات وحدوث الصلح بينه وبين محمد بن خزر وارتباطهما برباط المصاهرة ليكونا قوة كبيرة ضد أعداء الدولة الأموية فى المغرب ، وبذلك تمتع المغرب بالهدوء والرخاء . وكان عبد الرحمن الناصر قد عهد الى موسى ببناء مدينتين فى المغرب فأرسل موسى له رسالة يخبره فيها بظهور البنيان فى المدينتين ، كما طلب فى نفس الوقت استبدال المشتغلين فيها بغيرهم نظرا لما لحقهم من التعب لبعدهم من أوطانهم (٢) .

وفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ارسل أبو منقذ بن موسى بن أبى العافية رسالة الى عبد الرحمن الناصر مطلعا أياه بأخبار الفاطميين فتقبل عبد الرحمن الناصر ذلك منه فأرسل له هدية حسنة كما أرسل له شقيقه مدين رسالة يذكر فيها حصاره لفاس وذلك بسبب غدر بنى ادريس بن عمر وانضمامهم لبنى محمد فوقعت بسبب هذا حروب شديدة بينه وبينهم وهزمهم ، وقد تأثر عبد الرحمن الناصر من موقف الأدارسة هذا بعد أن قدموا له الطاعة . وعندما علم الأدارسة بكتاب مدين

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤١٣ ــ ٤١٥ ، وانظر نص رسالة موسى الى عبد الرحمن الناصر بهذا الشأن ، ص ٤١٣ ــ ٤١٥ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤١٥ .

الى عبد الرحمن الناصر الذى شرح له فيه موقفهم ، وأرسلوا الى عبد الرحمن الناصر كتابا آخر ينكرون فيه ما فعلوه فأعرض عبد الرحمن الناصر عنهم [١] .

وفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ورد لعبد الرحمن الناصر رسالة من مدين بن موسى بن أبى العافية يذكر فيها وفاة والده موسى ، فرد عليه عبد الرحمن الناصر برسالة عزاء وسجل له على أعمال أبيه من طليطلة وغيرها من مدن العدوة [٢] .

ولقد اختلفت المصادر فى ذكر وفاة موسى بن أبى العافية حيث أن بعضها ذكر أنها فى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م [٣] ، بينما ذكر البعض الآخر انه توفى فى سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م [٤] ، والراجح على ما يظهر انه توفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م كما يذكر ابن حيان فى كتابه [٥] . أما بالنسبة لموقف موسى بن أبى العافية من الأدارسة فنجد أنه فى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م [٦] سار بحملة الى فاس وأخرج

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٢٦ — ٤٢٧ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .
(٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٨٦ — ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢١٦ — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ م ١ ، ص ١١٧ .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٣٤ .

منها يحيى بن ادريس الذى لحق ببنى عمه فى البصرة والريف ، ثم عاد موسى ودخل فاس فى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م على أثر ثورة الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس وأجلى منها الأدارسة الى حجر النسر وحاصرهم هناك فترة ثم تركهم [١] .

وفى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ولى ابنه مدين على عدوة القرويين وطوال بن أبى يزيد على عدوة الأندلسيين وأخذ تلمسان من يد الحسن بن أبى العيش بن عيسى بن ادريس [٢] وفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م حاصر أسطول الناصر لدين ارشقول ثم ارتد عنها الى الأندلس [٣]

ولم يرض هذا الوضع عبيد الله المهدى فسير الى موسى قائده حميد ابن يصل صاحب تاهرت سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣م فدخل فاس وفر منها ابن موسى ولحق بأبيه وولى حميد عليها حامد بن حمدان الهمذانى الذى ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى فقتل حامد فى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م وأرسل برأسه الى موسى وعادت الدعوة مرة أخرى فى فاس باسم عبد الرحمن الناصر [٤] .

---

(١) البكرى : المغرب ، ص ١٢٧ – ١٢٨ – ليفى بروفنسال : نخب تاريخية ص ٢٧ .

(٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٨٤ – ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣١٢ – ٣١٣ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ وأيضا انظر ص ٦١٧ حيث ظل النفوذ الأموى فى فاس حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس .

وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م سار ميسور الى فاس فخرج اليه واليها أحمد ابن بكر فقبض عليه وأرسله الى المهدية ، وأقام أهل فاس عليهم حسن بن قاسم اللواتى الذى ظل واليا عليهم حتى عاد أحمد من المهدية الى فاس فترك له حسن بن قاسم الولاية (١) .

وفى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م حاول الأدارسة من بنى محمد وبنى عمر التقرب من موسى بن أبى العافية فرفض أن يكون هناك تقارب الا بعد مشاورة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر (٢) .

وفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م أرسل مدين بن موسى ابنه محمد الى عبد الرحمن الناصر مع وفد فأحسن عبد الرحمن الناصر استقبالهم وضاعف لهم الهدايا والجوائز (٣).

وفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م وقع خلاف بين الخير بن محمد بن خزر الزناتى ومدين بن موسى بن أبى العافية فكان الخلاف بسبب الرئاسة فوقعت حروب كثيرة فسير عبد الرحمن الناصر القاضى منذر بن سعيد الى العدوة لحل هذا الخلاف ، كما كتب الى عبد الله بن خزر عم الخير والى داود بن صالة بمعاونة منذر على أداء مهمته فى الصلح (٤) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٠٥

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٧ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ــ ٦٠ م .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٦٠ .

وكان عبد الرحمن الناصر قد عقد لمدين بن موسى الولاية على أعمال أبيه وقسم المغرب بينه وبين أخويه البورى وأبى منقذ . وسار البورى الى عبد الرحمن الناصر الذى عقد له أيضا ، وقد ظفر البورى بالحسن بن عيسى الذى لجأ الى ارشقول وبعث به الى عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م [١] .

وفى سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م توالت الرسل بين الأدارسة وأبناء أبى العيش والبورى بن موسى الى بلاط قرطبة وهلك البورى بن موسى بن أبى العافية فى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م وولى عبد الرحمن الناصر ابنه منصور على عمله ، ثم توفى مدين وعقد عبد الرحمن الناصر لأخيه أبى منقذ على عمله ، ثم علا نجم مغراوة وغلبت على فاس واستفحل أمرهم بالمغرب [٢] .

ولم يقتصر أمر المنضمين الى طاعة عبد الرحمن الناصر على البربر بل شمل أيضا بعضا من قادة الفاطميين . فنجد أنه فى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م [٣] يصل الى عبد الرحمن الناصر كتاب من على بن حميد الكتاس قائد الشيعة يعلن له دخوله فى طاعته ويتبرأ من الشيعة مستغفرا ، ويخبره أنه انضم الى محمد بن خزر أمير زناته الذى قربه منه ، فقبل عبد الرحمن الناصر طاعته وأرسل اليه بهدية حسنة .

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية ، ص ٧٨ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٨٤ – ابن خلدون : العبر ج ٦ ، ص ١٣٦ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ص ٤٥٩ .

وانضم الى عبد الرحمن الناصر أيضا حميد بن يصلتين قائد الفاطميين حيث انحرف عن دعوتهم ودعا للأمويين [١] ، وفى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م سار الى قرطبة ابن عم حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون من وجوه كتامة الخارجين على الفاطميين ، فأحسن عبد الرحمن الناصر استقبالهم وغمرهم بكرمه وصلاته [٢] .

وفى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م وصل حميد بن يصل المكناسى الى قرطبة حيث استقبل أحسن استقبال ثم استقبله عبد الرحمن الناصر بقصر الزهراء سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م [٣] .

وفى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م قدم وفد من جزائر بنى زغنان احدى مدن الشيعة بكتاب من أهل الجزائر الى عبد الرحمن الناصر يعلنون له فيه طاعتهم وخروجهم على الفاطميين ، كما يطلبون منه فى نفس الوقت أن يوسل اليهم عاملا من قبله فأجابهم الى ما سألوه [٤] .

وفى سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م [٥] سار حمزة بن ابراهيم صاحب جزائر بنى مزغنا [٦]

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٦٠ ــ ٤٦١ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٦) جزائر بنى مزغناى : من مدن المغرب وهى مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا ، وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثيرة وأكثر أموالهم المواشى من البقر والغنم سائمة فى الجبال ولهم من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين ويجلب الى القيروان وغيرها . ولها جزيرة فى البحر على رمية سهم منها تحاذيها فاذا نزل بهم عدو لجؤوا اليها فكانوا فى منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه . انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ــ ٧٨ .

الى قرطبة يعلن للناصر لدين الله انضمامه اليه فأكرمه عبد الرحمن الناصر وخلع عليه ثم أعاده الى بلاده .

٢ - دخول بعض أمراء الأدارسة في طاعة عبد الرحمن الناصر

على الرغم من بغض الأمويين للأدارسة العلويين الا أنهم عطوا على تقريبهم اليهم ليستطيعوا مد نفوذهم في المغرب ومحاربة الفاطميين أعدائهم . ومن أمراء الأدارسة الذين دخلوا في طاعة عبد الرحمن الناصر واستجابوا لدعوته أمير ارشقول ادريس بن ابراهيم السليماني الحسني الذى كاتب عبد الرحمن الناصر في سنة ٣١٦هـ /٩٢٨م ، فقبل منه طاعته وثبته في ولايته وأجزل له المكافأة (١) .

وفي سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩ م بعث الأمير ادريس بن ابراهيم السليماني الحسني برسالة الى الحاجب موسى بن حدير يصف فيها بغضه للفاطميين وما جرى له من أبناء عمه الأدارسة ، حيث ذكر أنهم قوم متآلفين حتى قيام دولة عبيد الله المهدى ، فانضم اليه أكثر الأدارسة ، ولكنه كره ذلك وآثر الانضمام لعبد الرحمن الناصر فأثار بذلك عليه بقية أبناء عمومته الذين تبرأوا منه لمناصرته للأمويين أعدائهم ، وتعاونوا على حربه وكان المحرض لهم على حربه محمد بن ادريس وابن أخيه الحسن بن عيسى المعروف بابن أبي العيش (٢) .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، وانظر : نص رسالة ادريس بن ابراهيم لعبد الرحمن الناصر ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

وكان من ضمن الأدارسة الذين انضموا لعبد الرحمن الناصر القاسم بن ابراهيم الحسنى الذى بدأ مكاتبة لعبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م فقبل الناصر لدين الله ببيعته وأجزل له المكافأة ، كما انضم لعبد الرحمن الناصر أيضا الحسن بن عيسى الحسنى فى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م[١] .

كما انضم ابن أبى العيش لعبد الرحمن الناصر بعد وفاة أبيه حيث قطع الدعوة للعبيديين فى جميع بلاده وبايع لعبد الرحمن الناصر ، فلم يقبل الناصر لدين الله بيعته الا بعد أن يسلمه مدينة سبتة وطنجة ، فامتنع ابن أبى العيش ، ولكن عبد الرحمن الناصر استولى عليهما منه ، وقد ظل بعد ذلك ابن أبى العيش هو وأبناء عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلا فى طاعة عبد الرحمن الناصر[٢] .

وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م أرسل ابراهيم وأبى العيش ابنى ادريس الحسينيين رسالة الى عبد الرحمن الناصر مجددين عهد الطاعة له ، ويخبرانه فيها بما جرى على موسى بن أبى العافية من هزيمته أمام الفاطميين وفراره الى الصحراء ويظهر أن لعبد الرحمن الناصر ان ما كان من مداهنتهم للفاطميين انما هو لاتقاء شرهم[٣] . وقد جاز ابن أبى العيش الى الأندلس مجاهدا فى سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦٥ .
(٢) انظر الفصل الرابع وما ذكرته فيه عن سبتة ، ص ٢٣٩
(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٦ ، وانظر نص رسالة ابراهيم وأبى العيش لعبد الرحمن الناصر ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

بعد أن استخلف أخاه الحسن بن قنون على ما بيده من أعمال أبيه [١] .

وفى سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م قام بنو محمد بن القاسم بمحاولة هدم مدينة تطوان ، ثم عادوا مرة أخرى يبنون ما كانوا قد هدموه فيها ، فتضايق أهل سبته من ذلك بحجة ما سوف يعود من ضرر على مدينتهم ، فجهز عبد الرحمن الناصر حملة بقيادة أحمد بن يعلى سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢م وطلب فى نفس الوقت من حميد بن يصل واليه على تهجيساس بالتقدم الى سبتة ومعاونة أحمد بن يعلى فى حرب بنى محمد [٢] .

وعند ما اجتمع العسكران أرسل حميد بن يصل الى بنى محمد على بن معاذ فأجابوه بالتخلى عن مدينة تطوان وبعثوا بأبنائهم الى عبد الرحمن الناصر وهم حسن ابن أحمد الفاضل بن ابراهيم بن محمد ، ومحمد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم فوصلا قرطبة سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م . كما وصل الى قرطبة سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م يحيى بن حسن بن أحمد الفاضل وحسن بن محمد بن عيسى وقد ظل الاثنان فى قرطبة الى وفاتهما حيث توفى يحيى سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م ، وتوفى حسن فى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م [٣] .

وفى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م أرسل ابراهيم بن العلاء ، وعلوان بن سواقة وجماعة من أهل مدينة أصيلا من مدن العدوة رسالة الى عبد الرحمن الناصر يؤكدون

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢١٩ .
(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية ، ص ١٣٠
(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٣١ .

له فيها أمر طاعتهم ، ويذكرون له مدى أهمية مدينتهم أصيلا من حيث اشرافها على ساحل البحر وكونها بابا مشرعا الى الأندلس .

وعند ما علم الأدارسة من بني محمد بانضمام مدينة أصيلا الى عبد الرحمن الناصر ، ساروا مجموعهم بغية الاستيلاء عليها فقاتلهم أهل أصيلا وانتصروا عليهم ثم سارعوا الى موالاة موسى بن أبي العافية ، وطلبوا من عبد الرحمن الناصر ارسال قوة اليهم حتى لا يطمع فيهم أي طامع بعد هذا ، فأمر محمد بن اصبغ عامل سبتة بانفاذ القوة اليهم (١) .

وانضم الى عبد الرحمن الناصر من أهل العدوة منصور بن سنان سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م اذ وجه اليه بخطاب مع هدية حسنة أعجبت عبد الرحمن الناصر لغرابتها بأرضه فاسجل له على عمله وأجزل له المكافأة (٢) .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٢٥ـ ٣٢٦

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٦١ .

٣ ـ توطيد عبد الرحمن الناصر لعلاقته بدولة بنى رستم فى تاهرت

لكى نعرف المنهج الذى سار عليه عبد الرحمن الناصر فى توطيد علاقته مع بنى رستم فى تاهرت ، لابد لنا من أن نعرف الطريقة التى سار عليها من سبقه من حكام الدولة الأموية فى علاقتهم مع هذه الدولة .

الواقع أن أمراء بنى أمية فى الأندلس ارتبطوا مع الدولة الرستمية فى تاهرت برباط الصداقة والمودة ، اذ أن العباسيين الذين حاولوا القضاء على بنى أمية فى الأندلس ، كانوا فى الوقت نفسه أعداء للدولة الرستمية فى تاهرت ، ولقد كان لقيام الدولة الرستمية فى تاهرت دور كبير فى تمكين دولة الأمويين فى الأندلس من الرسوخ والثبات والازدهار ، كما كانت فى الوقت نفسه الجسر الذى يصل الأمويين بالمشرق فلا عجب والحالة هذه أن ترتبط الدولتان بعلاقات صداقة ومودة . هذا الى جانب العلاقة التجارية حيث كانت السفن تتردد بين وهران والمرية حاملة البضائع والتجار والعلماء وتبعا لذلك كانت فى تاهرت عاصمة الرستميين جالية كبيرة من الأندلسيين [1]

وقد توثقت علاقة الأمويين فى الأندلس بالرستميين فى تاهرت وخاصة فى عهد عبد الرحمن الأوسط [2] . فعندما تولى الأمير عبد الرحمن الأوسط عرش البلاد فى الأندلس أرسل عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وفدا الى البلاط القرطبي لتقديم

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ ــ ٥٧٠

(٢) بدأ عهده من سنة (٢٠٦ هـ / ٨٢١ م الى سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) ووافق فترة اعتلائه العرش امامة عبد الوهاب بن رستم ثم امامة ابنه أفلح .

التهانى الى عبد الرحمن الأوسط[1] • واستمرت علاقة المودة والصداقة حتى وفاة الأمير عبد الرحمن وتولى ابنه الأمير محمد عرش البلاد حتى اننا نجد أن أبا اليقظان محمد بن أفلح حاكم الرستميين لا يقدم ولا يؤخر فى أموره ومشكلاته دون الرجوع الى رأى ومشورة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) اذ كانوا يستمدون منه النصح والعون ، وكان الأمير محمد من جانبه شديد الاهتمام بأمورهم وأخبارهم وأخذت الرسل تتردد بينه وبينهم تطلعه على أحوال بنى العباس فى الشرق وأحوال وأخبار عمالهم وولاتهم فى افريقية والشام[2] •

وفى بحثنا عن مظاهر الصداقة بين الأمويين فى الأندلس والرستميين فى تاهرت نجدها تتجلى فى مظاهر كثيرة منها على سبيل المثال التهنئة بالانتصارات وتبادل الهدايا ، وتبادل المنتجات حيث كانت تاهرت تصدر منتجاتها الى قرطبة ، كما كانت تمد الجيش الأموى فى قرطبة باعداد كبيرة من البربر ، هذا بالاضافة الى هجرة عدد من الأمراء الرستميين الى قرطبة حيث تولوا مناصب رفيعة فى الدولة الأموية فى الأندلس[3] •

---

(١) كان الوفد مكونا من ثلاثة من أبناء عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذى كان يهدف من ارسال هذه السفارة الى الأمير الأموى عبد الرحمن الأوسط أن يحصل على مساعدات الأمويين بالأندلس لأن دولة بنى رستم كانت تشعر بالخطر من جانب الأغالبة ، ومن جانب الأدارسة من ناحية أخرى وذلك بسبب الخلاف المذهبى بينهما وبين كل منهما • وقد بادر الأمويون فى الأندلس الى تقديم المساعدات لبنى رستم • انظر فى هذا الصدد :

(1) Levi Provencal; Historia de Espana, t.IV, P,159.

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ص ٣١٤ •

(٣) خير الله طلفاح : حضارة العرب فى الأندلس ، ص ١٨٢ •

واستمرت علاقة المودة والصداقة بين الأمويين فى الأندلس والرستميين فى تاهرت حتى أواخر عهد الأمير عبدالله فى الأندلس حيث نجد فى سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م أبو عبدالله الشيعى مؤسس الدولة الفاطمية فى افريقية يتمكن من دخول تاهرت واحراق مكتبتهم المعصومة ولكن الرستميين استطاعوا الاستمرار وظلوا فى جبل اوراس وجبل بنى راشد وفى واحة ورجلان فى الصحراء وفى جبل نفوسه وفى جزيرة جربه (١) .

والواقع أن الكثير من المصادر والمراجع لا تقدم لى الكثير من المعلومات عن علاقتهم فى هذه الفترة بالدولة الأموية فى الأندلس فى خلال فترة تولى عبد الرحمن الناصر لعرش الأندلس (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١م) • ومن الطبيعى جدا انه بعد تولى عبد الرحمن الناصر لعرش الأندلس ونظرا للعداء الذى ربط بين دولته فى الأندلس والفاطميين فى المغرب ، أن يعمل على توطيد نفوذه فى المغرب حتى يتسنى له مقاومة النفوذ الفاطمى •

فبالاضافة الى ما سبق من خطوات فى مقاومة الفاطميين فى المغرب ، فقد اتجه عبد الرحمن الناصر لتوطيد علاقته ببنى رستم كما فعل من سبقه من الحكام الأمويين فواصل سياسة التودد والصداقة مع بقايا الرستميين (٢) .

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٦٥ •

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨١ •

٤ ـ تشجيع عبد الرحمن الناصر لأبى يزيد بن مخلد بن كيداد الثائر على الخلافة الفاطميـــة •

بعد وفاة عبيد الله المهدى رأى الناس أن كابوسه قد انزاح عنهم واطلقت الكثير من القبائل البربرية العنان لنفسها فى استرداد حريتها والخروج على خلافائه واضطربت أحوال البلاد وعمتها الثورات ومن أهمها ثورة أبى يزيد بن مخلد المعروف بصاحب الحمار وكانت هذه الثورة من أشد الثورات على الفاطميين فى المغرب نظـرا لاستمرارها فترة طويلة من الزمن والعجز الفاطميين عن القضاء عليها ، ووصلت قوتها درجة كبيرة حتى أنها زعزعت ملك الفاطميين وكادت تقضى عليهم ولم يبق لهم سوى المهدية ، ولكن الخليفة الفاطمى المنصور تمكن فيما بعد من القضاء عليها •

أما أسباب هذه الحركة فهى تبدو لنا واضحة اذ اتخذت هذه الحركة طابعـا وطنيا يقصـد انشاء حكومة من البربر ليس فيها العرب أى نصيب ، اذ أن البربر الذين أسهموا فى اتمام فتح المغرب وفى فتح بلاد الأندلس ونشر الاسلام فى هـذه البلاد وبذلوا الكثير من أجل ذلك ، بالاضافة الى مساعدتهم للفاطميين فى اقامة حكمهم فى المغرب رأوا أن جهودهم هذه ليس لها أى تقدير وأنهم لم يحصلوا على ثمار أعمالهم[1] ، ولذلك تزعم أبو يزيد هذه الثورة ليستعيد البربر سلطانهم•

وصاحب هذه الثورة هو أبو اليزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن رويب بن سيوان بن يفون بن صـرة بن يرسيف بن جنا بن

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٢٩ •

يحيى بن ضرليس بن جالوت [١] ، وهو زناتى الأصل وأبوه من توزر [٢] .

أما مذهبه فقد أخذ بمذهب النكارية [٣] يحلل دماء المسلمين وخروجهم ويسب على بن أبى طالب [٤] ، وتكفير أهل الملة والخروج على السلطان [٥] . وكان ابتداء أمره فى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م .

وكان أبوه يختلف الى بلاد السودان للتجارة فولد له فيها أبو يزيد من جارية صفراء هوارية ، وأتى به الى توزر ونشأ فيها وتعلم القرآن الكريم وخالط النكار فمال اليهم ، ثم ذهب الى تاهرت وظل بها يعلم الصبيان الى أن خرج أبو عبد الله الشيعى الى سجلماسة فى طلب عبيد الله المهدى . فانتقل أبو اليزيد الى تقيوس [٦] واشترى ضيعة وظل فيها يعلم الناس .

---

(١) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٥ وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ٢١٦ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ـ مؤلف مجهول نبذ تاريخية ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٢) ابن أبى دينار : المؤنس ، مطبعة الدولة التونسية ، الطبعة الأولى سنة ٢٨٦ هـ ، ص ٥٥ .

(٣) النكارية : هى الفرقة التى نكرت امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم خلفا لأبيه . انظر حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب ، ص ١٠٤ ـ السيد

(٤) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣ ـ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٩٨٢ م ، ص ٤٨ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ١٩٣ ـ ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٥ ـ المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

(٦) تقيوس : مدينة بافريقية قريبة من توزر . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان المجلد الثانى ، ص ٣٧ .

ثم رحل الى طرابلس فلما وصل كتاب عبيد الله المهدى فى طلب قوم من البربر هرب أبو يزيد وصاحبه أبو عمار الأعمى ثم عاد الى نقيوس ، وكان عبيد الله المهدى يجد فى طلبه ، وظل مختفيا حتى ظهر أمره بعد ذلك [1] . وعرف أبو يزيد أثناء فترة نضاله ضد الفاطميين بصاحب الحمار حيث كان يركب حمارا أهداه إياه أحد أهل مرمجنة [2] .

وفى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م ومن جبل أوراس [3] هبط أبو يزيد وأتباعه لحرب أبو القاسم الشيعى الذى تولى الأمر بعد وفاة أبيه عبيد الله المهدى وقام بنشر ضلالاته بين الناس من تكذيب كتاب الله وغيره ، وقد اشتد الأمر على المسلمين ، ودخل أبو يزيد افريقية وخرب مدنها وقتل عددا كبيرا من أهلها [4] .

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص١٩٤ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢١٧ — ابن الآبار : الحلة ، ج ٢ ص ٣٨٧ — مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٦ — ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص٤١ — ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص٢٠٢ .

(٣) جبل أوراس : فيه قلاع كثيرة يسكنها هوارة وغيرهم وهم على رأى الخوارج انظر ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

اجتمع أبو يزيد مع أنصاره فى المسجد الجامع فى يوم الجمعة ثم قاموا مع أبى يزيد ومعهم البنود والسلاح والطبول ، ويذكر ابن عذارى أن عدد بنود ابى يزيد سبعة ، فبند ذو لون أصفر مكتوب فيه البسملة و " محمد رسول الله " .
وبند آخر أيضا أصفر اللون فيه " نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبى يزيد اللهم انصر وليك على من سب أولياءك " .
وبند كتب فيه " قاتلوا أيمة الكفر " .
وبند فيه " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم " .
وبندقية " البسملة " محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق " .
أما البند السابع ففيه : لا اله الا الله محمد رسول الله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا " (1) .

وفى سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م اشتد أمر أبى يزيد بافريقية وحدثت معارك بينه وبين الفاطميين وغلب على القيروان وأظهر لاهلها الخير وترحم على أبى بكر وعمر وأمر الناس بالجهاد ضد الفاطميين ولعن عبيد الله المهدى وابنه وأمر الناس بقراءة مذهب مالك (2) ، فخرج الناس والعلماء بالصلاة على النبى وأصحابه وأزواجه وباجتماع الناس حول أبى يزيد وازدياد قوته فر أبو القاسم الشيعى من أمامه من رقادة الى المهدية . وهو بهذا يظهر غير ما يبطن يظهر الإسلام ويبطن مذهب النكارية حتى اذا اجتمع الناس حوله أظهر حقيقة مذهبه .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٧ .
(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ — مؤلف مجهول : الاستبصار ص ٢٠٥ — ٢٠٦ — مؤلف مجهول : نبذ تاريخية ، ج ١ ، ص ٤٩ .

وبمرور الوقت كانت قوة واتباع أبي يزيد في ازدياد ، وتمكن من الفاطميين وانتصر عليهم حتى انه لم يبق بأيديهم من افريقية الا القليل من المدن.

وعظم أمر أبي يزيد ، ففي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[١] حاصر باغاية وقسطيلة وفتح تبسة ومجانة[٢] ودخل مرمجنة[٣] وهزم كتامة وفتح سبيبة ثم سار الى الاربس وفتحها وأحرقها ونهبها .

حاول أبو القاسم الخليفة الفاطمي استرداد ما أخذه أبو يزيد فسير جيشا الى قادة وآخر الى القيروان مما دعى أبا يزيد أن يصمم على أخذ افريقية وتخريبها وقتل أهلها[٤] .

وأرسل الخليفة القائم الفاطمي بشر الفتى لحراسة بلاد باجة فالتقى به أبو يزيد وهزمه مرتين وفر بشر الى تونس ودخل أبو يزيد باجة بالقوة[٥] . والتقى بعد هذا أبو يزيد وبشر فاستطاع بشر هزيمته وعاد الى تونس محملا بالغنائم ثم سار بشر

---

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص٥٥ ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ٣٠٣ ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٥ ـ ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٤١ .

(٢) مجانة : بلد في افريقية بينها وبين القيروان خمس مراحل . انظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص٥٦ .

(٣) مرمجنة : قرية بافريقية لهوارة قبيلة من البربر . وينطقها ياقوت في معجمه مرماجنة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١٠٩

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

(٥) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص٥٥ ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص٧٦ ـ ابن خلدون العبر ، ج ٤ ، ص٤١ ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص٣٠٣ ـ البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية ، ص ٥٧ .

الى أبى يزيد والتقى الاثنان فى معركة هزم فيها أبو يزيد [١] سار بعدها الى الحريرية [٢] أو الجزيرة [٣] وهزم الكتاميين .

وسار أبو يزيد والتقى بعامل الفاطميين على القيروان وهزمه وقتله وطلب شيوخ المدينة من أبى يزيد الأمان فوافق على ذلك [٤] .

وأرسل الخليفة الفاطمى القائم جيشه بقيادة ميسور فالتقى بأبى يزيد الذى استطاع هزيمة جيش ميسور وقتله ، وعندما علم الخليفة الفاطمى القائم بذلك تحصن هو ورجاله داخل المهدية [٥] .

وفى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م دخل أبو يزيد سوسة بالسيد وقام بنهب مدينة تونس وعندما علم الخليفة الفاطمى بذلك كتب الى صنهاجة وكتامة يدعوهم الى الحضور

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ — ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٥ — المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٦ — ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤١ .
(٢) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٥ .
(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ .
(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ — ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٦ — المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٧ .
(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ — ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٦ .

الى المهدية لقتال أبى يزيد الذى سار الى المهدية وتجاوز السور حتى بلغ مصلى العيد ولم يبق بينه وبينها الا رميقسهم[١] ولكن قاتله أهلها وردوه الى الخندق وأتته القبائل من طرابلس وقابس ونفوسه والنزاب وأقاصى المغرب فحاصر المهدية حصارا شديدا وهاجمها للمرة الثانية ولم يفلح ، ثم هاجمها للمرة الثالثة وهزمه الخليفة الفاطمى القائم ، ثم هاجمها للمرة الرابعة ولم يفلح فى دخولها وظلت الحرب بعد ذلك بين الفريقين[٢] وفر الكثير من أهل المهدية الى جزيرة صقلية وطرابلس ومصر وبلاد الروم[٣] .

وفى أواخر ذى القعدة من سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م جمع أبو يزيد جنده وهاجم المهدية ولم يستطع النيل منها " وباتت الهجمات المتكررة التى شنها على المعقل الحصين للسلطان الفاطمى عقيمة "[٤] .

وفى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م وقع خلاف فى معسكر أبى يزيد وتفرقوا ولم يبق معه الا هوارة وأوراس وبنى كملان وكان اعتماده عليهم[٥] . ولكن لم يلبث أن قوى

---

(١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٧ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٩
ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٢) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٧ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٩ ،
ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ص ٣٠٦ .

(4) Levi Provencal; Historia de Espana t.IV. P.316.

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ .

عزمه بعد اجتماع البربر حوله فسير جيشه الى تونس فدخلها عنوة ثم التقى بجيش الخليفة الفاطمى القائم عند وادى مليان فهزم جند القائم فى البداية ثم عاد جيش القائم وهزم أبا يزيد ثم دخلوا تونس وقتلوا كل من وجدوه من أصحاب أبى يزيد (١) .

وطلب الخليفة القائم الفاطمى من على بن حمدون أمير المسيلة تجميع الرجال لحرب أبى يزيد فاجتمع لديه خلق كثير ولكن أيوب بن أبى يزيد هاجمه على حين غفلة كما هاجم جيش القائم الفاطمى الذى سار الى تونس واستطاع جيش القائم هزيمة أيوب الذى فر الى القيروان ثم قاتل أيوب على بن حمدون فى مكان يقال له بلطة وهزمه ، ولكن على بن حمدون عاد وجمع جنده وعسكر على قسنطينة وأرسل فى نفس الوقت بعضا من جنده فهزمت هوارة واستولى على تيجس وباغية وكانتا فى يد أبى يزيد (٢) .

ثم قام أبو يزيد بحصار مدينة سوسة وحارب أهلها . وفى هذه السنة (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) فى شهر رمضان فوض القائم ولاية عهده الى ابنه اسمعيل الملقب بالمنصور فأدخل عليه جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم وقال لهم : " هذا مولاكم وولى عهدى والخليفة بعدى وهو صاحب هذا الفاسق وقاتله " (٣) . يعنى أبا يزيد .

---

(١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص٥٨ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص٨٠

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ص ٢٩٠ .

بعد وفاة القائم الفاطمى فى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م وتولى ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور مقاليد الحكم الذى كتم خبر موت أبيه فى الوقت الذى كان فيه أبو يزيد محاصرا لمدينة سوسة ، فأعد المنصور المراكب وشحنها بالمؤن والرجال وسيرها الى سوسة وأوصاهم بعدم القتال حتى يأمرهم بذلك . ثم سار بجيشه حتى التقى بأبى يزيد فهزم أبو يزيد المنصور الفاطمى ، ولكن رشيق أشعل النار فى الحطب الذى جمعه أبو يزيد لاحراق سور سوسة فظن أبو يزيد أن المنصور تمكن من أصحابه ففر الى القيروان (١) .

وعند ما بلغ القيروان منعه أهلها من دخولها فأخذ أهله وتوجه الى سبيبة وتوجه المنصور الفاطمى الى سوسة ثم الى القيروان وأعطى الأمان لأهلها ، وسارع أبو يزيد الى القيروان وتحارب مع المنصور الفاطمى وهزمه ، ثم فر أبو يزيد من أمام المنصور الى القيروان ، ونادى المنصور فى رجاله "أن من أتى برأس أبى يزيد فله عشرة آلاف دينار " (٢) وحدثت بعد هذا معارك بين المنصور وأبى يزيد انتصر أبو يزيد مرة ثم المنصور الفاطمى مرة أخرى ، وطلب أبو يزيد أهله من عند المنصور فأعطاهم له .

وفى سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م استطاع الخليفة المنصور الفاطمى هزيمة أبى يزيد وعلى أثر ذلك عبأ المنصور جيشه فالتقى مع أبى يزيد حتى أصبح معه وجها لوجه فقال الخليفة الفاطمى " هذا يوم الفتح ان شاء الله " (٣) . واستطاع المنصور

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٨ — المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٨٢ — ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٤٢ — ابن أبى دينار : المونس ص ٥٩ .

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ .

هزيمة أبى يزيد وأخذ يجد فى اثره وتبعه حتى وصل باغاية ثم الى طنبة ، فجاءت رسل محمد بن خزر الزناتى وهو من أعيان أصحاب أبى يزيد بطلب أمان المنصور فوافق على ذلك وأمره برصد حركات أبى يزيد .

وسار أبو يزيد الى جبل الوبر ويسمى برزال وكان أهله على مذهب ابى يزيد واجتمع معه خلق كثير وعاد الى نواحى مقبرة ، ثم التقى مع عسكر المنصور الفاطمى فهزم ميمنة الجيش ولكن المنصور حمل عليه حتى هزمه ، فسار أبو يزيد الى جبل سالات ، ويئس المنصور من الوصول اليه لسلوكه طرقا وأماكن لم يطرقها جيش من قبل (١) ، فعاد المنصور الى صنهاجة وانضم الى الجيش الفاطمى الأمير زيرى بن مناد بعسكره ثم علم المنصور بمكان أبى يزيد وكان قد أصابه مرض شديد ، فاستغل أبو يزيد الفرصة وسار الى المسيلة فلما برأ المنصور الفاطمى سار اليه ، ففر أبو يزيد الى السودان فخدعه بنو كملان وهوارة وتحصن فى جبال كتامة وعجيسة .

وسار المنصور اليه فلم يظفر به وعندما عزم على العودة نزل اليه أبو يزيد ووقعت حرب شديدة بين الفريقين ، وسقط أبو يزيد عن فرسه بعد هزيمة أصحابه وأدركه الأمير زيرى بن مناد وطعنه ولكن أبا يزيد استطاع الفرار (٢) .

وفى سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م وقعت حرب شديدة بين أبى يزيد والمنصور الفاطمى وتحصن أبو يزيد فى قلعة كتامة وتركته هوارة وانضمت الى المنصور .

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ – ٣١٠ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٤ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٤ – ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣١٠ .

وعمد المنصور الى اشعال النار فى أماكن كثيرة حول القلعة حتى لا يفــــر أبو يزيد وعندما صار آخر الليل حمل أصحاب أبى يزيد على رجال المنصور وخرجوا به من القصر وحملوا أبا يزيد لعرج فى رجله فوقع منهم فى مكان صعب فأدركه المنصور وقبض عليه وسجنه حتى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م فمات من جراح كانت به [1] .

وبعد وفاة أبى يزيد حاول ابنه فضل القيام بما قام به أبوه ، فجاء الى جبـل أوراس وجمع البربر للثورة فسار اليه المنصور الفاطمى ولم يظفر به ، فتوجه فضل الـى باغاية وحاصرها فغدر به أصحابه وقتلوه وبعثوا برأسه الى المنصور [2]

ويرجع الفضل فى فشل هذه الثورة الى انضمام قبائل صنهاجة الى جانـب الفاطميين لأن أبا يزيد كان زناتيا وتؤيده قبيلة زناتة ، وهذا راجع الى عــــداء قديم بين صنهاجة وزناتة ، أو بمعنى آخر بين البربر الرحل البتر ومنهم زناتـة وبين البربر البرانس ومنهم صنهاجة أهل الزراعة والاستقرار [3] .

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣١١ ــ أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ص ٩٣ ــ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ــ المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٨٥ ــ ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ــ يذكر ابــن عذارى أن أبا يزيد مات سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ولكن اختلف فى طريقه موته حيث يذكر ان المنصور قتله وصلبه ــ اندريه جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٤٥ ــ ابن الاثير : الكامل فى التاريـخ ج ٦ ، ص ٣١١ .

(٣) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٥ ــ أحمـــد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٢ــ٢٠٣

وقد كشفت ثورة أبى يزيد بن مخلد عن مدى استعداد البربر لتأييد كل خارجى يثور على الدولة الفاطمية ، وأدت هذه الثورة الى أن يتضاءل النفوذ الفاطمى فى بلاد المغرب فابتدأت الحكومات المستقلة فى الظهور فى المناطق الغربية من الدولة الفاطمية (١) .

* * *

ويهمنا من هذا العرض ابراز موقف عبد الرحمن الناصر من هذه الثورة التى كادت تقضى على الدولة الفاطمية كما سبق وأن أوضحت فى هذا العرض السابق .

والواقع أن أبا يزيد قد رأى أنه لكى تنجح ثورته هذه لابد لها من الاعتماد على شخصية مناهضة للفاطميين ، فلم يجد خيرا من عبد الرحمن الناصر يعتمد عليه والذى كان له أنصار وأتباع عديدين فى المغرب فاجتذب بتقربه من عبد الرحمن الناصر أنصاره وأتباعه من البربر . (٢)

وكان أبو يزيد قد أعلن خروجه على الفاطميين ودعى لعبد الرحمن الناصر (٣) وأخذ فى تبادل الرسائل معه وامداده بكل أخباره فى المغرب وبأحواله مع الفاطميين .

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٣٠ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤١ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢١٢ .

وقد بدأ مراسلاته مع عبدالرحمن الناصر فى شوال سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م حيث وفد من قبله رسولان الى قرطبة برسالة منه يخبر فيها عبد الرحمن الناصر بتغلبه على القيروان ورقادة وعلمهما وايقاعه بأصحاب الخليفة الفاطمى القائم (١) .

وفى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م أرسل أبو يزيد مخلد الى عبدالرحمن الناصر سفارة من أعيان القيروان وعلى رأسها تميم بن المحدث المشهور بأبى العرب التميمى وقد احتفى العاهل الأندلسى بأعضاء السفارة حفاوة كبيرة وزودهم بالهدايا التى حملوها لأبى يزيد . وذكر أبو يزيد فى رسالته لعبد الرحمن الناصر " انه يعترف بسلطته ويخضع له ويقبله اماماً " (٢) .

وفى سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م (٣) وصلت الى قرطبة سفارة ثانية من أبى يزيد على رأسها ابنه أيوب يسأل عبدالرحمن الناصر امداده بالقوة اللازمة لمواجهة الفاطميين فى المغرب . وقد أحسن عبدالرحمن الناصر استقبال هذه السفارة وأكرم أيوب وصحبه وأنزلهم فى قصر الرصافة وجعله مقراً لهم طوال فترة وجودهم فى الأندلس وظل الوفد فى ضيافة عبدالرحمن الناصر ، الى أن قدم رسول من افريقية من عند أبى يزيد الى ابنه أيوب يخبره بمسيره الى المسيلة واستعداده للتوجه نحو القيروان

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٢

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٤ _ أيضاً انظر Levi Provencal;Historia de España,t.IV, P,316.

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ _ السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٤ _ انظر أيضاً Levi Provencal; Historia de España. t,IV,P.316.

كما يطلعه على موت الخليفة الفاطمى القائم وتولى ابنه المنصور الأمر بعده ، وفى نفس الوقت حث أبو يزيد ابنه أيوب على سرعة العودة الى المغرب مع المدد ، ولكن عبد الرحمن الناصر رأى التوقف عن امداد أبى يزيد حتى يتبين مصير أبى يزيد وثورته بعد تولى الخليفة الفاطمى المنصور (١) .

ومع كل هذا ظلت المراسلات مستمرة بين عبد الرحمن الناصر فى الأندلس وأبى يزيد بن مخلد حتى وفاته فى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م (٢) .

ونلاحظ من جانبنا - فيما يختص بهذه المراسلات بين أبى يزيد وعبد الرحمن الناصر أن أبا يزيد بدأ اتصاله بعبد الرحمن الناصر طالبا منه العون والمساعدة فى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤م ، ومما شجعه على ذلك العداء المشترك بين كل منهما والفاطميين وأن عبد الرحمن الناصر كان يمتدح فى مجالسه الخاصة انتصارات أبى يزيد على الفاطميين وذلك على الرغم من الاختلاف المذهبى بينهما (٣) ويبدو أن فشل أبى يزيد فى هجومه الرابع فى الاستيلاء على المهدية (٤) عاصمة الفاطميين شوال سنة ٣٣٣ هـ وخوفه من تبدد حلمه فى القضاء على دولتهم هو الذى دفعه الى الاتصال بعبد الرحمن الناصر للحصول على مساعدته ، وفى سبيل ذلك ذهب الى الادعاء فى رسالته الى عبد الرحمن الناصر أنه أقام الدعوة له وأنه يعترف بسلطانه على المغرب

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٢

(3) Levi Provencal; Historia de Espana, t.FIV. P, 316.

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، وانظر قبل ص ١٥٥

كما سبق أن أوضحت ، وهذا ما كان يهدف الى تحقيقه عبد الرحمن الناصر في سياسته ازاء الفاطميين .

وفي بداية هذه الاتصالات أيد عبد الرحمن الناصر ثورة أبي يزيد وأمده بالمساعدات لأن ثورته حتى محاصرة أبي يزيد المهدية كانت قد نجحت في زعزعة أركان الدولة الفاطمية وكادت تقضي عليها . ولكن فشل أبي يزيد في الاستيلاء على المهدية ثم ما تبع ذلك من انحسار انتصارات أبي يزيد وتوالي الهزائم عليه من قبل الخليفة الفاطمي المنصور الذي جد في محاربته وأوشك على القضاء عليه وعلى ثورته جعل عبد الرحمن الناصر يتردد في الاستجابة لمساعدة أبي يزيد عند ما أرسل اليه ابنه أيوب في سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان عبد الرحمن الناصر كان قد استغل انشغال الفاطميين في محاربة أبي يزيد في توطيد نفوذه في المغرب الأقصى ، فقد نجح في الاستيلاء على رأس العدوة المغربية ومدنها الرئيسية مليلة وطنجة وسبته ، كما نجح في أن يخضع الأدارسة لسلطانه وأن يستميل اليه بربر زناته .

لقد استجاب عبد الرحمن الناصر في بداية الأمر لمساعدة أبي يزيد في ثورته على الفاطميين لكي يستخدمه في القضاء عليهم ، ولكنه في قرارة نفسه كان يعرف ما يمكن أن يتعرض له سلطانه ونفوذه في المغرب الأقصى لو قدر لأبي يزيد أن ينجح في ثورته على الفاطميين ، اذ أن هذا النجاح كان سيدفعه لا محالة الى القضاء على النفوذ الأموي في المغرب الأقصى . وفي نفس الوقت كان عبد الرحمن الناصر يدرك أن التمادي في مساعدة أبي يزيد الخارجي بعد أن عاني المغاربة منه ومن اتباعه

من اعتداءات فى النفس والمال ، وبعد أن عرفوا حقيقة مذهبه الأباضى سوف يعرض نفوذه وسلطانه للخطر ليس فى المغرب فقط ، وانما فى الأندلس أيضا .

٥ ـ توطيد عبد الرحمن الناصر لعلاقاته مع اعداء الدولة الفاطمية

أ ـ مع ملك ايطاليا "Hugues de Provence"

صدوق جنوه لان ايطاليا فى تلك الفترة لم تكن موجودة

من الخطوات التى أقدم عليها عبد الرحمن الناصر لمقاومة النفوذ الفاطمى فى المغرب توطيد علاقته مع أعداء الدولة الفاطمية .

فقد قام عبد الرحمن الناصر بتوطيد علاقته مع ملك ايطاليا هيوج دى بروفانس ، الذى أوفد اليه الرسل طالبا المودة والصداقة [١] وعقد معه معاهدة [٢] ، وكان ملك ايطاليا يحمل فى قلبه حقدا شديدا على الفاطميين لتدميرهم ميناء جنوة .

وكان الخليفة الفاطمى القائم قد سير أسطوله من افريقية ، وقام بفتح مدينة جنوة فى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م [٣] .

ب ـ مع الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع :

لقد اجتمع للأندلس من القوة والعظمة فى عهد عبد الرحمن الناصر

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٣٧ .
(٢) أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٧
(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٤٩ ـ أبو الفداء : المختصر ج ٢ ، ص ٨٣ .

ما جعلها تستأثر بمركز الصدارة بين الدول الاسلامية ، اذ أن الدولة العباسية فى ذلك الوقت كانت قد دخلت فى دور الضعف ، فى حين أن الدولة الفاطمية فى المغرب لم تكن قد وصلت بعد الى ذروة قوتها وقد أدت هذه التحولات فى موازين القوى الاسلامية المعاصرة الى انفراد الأندلس وبخاصة بعد خلافة عبد الرحمن الناصر بالزعامة فى نظر الأوربيين ، وأصبحت قرطبة مركز الجاذبية الدبلوماسية والمكان الذى تتجه اليه عيون الدولة النصرانية لطلب المودة والصداقة .

وقد ارتبط الأندلس بالمعاهدات والعلاقات الدبلوماسية مع كثير من أمم النصرانية ، ووصلت هذه العلاقات الى ذروتها فى عهد عبد الرحمن الناصر فتوالت وفود النصرانية على قرطبة تطلب المودة والمحالفة والهدنة من زعيم الاسلام فى المغرب .

وكان بلاط القسطنطينية على الرغم من بعده عن مقر الخلافة الأندلسية وعدم ارتباطه بأية صلات بها أو حدود مشتركة ، فى مقدمة الساعين الى اقامة علاقات ودية مع حكومة قرطبة(١) .

وقد جاء تقوية أواصر المودة والصداقة بين البيزنطيين فى القسطنطينية والأمويين فى الأندلس كرد فعل على تقوية العلاقة بين الفرنجة والعباسيين اذ خشى البيزنطيون من استفحال نفوذ الفرنجة فى العالم المسيحى

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ص ٤٥١ - ٤٥٢ - محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص ١٩٣ - ١٩٤

واستئثارهم بمركز الزعامة دونهم [١] • وظلت بيزنطة وقرطبة تتبادلان العديد من السفارات في خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ، وهذا دليل على ما كانت تتمتع به الحكومة الأموية من مكانة عالية في نظر أوربا المسيحية في الشرق والغرب على السواء •

ولم تكن سفارة قسطنطين السابع الى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر هي السفارة الوحيدة التي قدمت الى البلاط القرطبي ، بل سبقتها سفارة أخرى كانت في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط من قبل الامبراطور تيوفيل في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م [٢] •

---

(١) ابراهيم العدوي : السفارات الاسلامية في العصور الوسطى ، دار المعارف بمصر ، ص ١٠٠ •

(٢) ليفي بروفنسال : الحضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م ، ص ١٥٠ •
طلب الامبراطور في هذه السفارة من الأمير عبد الرحمن الأوسط عقد معاهدة صداقة معه ، ويلمح له بكلمات موارية بان يأخذ في شرق المغرب مكان العباسيين ومن يرتبطون بهم اسميا — وهم الأغالبة — هذا بالاضافة الى شكواه من عبث الخليفة المأمون والمعتصم في أراضيه ، واستيلاء أبي حفص البلوطي وعصبته الأندلسية على جزيرة اقريطش (كريت) — من أملاك الدولة البيزنطية — ويرغبه في استعادة ملك آبائه وأجداده في المشرق ويتنبأ بقرب انهيار الدولة العباسية ويعد بمساعدته في هذا المشروع • وقد رد الأمير عبد الرحمن الأوسط على هذه السفارة بسفارة مثلها برئاسة الشاعر يحيى الغزال الذي حظي بالحفاوة والترحاب من الامبراطور والامبراطورة • ثم عاد الى الأندلس يحمل الهدايا للأمير عبد الرحمن الأوسط •

وفى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م [1] قدمت السفارة الثانية من الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع [2] الى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ، وقد اجتهدت السلطات الأندلسية فى تزيين العاصمة واعدادها لاستقبال سفراء بيزنطة .

وقد أرسل عبد الرحمن الناصر رسله للقاء السفراء البيزنطيين عند وصولهم الى الشاطئ وارشادهم وخدمتهم ، وعندما أصبحوا على مقربة من العاصمة أرسل قواته للاحتفاء بهم ، ثم أرسل الفتيين ياسرا وتماما فصحباهم الى دار الضيافة فى قصر ولى العهد الحكم فى ربض قرطبة ، ومنعاهم من لقاء الخاصة والعامة وأمر بوضع الموالى والحشم فى خدمتهم وأعد عبد الرحمن الناصر استقبالا حافلا وعظيما للسفراء البيزنطيين فى قرطبة ، وحرص أن يكون أعظم من الاستقبال الذى تم لهم وقت وصولهم ، فانتقل عبد الرحمن الناصر من قصر الزهراء الى قصر قرطبة وهو المقر الرئيسى للاستقبال وجلس فى بهو المجلس الزهراء يحف به رجال بيته وكبار موظفى الدولة والعلماء والأدباء وكان عن يمينه الحكم ولى عهده ثم يليه عبد الله أخو الحكم ، وعن يساره ابنه المنذر ثم عبد الجبار

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ــ عبد الرحمن الحجى : اندلسيات ، دار الارشاد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ص ٥٩ ــ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ ــ محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ص ٤٥٢ ــ ٤٥٣ .

(٢) المعروف بپورفيرو جنتوس ومعناها الارجوانى .

كما وقف وراء الخليفة وأبنائه الوزراء على اختلاف مراتبهم يمينا وشمالا وامتلأت القاعة برجال الدولة والقادة والعظماء [1] .

ودخل السفراء البيزنطيون وقد بهرهم ما رأوا من الفخامة والعظمة ثم تقدموا بكتاب الامبراطور الى عبد الرحمن الناصر ، وكان الكتاب يحوى تعريفا بالسفراء وبالهدايا التى يحملونها ، وكان الكتاب موضوعا داخل جلد رقيق مصبوغ بلون سماوى وعليه كتابة بالخط الاغريقى المذهب ويحمل طابعا من الذهب وزنه أربعة مثاقيل ، على أحد وجهيه صورة المسيح وعلى الوجه الآخر صورة الامبراطور قسطنطين وولده [2] ، وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه " قسطنطين ورمانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم " .

وفى سطر آخر صيغة مخاطبة الناصر لدين الله : " العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس أطال الله بقاءه " .

وحمل السفراء لعبد الرحمن الناصر كتابان جليلان من كتب الأقدمين أحدهما نسخة مصورة من كتاب ديسقوريدس عن الحشائش باللغة اليونانية والثانى نسخة من تاريخ أورسيوس (هروسيس) مكتوبة باللاتينية تتضمن تاريخ

---

(١) انظر الملحق ٤ صورة لهذه السفارة واستقبال عبد الرحمن الناصر للسفراء .

(٢) ابراهيم العدوى : المرجع السابق ، ص١٠٣ - ١٠٤ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول القسم الثانى ، ص٤٥٣ - ٤٥٤ .

المثقال : نوع من الوزن يساوى ٤,٢٥ من الجرام
ووزن الطابع ١٧ جرام .

العالم القديم وأخبار الملوك السابقين (١) .

وبعد قراءة كتاب السفراء أمر عبد الرحمن الناصر أن يقوم الخطباء بالقاء الخطب التي تشيد بعظمة المسلمين وبلاد الأندلس ، وقد هالت روعة المجلس الخطباء وأدهشتهم وعقد هول الموقف ألسنتهم عن الكلام . ولكن الفقيه منذر بن سعيد البلوطي قام وانقذ الموقف وألقى خطبة رائعة أشاد فيها بعهد الناصر لدين الله ومآثره واتبعها بقصيدة في نفس المعنى ، وحظى المنذر بعد ذلك بمكانة عظيمة عند عبد الرحمن الناصر . (٢)

وقد اتقن منذر بن سعيد فن شيخ البلاط كما لم يتقنه أحد قبله ، فكان يعرف كيف يفيد من كل مناسبة لكي يزيد في مكانته لدى الخليفة ، حتى أنه عندما كان يبدى ملاحظته على تصرفات الخليفة كان يتحرى أن يكون ذلك في صورة الوعظ والتذكير بالسلف مع مراعاة ما لابد من الاحترام فيكون حلم الخليفة وتحمله لكلامه رافعا من قدريهما معا (٣) .

---

(١) ابراهيم العدوى : المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثاني ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٢) ابن خاقان : مطمع الأنفس ، ص ٣٨ - ٤٠ - المقرى : ازهار الرياض ، ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٦ - النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٦٦ - ٦٨ - عبد المنعم خفاجة : قصة الأدب الأندلسي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٢ م ص ٣٤٩ - ٣٥٢ .

(٣) حسين مؤنس : شيوخ العصر في الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر ، ١٩٦٥ م ، ص ٧٠ - ٧١ - محب الدين الخطيب : الزهراء المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ ، ص ١٣ - ١٤ .

والحقيقة أن هناك كثيرا من الأقوال حول أسباب قدوم هذه السفارة من البيزنطيين الى بلاط قرطبة . فالمصادر الاسماعيلية تقول بوجود اتفاق حربى مشترك بين الأمويين والبيزنطيين على حصار الفاطميين هؤلاء من الغرب وأولئك من الشرق وفى ذلك يقول القاضى النعمان " وكتب (الناصر) الى طاغية الروم يسأله النصرة وأهدى اليه هدايا ، وأرسل اليه رسلا من قبله فأجابه الى ذلك وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية ومراكب بنى امية من الأندلس " (١) .

والواقع كما يذكر الاستاذ العبادى اننا لا نستطيع أن نقول بوجود مثل هذا التواطؤ الحربى وخصوصا أن المصادر الأندلسية لم تذكر أية تفاصيل للمعاهدات التى أبرمت بين عبد الرحمن الناصر والبيزنطيين وغالبا أنها على غرار المحالفات السابقة التى عقدت بين الأمير عبد الرحمن الأوسط والامبراطور البيزنطى تيوفيل سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م ، وهى تقوم على ترك الحرية للبيزنطيين فى قتال أعداء الدولة الأموية ، ولكن دون الارتباط معهم فى أى عمل حربى مشترك (٢) .

ولأحد الكتاب المحدثين رأى فى هذه السفارة البيزنطية يتلخص فى أن قسطنطين السابع أرسل الى عبد الرحمن الناصر كتابا لتوثيق العلاقات بينهما ويستفزه فى نفس الوقت لحرب العباسيين لاسترداد ملك آبائه ، وكان

---

(١) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٥ (نقلا عن القاضى النعمان ، المجالس والمسايرات ، ج ١ ، ص ٢٢٦) .

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٥ .

قسطنطين السابع يهدف من وراء هذا ضرب المسلمين بعضهم ببعض ليضعفهم بسلاحهم ، ويقوى هو بضعفهم ويكون فى أمان منهم • ولكن هذه الدسيسة لم تجز على عبد الرحمن الناصر ورد على سفير البيزنطيين ردا جميلا وأرسل الى الامبراطور هدية نظير هديته مع سفير خاص [1]

وفى نظرى أن التفسير المعقول لهذه السفارة هو أن الامبراطور قسطنطين السابع أحب أن يرتبط مع عبد الرحمن الناصر بعلاقة صداقة ومودة نظرا لما تمتعت به الأندلس فى ذلك الوقت من مكانة كبيرة فى غرب العالم الاسلامى وما وصلت اليه من قوة عظيمة ، وأصبحت قوة يحسب لها ألف حساب وفى نفس الوقت يطلع الخليفة الأموى على رغبته فى استعادة جزيرة صقلية [2] من الفاطميين الذين كانوا قد استولوا عليها [3] •

---

(١) محمد لبيب البتنونى : رحلة الأندلس ، مطبعة مصر ، الطبعة الثانية ص ٦٥ ــ ٦٦ •

(٢) أدرك المسلمون منذ فتحوا المغرب ما لهذه الجزيرة من أهمية فسعوا للسيطرة عليها وقدروا أهمية موقعها الجغرافى لقربها من المغرب وخاصة ان الروم انسحبوا اليها واتخذوا من موانيها قواعد للقرصنة فشن العرب الغارات عليها منذ عهد معاوية ولم تفتح هذه الجزيرة الا فى عهد الأغالبة حيث قاموا بغزوها فى سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧ م) وبعد سقوط الأغالبة على يد الفاطميين استولى الفاطميون على هذه الجزيرة وجعلوا منها قاعدة بحرية هامة (انظر عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٢٧٧ ــ ٢٨٢ •

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١٣٧ ــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٤ ــ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٥ ــ أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٧ •

جـ - مع أمير مصر محمد بن طغج الاخشيد :

ومن الخطوات التى اتبعها الخليفة عبد الرحمن الناصر فى مقاومة خطر الدعوة الشيعية توطيد علاقته مع الدولة الاخشيدية فى مصر ، فأرسل الفقهاء المالكية من الأندلس الى مصر لمحاربة المذهب الشيعى هناك .

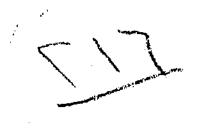
وفى مصر فى عهد الاخشيديين وصل الى رياسة فقهاء المالكية فقيه اندلسى الأصل هو أبو اسحاق محمد بن القاسم ويعرف بابن القرطبى ، وكان هذا الفقيه يذم الفاطميين أشد الذم ويدعو على نفسه بالموت قبل مجىء دولتهم ، ولعل هذا ما دفع بالحكم بين عبد الرحمن الناصر أن يبعث له بصلات من قرطبة .

وكانت وفاة هذا الفقيه بمصر فى سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م قبل الغزو الفاطمى لمصر بنحو ثلاث سنوات .

ولم تقف علاقة عبد الرحمن الناصر مع الاخشيديين عند هذا الحد بل نراه يوسل لهم مبلغ عشرة آلاف دينار لتوزيعها على علماء المذهب المالكى لانفاقها فى محاربة الدعاية الشيعية فى مصر (١) .

---

(١) أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٨
محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، ص ١٢٤ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٤ .



الفصل الرابع

الصراع بين عبد الرحمن الناصر والخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى

١- اهتمام عبد الرحمن الناصر بإنشاء أسطول قوي للدفاع عن الأندلس.

٢- الأسطول الأندلسي يسيطر على جبل طارق ليمنع مساعدات الفاطميين للثائر بن حفصون.

٣- استيلاء الأندلسيين على مليلة في سنة ٣١٤ هـ وعلى طنجة في سنة ٣١٥ هـ وعلى سبتة في سنة ٣١٩ هـ

٤- إخضاع المغرب الأقصى للسيادة الأندلسية، والقضاء على آخر ملك الأدارسة به في سنة ٣٣٢ هـ

٥- الحرب بين المعز لدين الله الفاطمي وعبد الرحمن الناصر

- مهاجمة الأسطول الفاطمي لمدينة المرية وإحراقه السفن الراسية بها سنة ٣٤٤هـ.
- غارة الأسطول الأندلسي على منطقة سوسة في بلاد المغرب سنة ٣٤٥ هـ.
- استغلال عبد الرحمن الناصر انشغال المعز لدين الله الفاطمي في محاربة البيزنطيين في البحر الأبيض المتوسط فتبادل الرسائل معه بقصد عقد هدنة معه كسبا للوقت.

٦- استئناف النزاع بين عبد الرحمن الناصر والمعز لدين الله حول المغرب الأقصى، وفشل حملة جوهر الصقلي في استعادة سيادة الفاطميين التامة عليه.

وفى هذا الفصل أتعرض للحديث عن الصراع والاشتباكات الحربية فى المغرب الأقصى بين عبد الرحمن الناصر والمعز لدين الله الفاطمى • وقد بدأت بالحديث عن الأسطول الأندلسى ذلك أن الصراع بين الأمويين والفاطميين فى هذه الفترة موضوع الحديث كان يعتمد أساسا على قوة الأسطول لكلا الجانبين •

وقد كان للأسطول الأندلسى دور كبير فى السيطرة على مضيق جبل طارق ليمنع المساعدات التى قدمها الفاطميون للثائر ابن حفصون فى الأندلس ، كما اعتمد عبد الرحمن الناصر أيضا على الأسطول فى الاستيلاء على مليلة وطنجة وسبتة – رأس العدوة المغربية – وحصنها ليضمن بذلك قواعد هامة له على الساحل المغربى يستطيع عن طريقها انزال جنوده فى المغرب الأقصى لحرب الدولة الفاطمية ، ليقضى على أية محاولة منها لتوطيد نفوذها فى المغرب الأقصى • وفى نفس الوقت فان الأسطول بسيطرته على مضيق جبل طارق وعلى هذه القواعد البحرية الاستراتيجية فى رأس العدوة المغربية يقوم أيضا بحماية السواحل الجنوبية للأندلس من أى هجوم عليها من قبل الأسطول الفاطمى •

كما عمل عبد الرحمن الناصر على توطيد سيادته على بلاد الريف وذلك بالقضاء على نفوذ الأدارسة به ، وقد نجح فى ذلك فعلا •

وقد انطلقت شرارة الحرب التى فجرت ينابيع الحقد والعداء بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب • بعد أن استولى مركب لعبد الرحمن الناصر على مركب للفاطميين قادم من عند الحسن بن على عامل الفاطميين على صقلية وأخذ ما به من مكاتبات •

لقد كان هذا الحادث الشرارة التى أدت الى اشتعال الحرب بين عبد الرحمن الناصر والمعز لدين الله الفاطمى ، الذى رأى فى هذا الحادث اهانة له ولسلطان خلافته فى بلاد المغرب . فأمر المعز لدين الله أسطوله فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م بمهاجمة ميناء المرية ، وقد تمكن هذا الأسطول من احراق مركب عبد الرحمن الناصر وما وجدوه بالميناء من مراكب أخرى وقد رد عبد الرحمن الناصر على هذا الهجوم الفاطمى على ميناء المرية بأن أمر بلعن الخلفاء الفاطميين فى المساجد ، كما اتبع ذلك بارسال حملة بحرية فى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م لغزو الشواطئ الافريقية وتدمير منطقة سوسة ، وقد نجحت هذه الحملة فى تحقيق أهدافها .

وكان رد المعز لدين الله على ذلك أن قام بارسال حملة لتأديب بلاد المغرب الخارجة على سلطان الفاطميين ، وقد استطاع جوهر الصقلى أن يصل بالحملة الى شاطئ المحيط وأن يخضع الكثير من الثائرين لسلطان الفاطميين ولكن مع ذلك فشل الفاطميون فى استعادة سلطانهم على المغرب الأقصى بسبب احتفاظ الأمويين بقواعدهم العسكرية هناك . وقد ظلت هذه القواعد بمثابة شوكة فى جنب الدولة الفاطمية طوال فترة وجودها فى المغرب .

وسأحاول فى هذا الفصل تتبع أحداث هذا الصراع والحروب بين عبد الرحمن الناصر والمعز لدين الله الفاطمى فى بلاد المغرب على النحو الذى أوضحته .

١ ـ اهتمام عبد الرحمن الناصر بانشاء أسطول قوى للدفاع عن الأندلس ولتحقيق سياسته فى المغرب الأقصى :

لو تتبعنا نشأة الأسطول الأندلسى لوجدنا أنه لم يكن للمسلمين منذ فتحهم لبلاد الأندلس أسطول بحرى منظم ، فعندما قام القائد المسلم موسى بن نصير بتوجيه الحملة الاسلامية لفتح الأندلس ، اهتم بانشاء عدد كبير من السفن فى دار الصناعة بتونس لحمل الجند الى الأندلس بقيادة مولاه طارق بن زياد . وقد كان الولاة والأجناد بعد الفتح الاسلامى يعبرون البحر الى سواحل الأندلس . حيث نلاحظ مثلا عبور أبى الخطار الحسام بن ضرار الكلبى من ساحل تونس الى ساحل غرناطة فى سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م ، وعبور عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الصقلبى من ساحل تونس الى كورة تدمير سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م [١] .

وعلى الرغم من عدم اهتمام المسلمين فى تلك الفترة بانشاء أسطول بحرى منظم فقد كان للأندلسيين شهرة كبيرة فى ركوب السفن وخبرة بشئون البحر وساعدهم ذلك على تكوين طوائف بحرية سكنت السواحل الشرقية فى الأندلس ، وعملت فى الغزو البحرى لحسابها الخاص جنوبى فرنسا وجزر البحر المتوسط الغربى ، أو اشتغلت بالتجارة بين المغرب والأندلس . هذا بالاضافة الى وجود أفراد كانت لهم مراكب تعمل فى البحر مثل المركب الذى حمل الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل الى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩ م ، ص ١٤٧ .

الأندلس ، والمركبان اللذان سيرهما زياد بن عمرو اللخمى مشحونين بالمؤن الى جند بلج بن بشر القشيرى المحصوريين فى سبتة [١] .

وعند ما قامت الدولة الأموية فى الأندلس لم تهتم بانشاء أسطول بحرى منظم حيث انشغلت بالقضاء على الثورات الداخلية وحروب الممالك المسيحية فى شمال أسبانيا ، وبالمؤامرات الخارجية التى تحاك ضدها هذا فضلا عن أن وجود نوع من التقارب بين الأمويين فى الأندلس والبيزنطيين واشتراكهما فى عداء الدولة العباسية ، قد أدى الى اطمئنان الأمويين من ناحية البيزنطيين وأوجد هذا الاطمئنان عندهم الاحساس بعدم الحاجة الى أسطول أو قوة بحرية للدفاع عن سواحلهم . وظل الأمر على هذا النحو الى أن فاجأتهم الغارة النورمانية [٢] فى عهد عبد الرحمن

---

(١) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣٥ ــ ٣٨ .

(٢) نسبة الى النورمان أو الأردمانيون (الاردمانيين) أو المجوس كما سماهم أهل الأندلس . فالأردمانيون تحريف للنورمان أى أهل الشمال ، وأما تسميتهم بالمجوس فلم يوجد تعليل واضح لها ، فهم لم يكونوا مجوسا لأنهم عبدوا مظاهر الطبيعة وبعضهم ممن عبد النجوم ، ولكن الظاهر أن المسلمين أطلقوا عليهم المجوس لأنهم كانوا يشعلون النار فى معسكراتهم التى يقمون فيها للتدفئة ، وفى البلاد التى يهاجمونها وينهبون ما فيها ، فظنهم المسلمون من عبدة النار فأطلقوا عليهم المجوس . أما من أين أتوا فهم يعرفون فى التواريخ الأوربية باسم الفايكنج (Vi kings) وهى مشتقة من Vik أى الخليج أو الفيورد وموطنهم الأولى شبه جزيرة اسكنديناوة (السويد والنرويج) وشبه جزيرة جوتلند وما يجاورها من الجزائر . ولمزيد من التفاصيل عن حروبهم فى الأندلس : انظر حسين مؤنس : غارات النورمانيين على الأندلس ، مجلد الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، دار المعارف بمصر ، مايو ١٩٤٩ م ، المجلد الثانى (=)

الأوسط سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م فكانت بمثابة جوس انذار وجه انظارهم نحو نقطة ضعفهم [(١)] .

وهنا تبرز حقيقة هامة فعلا وهى أن كثيرا من الكتاب يذكر أن غارة النورمان هذه على الأندلس كان لها دور كبير فى ميلاد البحرية الأندلسية [(٢)] ، والحقيقة أن البحرية الأندلسية قد ولدت قبل هذا بكثير منذ أيام الحكم الربضى ، وان ما حصل بعد غارة النورمان انما كان تنظيما للبحرية الاسلامية فى جزيرة الأندلس وحشدا لطاقات هذه الجزيرة فى خدمة الأغراض البحرية [(٣)] .

كما شرع حكام قرطبة فى تأمين سواحلهم وتحصينها ، وانشأوا الرباطات على الساحل من أشبونة الى ارقش ، وأقام بها المرابطون واهتم عبد الرحمن الأوسط ببناء سور اشبيلية .

(=) العدد الأول ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ؟ تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ص ١٧٤ وأيضا ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٤٨ ـ هشام أبو رميلة : نظم الحكم فى الأندلس ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول مايو سنة ١٩٥١ م ، القاهرة ، ص ١٢٠ ـ حسين مؤنس : غارات النورمانيين على الأندلس ، ص ٣٠ ـ ٣٩ .

(٢) حسين مؤنس : غارات النورمانيين على الأندلس ، ص ٤١ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٦٠ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٣٥ .

أما دار صناعة اشبيلية فلم يقم ببنائها عبد الرحمن الأوسط كما ينسبها له كثير من المؤرخين ، فهذه الدار كانت موجودة منذ الفتح العربى الأندلس ، الا أنها توقفت عن الصناعة فى فترة الامارة الأموية الى أن قام عبد الرحمن الأوسط بتجديدها عقب غزوة النورمان الأولى ويمكن أن يكون قد أضاف اليها منشآت معمارية جديدة لمضاعفة نشاطها فى انتاج السفن (١) ، كما جمع عبد الرحمن الأوسط رجال البحر وألحقهم بالأسطول وأغدق عليهم الأموال ، وقد كان لهذه البحرية دور كبير فى الدفاع عن الأندلس ضد النورمان عندما حاولوا الاغارة عليها فيما بعد كما كان لها دور كبير فى سيطرة الأندلس على غرب البحر المتوسط . (٢)

عندما حاول النورمان العودة مرة أخرى لغزو سواحل الأندلس الجنوبية الغربية فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م وجدوا الأمير فى انتظارهم ، حيث كان على أهبة الاستعداد لهم ، لأنه توقع عودتهم لبلاده مرة أخرى بعد وفاة والده الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وقد أسهم الأسطول الأندلسى بالفضل فى صد غاراتهم هذه ولم يفلحوا فى النيل من البلاد كالمرة الأولى . (٣)

ونلاحظ أن غاراتهم لم تنتهى عند هذا الحد بل نجد ظهور مراكبهم عند الجزيرة الخضراء فى سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ولذلك واصل الأمير محمد بن عبد الرحمن

---

(١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٦١
(٢) حسين مؤنس : غارات النورمانيين على الأندلس ، ص ٤١ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٦٢ — ١٦٦ .

الأوسط سياسة العناية بالبحرية الأندلسية •

وعندما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش البلاد فى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م كان عليه أن يواجه أطماع الدولة الفاطمية (١) فى بلاد المغرب وتحريضها لبعض ثوار الأندلس ضد الحكومة الأموية ، من أمثال ابن حفصون الذى قام بالدعاء للخليفة عبيد الله المهدى الذى وعده بالنصرة وأرسل اليه المراكب من العدوة المغربية تحمل اليه المؤن والسلاح فى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣م فكان على الأمير عبد الرحمن بن محمد أن يواجه هذا الخطر ، فقام بقطع الطريق على هذه المراكب وأحرقها •

وفى العام التالى وصل الأمير عبد الرحمن بن محمد الى الجزيرة الخضراء وضبط البحر ووزع أسطوله على السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية للأندلس حتى يمنع بهذا وصول الامدادات الى ابن حفصون (٢) •

ولذلك اتجهت أنظار الأمير عبد الرحمن بن محمد منذ بداية امارته الى زيادة الاهتمام بأمر الأسطول ليتولى الدفاع عن الأندلس ضد الأخطار الخارجية التى تتعرض لها البلاد من قبل الفاطميين فى المغرب ومن قبل غارات النورمان على السواحل الغربية للأندلس ، بل ان الأسطول الأندلسى بعد أن غدى قوة بحرية كبرى

---

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٢٣٦ — على حسنى الخربوطلى : الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م ، ص ١١٦ •

(٢) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٧٤

كبونى ما لبث أن قام بمنازعة الفاطميين على السيادة فى حوض البحر المتوسط [1] ويذكر لنا ابن خلدون أن الأسطول الأندلسى فى عهد عبد الرحمن الناصر انتهى الى مائتى مركب أو نحوها وأن أسطول افريقية كذلك مثله أو قريبا منه وكان قائد الأساطيل هو محمد بن رماحس ومرفؤها للحط والاقلاع بجاية والمرية" [2] .

كما حرص عبد الرحمن الناصر على تحصين الثغور الأندلسية المواجهة لبلاد المغرب ، كما قام باحتلال الثغور المغربية المطلة على المضيق ، واستولى أيضا على الشريط الساحلى للعدوة المغربية لتأمين حدود بلاده [3] .

قوة الأسطول وأعماله :

وقد أثبت الأسطول الأندلسى فى عهد عبد الرحمن الناصر قوته وكفاءته خلال العمليات الحربية التى قام بها فى حوض البحر المتوسط وفى الساحل الغربى للأندلس اذ نجده يقطع المؤن والميره المرسلة من قبل الفاطميين لابن حفصون فى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، كما اتجه الى العدوة وحاصر ابن أبى العيش ليجبره على التنازل عن طنجة لعبد الرحمن .

وفى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م تمكن الأسطول من احتلال سبته من أيدى بنى عصام التابعين للأدارسة ودخول مدينة أصيلا سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبى حمامة واعاد أهلها للطاعة [4] . وسير عبد الرحمن

---

(١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٧٤
السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٠ — ٦١١ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ١ ، ص ٢١١ — ٢١٢
(٣) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

الناصر أسطوله الى العدوة سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م لمساعدة موسى بن أبى العافية وكان الأسطول يتكون من أربعين قطعة وعدد الجنود فيه ثلاثة آلاف وسار من سبتة الى مليلة ونكور ثم الى جراوة وأصبحت هذه المدن فى حوزة موسى بن أبى العافية فى حين كان وجود هذا الأسطول فى المغرب ذا وقع شديد على الدولة الفاطمية اذ أدركت من خلاله مدى قوة عبد الرحمن الناصر وقدرته على النيل منها (١) .

وفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م سار الأسطول الأندلسى بقيادة أحمد بن محمد بن الياس وسعيد بن يونس بن سعيد يلى وحاصر ارشقول واستمر حصاره لها فترة ثم ارتد عنها الى الأندلس لقدوم الشتاء (٢) . وقد نجح الأسطول الأندلسى فى أداء هذه المهام .

كما أسهم الأسطول الأندلسى فى نقل الجنود الأمويين عبر المضيق لاخضاع الثائرين فى المغرب الأقصى الذى أصبح خاضعا وتابعا للخلافة الأموية (٣) وأصبح ينافس أسطول الفاطميين فى السيطرة على الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط وأخضع بعض جزر هذا البحر لنفوذه ، وقام بمهاجمة شواطئ ايطاليا ، بل ان أحدى حملاته وصلت الى سواحل فلسطين وبحر ايجة ، هذا بالاضافة الى الغارات التى قام بها عرب الأندلس على ساحل بروفانس وجنوب أوربا ، مما دفع ملوك وأمراء أوربا الى الاتصال بعبد الرحمن الناصر طالبين منه وقف الغارات العربية عن بلادهم .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٢
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣١٢ – ٣١٣ .
(٣) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ – ٣٩٠ – السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

كما وجه عبد الرحمن الناصر أسطوله فى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م بقيادة محمد ابن رماحس الى قطلونية وافرنجة للغزو ، وفى سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م قام محمد ابن رماحس وغالب بن عبد الرحمن وسهيل بن أسيد بحملة بحرية الى افرنجة [1] .

وأثبت الأسطول الأندلسى كفاءته وقدرته فى صد غارات النورمان فى سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م على الأندلس حيث نهبوا قادش وشذونة واشبيلية وتمكن من حرق معظم سفنهم بالنار ولم ينجو منها الا القليل [2] .

القواعد البحرية للأسطول الأندلسى :

وقد حفلت الأندلس بالكثير من القواعد البحرية والموانئ الهامة على طول السواحل الأندلسية الممتدة فى الشرق والجنوب والغرب . وأهم هذه الموانى بجانة التى أسسها جماعة من البحريين الأندلسيين سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٤ م من تلقاء أنفسهم ودون أى مساعدة من الجهات الرسمية ، وقد بنوها على هيئة مدينة قرطبة بعد أن أصبح الأمر لهم فيها بعد تقلبهم على من بها من العرب وبنوا فيها الكثير من الحصون حتى أصبحت ملجأ وحصنا لمن يقصدها [3]

---

(١) العذرى : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٨١ ــ السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٨ ــ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٩ .

(٢) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ ــ ٣٩٠

(٣) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩١ ــ ٣٩٣

وكان من آخر ولاة البحريين هؤلاء هو عبد الرحمن بن مطوف الذى عقد لـه عبد الرحمن الناصر الولاية على المدينة فى سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م وبعد وفاته فوض عبد الرحمن الناصر سيطرته عليها وولى محمد بن رماحس سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م وفى السنـة التالية ضم اليه المرية والبيرة ، كما جعل عبد الرحمن الناصر أسطول بجانـة جزءا من أسطوله وخاضعا لأوامره ، حيث نجده يجهز منه حملة فى سنـة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م لمساعدة أصدقائه فى المغرب .

وهكذا شيئا فشيئا أصبح ميناء بجانة يتمتع بقوة كبيرة فى مطلع القرن الرابـع الهجرى ، وتأوى اليه وحدات الأسطول الأموى ، وكان فيها مركز رئاسة القـوات البحرية لوجود القواد البحريين بها (١) .

٢ ـ المريـة (٢) :

وظلت بجانة تحتفظ بأهميتها البحرية طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ولكن هذه المكانة أخذت تقل بالتدريج أمام المرية التى أمر عبد الرحمن الناصر ببنائها وتمصيرها فى سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م (٣) ، اذ يقول صاحـب جغرافية الأندلس : " والمريـة ... مدينة عظيمة على ساحل البحر وهـى

---

(١) هشام أبورميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٣

(٢) عن موقع هذا الميناء وجغرافيته انظر العذرى : نصوص عن الأندلس مـن كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينـة المريـة ، ص ١٣ ـ ١٦ .

(٣) العذرى : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

محدثة أحدثها العرب فى الاسلام ، كانوا يرابطون فيها وبنى سورها عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة ... "[١] .

وقد ظهرت أهمية المرية كقاعدة بحرية فى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م عندما عين الخليفة عبد الرحمن الناصر أول وال من قبله على مدينة بجانة ، واتخذ هذا الوالى من ميناء المرية قاعدة ينطلق منها فى غزواته البحرية ، فأدى هذا الى تأكيد واظهار أهمية مدينة المرية كقاعدة بحرية هامة أكثر من بجانة ، لأن بجانة متحازة الى الداخل والعمليات الحربية البحرية والأساطيل تتطلب سرعة الحركة والتزود بالمؤن والمعدات اللازمة لذلك .

ومن هذا المنطلق أمر عبد الرحمن الناصر ببناء المرية فى سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م وأحاطها بسور يحفظها ويقيها شر الهجمات وجعلها عاصمة للمنطقة المحيطة بها ، وأصبحت بعد هذا بجانة تابعة لها [٢] .

والواقع أن هناك أسبابا كثيرة لاختيار عبد الرحمن الناصر للمرية كقاعدة بحرية . ومن هذه الأسباب ما تتمتع به من موقع حصين ، فبالاضافة الى سورها المنيع ، أقام على أحد جبليها قصبتها [٣] التى عرفت بقلعة خيران والى جانبها عدد من الحصون والقلاع والتى تزيد قوة الدفاع عنها ، كما أن وقوعها على مصب نهر صغير – وهو وادى بجانة – يسهل عملية التزود بالمياه . والى جانب ذلك شدة اتساع

---

(١) مؤلف مجهول : مخطوطة جغرافية الأندلس ، ورقة ٣٥ .
(٢) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ – ٣٩٥
(٣) العذرى : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

خلجاتها وعمقها بحيث تستوعب عددا كبيرا من السفن بالاضافة الى هدوء الميـــاه فيها وقلة أمواجها [١] .

أما بالنسبة لدار الصناعة فيها فقد كانت تقوم بانتاج السفن والعـدة والآلات اللازمة وما يقوم به الأسطول ، ويصف لنا العذرى دار الصناعة هذه فيقـــول : " ودار صناعتها القديمة المذكورة قبل هذا قد قسمت على قسمين فالقسم الواحـد فيه المراكب الحربية والآلـة والعدة ، والقسم الثانى فيه القيسارية قد رتب كـــل صناعة منها حسب ما يشكل لها قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد اليها الناس من أقطارها " [٢] .

ويتمتع قائد أسطول المرية بأهمية خاصة فى عصر الخلافة ، وتشير المصـادر الى هذه الأهمية فتذكر أن أكثر شئون الخلفاء الأمويين لم يكن يقطع فيها برأى دون الرجوع الى ثلاث شخصيات : الأول قائد جيش سرقسطة حاضرة الثغر الأعلى لأهمية موقعها ،والثانى قاضى قرطبة ، والثالث قائد أسطول المريـة [٣] .

٣ ـ والى جانب بجانة والمرية وجدت فى الأندلس قواعد بحرية أخرى كثيرة تقـع على الساحل الشرقى والجنوبى والغربى للأندلس ، وبعض هذه القواعد كان يخرج

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٤١ ـ ٤٢ .
(٢) العذرى : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .
(٣) السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلاميـــة ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

منها الأسطول الأموى للغزو مثل دانية [١] ، وطرطوشة [٢] ،واشبيلية ، وقصر أبى دانس . وهناك بعض الموانى التى كانت تستخدم لرسو السفن مثل الجزيرة الخضراء ، وشنتمرية ، وقرطاجنة الخلفاء [٣] ، والمنكب [٤] ومالقة ، وقادش [٥] .

وكانت هناك بعض المدن تقع على أنهار تدخلها السفن والمراكب مثل شلب [٦] وبلنسية ، والقصر التى تقع على ضفة نهر كبير يسمى شطوبر تصعد فيه المراكب السفن السفرية وأيضا هناك بعض الجزر ترسو السفن على شواطئها مثل شلطيش [٧] وجزيرة يابسة [٨] وبها عشرة مراسى ، وجزيرة ابلناصة وتقع جنوب لقنت وهى مرسى حسن ويكمن المراكب العدو [٩] .

---

(١) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا مرساها عجيب يسمى بالسمان . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، ص ٤٣٤ .

(٢) طرطوشة : مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهى شرقى بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٣٠ .

(٣) قرطاجنة الخلفاء : مدينة بالأندلس قريبة من ألش من أعمال تدمير . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٣٢٣ .

(٤) المنكب : بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة بينها وبين غرناطة أربعون ميلا . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ص ٢١٦ .

(٥) هشام أبورميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .

(٦) شلب : مدينة بغربى الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٥٧ .

(٧) شلطيش : بلدة بالأندلس صغيرة فى غربى أشبيلية على البحر . انظر ياقوت الحموى معجم البلدان : المجلد الثالث ، ص ٣٥٩

(٨) يابسة : جزيرة نحو الأندلس فى طريق من يقلع من دانية فى المراكب يريد ميورقة فيلقها قبلها ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ص ٤٢٤

(٩) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .

دور الصناعة في الأندلس :

وقد اهتم الأمويون في عصر الخلافة بانشاء دور لصناعة السفن وزيادة عدد وحدات الأسطول الأندلسى ، وكان الخشب المستعمل في صناعة السفن هو المستورد من مدينة طرطوشة لما يتميز به من أهمية خاصة في الطول والغلظ ، وهو أحمر صافى لا يتأثر بالسوس ، ومن هذا الخشب تتخذ الصوارى والقرى ، بالاضافة الى خشب الصنوبر الموجود في الجبال التى تتصل بحصن قلمة ، وكذلك خشب الصنوبر في جزيرة يابسة كان يستعمل لانشاء المراكب . وكان سكان الكور في الأندلس ملزمين بتقديم كميات معينة من الخشب والزفت والقطران وأرسالها الى اشبيلية ثم الجزيرة لتستعمل في صناعة الأساطيل ، ولكن هذا الأمر سقط عنهم في عهد الخليفة الحكم المستنصر (١) .

أما هذه الدور فقد كانت في المناطق التى اتخذها الأسطول الأموى قواعد وموانى يرسو فيها ، فنجد هناك دار صناعة في المرية ، وأخرى بناها عبد الرحمن الناصر في طرطوشة سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤م ؛ وأخرى في الجزيرة الخضراء ، ولكن فيما يبدو أن أكثر سفن الأسطول كانت تصنع في دار الصناعة الموجودة في دانية (٢)

وبالاضافة الى ما سبق وجدت أيضا دور صناعة أخرى لا تقل أهمية عن هذه مثل الدور الموجودة في شلب ، وشلطيش ، شنتمرية ، والمنكب ، وبلنسية ، وجزيرة طريف ، واشبيلية ، وقصر أبى دانس ، والقصر ، ولقنت ، ومالقة (٣)

---

(١) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

(٢) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩

(٣) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .

وقد بلغ عدد وحدات الأسطول الأموى فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ثلمائة مركب (١) ، وكان لكل سفينة قائد من النوانية مسئول عن أمر حربها وسلاحها والمقاتلين فيها ، بالاضافة الى الرئيس المسئول عن سيرها بالريح أو المجاديف وأمر ارسائها بالميناء وكان الرئيس يستدل على طرق ومسالك البحر بواسطة كتاب عرف باسم الرهنامج .

كما كان هناك المنادى الذى يقوم بنقل أوامر الرئيس الى الملاحين . وكان الأسطول يجتمع تحت رئاسة أمير من أعلى طبقات أهل المملكة ويطلق عليه قائد الأسطول (٢) .

ونظرا لحالة العداء التى ارتبطت بها الدولة الأموية فى الأندلس مع الدولة الفاطمية فى تلك الفترة ، فقد اهتم الأمويون بنظام الدفاع البحرى اهتماما كبيرا خوفا من هجمات الفاطميين من ناحية ومن غارات المجوس (النورمان) من ناحية أخرى ، لذلك اهتم الخلفاء الأمويون بمراقبة الشواطىء الأندلسية ، وأوجد عبد الرحمن الناصر نظاما سريعا للبريد لنقل الأخبار وتبليغ الأوامر بمنتهى السرعة فكان أمراء البحر يبلغون الخليفة بكل صغيرة وكبيرة يتطرق اليها الشك فى أمور البحر .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ١ ، ص ٢١١ — ٢١٢ . يذكر ابن خلدون أن الأسطول فى عهد عبد الرحمن الناصر انتهى الى مائتى مركب أو نحوها بينما يذكر لنا السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ص ٤٢ ، (نقلا عن أبى الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٨٧) أن الأسطول بلغ فى عهد عبد الرحمن الناصر من ٢٠٠ قطعة الى ثلثمائة .

(٢) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ .

وعمد الأمويون أيضا الى نظام التفتيش حيث كانوا يقومون بتفتيش السفن التى تدخل الموانى والتى تخرج منها ، وكذلك المسافرين من أين قدموا وأسباب قدومهم ، وكان لابد من حصولهم على الاذن بالدخول أو بالخروج ، كما قاموا بمراقبة أحجام القوارب وهيئتها لمعرفة أشكال القوارب الغريبة [1] .

وقد اتبع الأمويون فى الأندلس نظام الرباط فقاموا بانشائه فى أماكن محصنة على طول السواحل حيث يرابط فيه خيار المسلمين للجهاد لا يأخذون أجرا مقابل أعمالهم ، بل يقومون به تطوعا من أجل بلادهم . وكان أهل الأندلس والمغرب شديد التحمس للرباط والجهاد .

ومن أهم هذه الرباطات رباط المرية التى أصبحت أشهر قواعد الأسطول الأندلسى ومركز قيادته ومحط عناية الخليفة عبد الرحمن الناصر ، كما وجد رباط آخر فى شرق المرية عرف باسم رابطة القهطة أو القابطة [2] بالاضافة الى رباطات أخرى نشأت بجوارها مثل رباط عمروس ورباط الخشنى .

ولم يقتصر وجود الرباط فى المرية بل نجده أيضا فى مدينة دانية التى تميزت بوجود جبل يكشف لها المد والقادم من البحر ويشاهد هذا الجبل من جزيرة يابسة ويحتمى به المسلمون عند الضرورة . كما وجد رباط آخر فى مدينة مالقة بالاضافة الى الرباطات الأخرى على طول الساحل الغربى فى الأندلس والمطل على

---

(١) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٤١٢ ــ ٤١٣

(٢) هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٤١٤ ــ ٤١٥ .

المحيط الأطلسى مثل رباط روطه ورباط بطليوس وموجين وشلب والريحانة التى كانت مقصد كثير من فقهاء القرنين الرابع والخامس الهجريين . هذا بالاضافة أيضا الى رباط التوبة الواقع فى جزيرة على البحر مواجها مدينة أونبة (١) .

وبمقابل اهتمام عبد الرحمن الناصر بأسطول الأندلس كان هناك أيضا اهتماما من قبل الفاطميين بأسطولهم ، فقد كانت الدولة الفاطمية تملك قوة بحرية ضخمة ورثتها عن الأغالبة ثم عملت على تنميتها وتقويتها . فقد أنشأ الفاطميون دارا للصناعة فى المهدية ، كما قاموا باصلاح دار الصناعة القديمة فى افريقية ، وبعد تولى المعز لدين الله أنشأ قاعدة اضافية فى سوسة لتواجه زيادة مطالب الأسطول الفاطمى فى تلك الفترة .

وكان تنظيم البحرية الفاطمية مطابقا لما اتبع فى التنظيم البحرى الأموى فى الأندلس . وقد استخدم الفاطميون الحمام الزاجل فى الاتصال بين وحدات أسطولهم المختلفة من الشوانى والحراريق والطرائد والطرادات والشلنديات وغير ذلك . ويرجع اهتمام الفاطميين بالاسطول الى أنهم أدركوا أن بقاء دولتهم واستمرارها يكمن فى وجود أسطول قوى يرسو فى موانيها المختلفة لحمايتها فى المغرب ثم فى مصر بعد ذلك (٢) .

---

(١) هشام بن أبو رميلة : المرجع السابق ، ص ٤١٦ — ٤١٧

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الأسطول الفاطمى انظر صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية ، ص ٩٨ — ١١٠ .

٢ ـ الاسطول الأندلسى يسيطر على جبل طارق ليمنع مساعدات الفاطميين للثائر ابن حفصون :

جبل طارق من الأماكن الاستراتيجية الهامة فى الأندلس وسمى بذلك نسبة الى الفاتح المسلم طارق بن زياد الذى عبر بجيشه من سبتة الى الصخرة المقابلة لفتح الأندلس (١) . وكان قديما يعرف باسم كالبى ويسمى مع جبل أتيلا المقابل له من الساحل الافريقى بأعمدة هرقل (٢) .

وجبل طارق عبارة عن لسان صخرى وعر يمتد من طرف أسبانيا الجنوبى فى البحر زهاء ثلاثة أميال (٣) . وباستطاعة الانسان أن يرى صخرة طارق هذه بوضوح عند وقوفه على شاطئ سبتة على الساحل الافريقى . وكان جبل طارق دائما وأبدا معبر للغزاة والفاتحين الى الأندلس والبلاد الأوربية وهو بموقعه هذا وبموقعه المنيع يعتبر قاعدة بحرية وبرية من الطراز الأول .

وقد لعب جبل طارق دورا هاما وعظيما فى تاريخ الأندلس فكان معبرا لجيوش الاسلامية الفاتحة من المغرب الى الأندلس ، ويعتبر مفتاحها من الجنوب .

---

(١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق ، طبع فى مدينة ليدن بمطبع بريل سنة ١٩٦٨م م ، ص ١٧٧ (انظر خريطة رقم (٥) .

(٢) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، مؤسسة الخانجى بالقاهرة مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م ، ص ٢٨٤

(٣) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

لذلك ظل طوال أيام الدولة الاسلامية في الأندلس قاعدة عسكرية برية وبحرية وأقام المسلمون حصنا عظيما فوق سطح الصخرة الأوسط من ناحيتها الشمالية الغربية وأسوارا ضخمة كانت تسمى أسوار الحرب [1] .

من كل ما سبق يتضح لنا مدى أهمية جبل طارق بالنسبة لبلاد الأندلس ولذلك نلاحظ أن الأمير عبد الرحمن بن محمد منذ اعتلائه عرش امارة الأندلس سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م يحرص على السيطرة على هذا الموقع ويهتم به اهتماما شديدا وخصوصا بعد قيام الدولة الفاطمية في افريقية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ، ولما كانت تظهر من عداء شديد تجاه الأمويين في الأندلس هذا بالاضافة الى اتصال الفاطميين بالثوار في الأندلس أمثال ابن حفصون الذي أعلن طاعته لعبيد الله المهدي ، فسير اليه مراكب مشحونة بالمؤن والأسلحة .

وفي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م أمر الامير عبد الرحمن بن محمد بانفاذ أسطوله الى جبل طارق ، ونجح في أن يفرض سيطرته عليه وأن يفرض عليه حراسة مشددة ويمنع وصول الامدادات الى الثائر عمر بن حفصون الذي اعترف بخلافة الفاطميين [2].

---

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٨٥

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٧ — أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٠ — أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص ٣٩٧ .

وبالاضافة الى جهل طارق واهتمام الأمير عبد الرحمن بن محمد به فقد اهتم بمدينة طريف التى تقع فوق لسان منبسط أخضر يمتد فى البحر فى جنوب غربى المثلث الأسبانى . هذا وتقع الجزيرة الخضراء قبالتها من الناحية الشرقية وتفصل بينهما سلسلة من التلال التى تتخللها بعض الوديان المنخفضة [1] .

وكانت طريف أيام الدولة الاسلامية فى الأندلس ذات أهمية بحرية خاصة ومركزا لنزول الجيوش المغربية العابرة الى الأندلس ، وهى بهذا تعتبر قاعدة من قواعد الوصل بين المغرب والأندلس .

وقد ظلت مدينة طريف تحتفظ بأهميتها هذه طوال أيام الدولة الاسلامية فى الأندلس ، ومن هنا كان اهتمام الأمير عبد الرحمن بن محمد بها فعمل على تحصينها خوفا من هجمات الفاطميين على بلاده ، فنراه فى سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م يذهب بنفسه الى هذه المنطقة وغيرها من المناطق المهمة على الساحل الجنوبى ويشرف بنفسه على تحصينها والعناية بها . [2]

---

(١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص١٧٦ — محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٧٨ .

(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٠ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨٢ .

٣ ـ استيلاء الأندلسيين على مليلة فى سنة ٣١٤ هـ وعلى طنجة فى سنة ٣١٥هـ وعلى سبتة فى سنة ٣١٩هـ ٠

مدينة مليلة من المدن المغربية المهمة يقول الادريسى عنها " هى مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع وجبال حسنة على البحر وكان بها قبل هذا عمارات متصلة وزراعات كثيرة ولها بئر فيها عين أزلية كثيرة الماء منها شربهم ويحيط بها من قبائل البربر بطون بطوية " (١) ٠

وتطل هذه المدينة المغربية على البحر المتوسط فى شمال شرق المغرب عند منتصف المسافة تقريبا بين سبتة ووهران ، وفى مكانها كانت توجد المدينة التى أسسها الفنيقيون وهى ردساديو (أى رأس الجوف) وقد تداول حكمها القرطاجنيون ثم الرومان ثم القوط ٠ وفى العصور الاسلامية كانت تسمى مليلة على وزن سفينة ٠ وكان أول ظهور لها فى العصر الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى عندما قام الزعيم الزناتى موسى بن أبى العافية المكناس بتجديد بنائها ٠

ونظرا لأهمية هذه المدينة قام الأمير الأموى عبد الرحمن بن محمد باحتلالها فى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ثم حصن أسوارها واتخذ منها قاعدة عسكرية أمامية لمقاومة الخطر الفاطمى خوفا من امتداده الى بلاده (٢)

---

(١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ٠

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢١٤ ، هامش رقم (١) ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ وأنظر أيضا

(2) Levi Provencal, Historia de Espana, t.IV. P. 311.

وبعد احتلال الأمير عبد الرحمن بن محمد لمدينة مليلة وبناء أسوارها جعل منها معقلا للزعيم الزناتى موسى بن أبى العافية ، وقد قال أحمد بن محمد بن موسى الرازى فى ذلك :

والملك الناصر دين الله فيما يحوط الدين غير ساه
بنى لموسى عدة مدينة منيعة شاهقة حصينة
ذلت لها تاهرت والأفارقة ولم يطق بنيانها العمالقة (1)

الاستيلاء على طنجة :

وكان من الطبيعى أن يقوم الأمير عبد الرحمن بن محمد بالاستيلاء على طنجة لتكمل له السيطرة على العدوة المغربية فأجبر ابن أبى العيش على التنازل له عنها سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م (٢) ثم انتقل منها ابن أبى العيش مع بنى عمه من الادارسة الى مدينة البصرة وأصيلا تحت رعاية الأمير عبد الرحمن بن محمد ، وقد اهتم الأمير عبد الرحمن بن محمد بتحصين هذه المدينة وأولاها اهتماما كبيرا مثل باقى مدن العدوة المغربية (٣)

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ـ أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والأندلسى ، ص ٣٩٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ص ٤٢٦ ـ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٢

الاستيلاء على سبتــــة :

وسبتة مدينة قديمة تقع على ضفة البحر الرومى وهو بحر الزقاق الداخــل في المحيط[1] ، وهى فى طرف الأرض داخل من الغرب الى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة ولو شاء ساكنوها أن يوصلو من ناحية الشمال لوصلـوه فتكون جزيرة منقطعة[2]

وقد أدرك الخليفة عبد الرحمن الناصر أهمية هذه المدينة ، اذ أنه باستيلائه عليها تهيأ له وجود قاعدة مهمة وثابتة ، يستطيع عن طريقها القيام بأى تدخـل عسكرى مباشر فى المغرب فى حالة الضرورة ، وفى نفس الوقت يستطيع بها السيطرة على العدوتين[3] . ولذلك قرر عبد الرحمن الناصر امتلاكها فسير جيوشه نحوهــا فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م[4] وملكها واشتد سلطانه بها وعظم شأنه بملكه البحـر بعدوتيه ، وكانت الحملة اليها بقيادة أمير البحر أحمد بن محمد بن الياس وسعيد

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص٢٠٢ ــ البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٠٢ ــ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص١٣٧ ــ انظـر دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١١ ص٢٢٤ ــ ٢٢٦ . مادة سبته .

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٠٣
أما عن سبب تسميتها بسبته فهناك أقوال كثيرة منها أنها سميت بذلك لانقطاعها فى البحر . وقيل أن رجلا من ولد سام بن نوح اسمه سبت خرج من المشرق لأسباب عرضت له فتوغل فى المغرب حتى أتى موضعها فاختط موضعا يعمره (انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص٢٠٢ ــ مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، ج ١ ، ص٥٨ ــ الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص١٦٧ ــ ١٦٨) .

(٣) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ــ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٥ ــ ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٢٨٨ ــ البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٠٤ ــ القلقشندى : صبح (=)

ابن يونس بن سعد يلي (١) .

ونظرا لما امتازت به سبتة من أهمية كبيرة فقد عمل عبد الرحمن الناصر على تحصينها وبنى سورها وشحنها بالرجال والذخيرة واختار لها من وثق به من قواده ، كما أقيمت الخطبة فيها باسم الناصر لدين الله . وقام عبد الرحمن الناصر باكرام وفد من أهل سبتة قدم عليه بطاعة أهلها وقضى حوائجهم ، وانفذ كتبه الى أنصاره من ملوك العدوة يذكر فتحه لمدينة سبتة (٢) ويطالبهم جميعا بالاتحاد ليكونوا يدا واحدة في وجه الأعداء .

وكان ممن أجاب عبد الرحمن الناصر على كتابه هذا محمد بن خزر ، وموسى بن أبي العافية ، ومنصور بن سنان ، وزاكل بن سراج صاحب طنجة ، والمؤيد بن عبد السميع صاحب نكور ، وغيرهم من قبائل البربر الموالين للسلطان الأموي في الأندلس (٣)

وقد ذكر ابن حيان في كتابه أن امتلاك عبد الرحمن الناصر لسبتة كان عن

(=) الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٩ ــ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٤ ــ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلس ، ص ٣٩٨ ــ

- Levi Provencal: Historia de Espana, t.IV. P. 312-313.

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثاني ص ٤٢٥ ــ محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .

رغبة وقبول من أهلها لما لمسوه من عدله وحسن سيرته [١] .

وكان احتلال سبته بالنسبة للعاهل الأموى بمثابة نجاح عظيم حيث أصبحت لديه قاعدة صلبة للعمليات الحربية على الساحل المغربى ذات موقع أفضل بكثير من مليلة لوقوعها فى المواجهة وعلى بعد أميال معدودة من الميناء العربى فى الجزيرة الخضراء .

ومن هذا الموقع يتمكن ليس فحسب من الأخذ بزمام القيادة السياسية لمنطقة سبته بأسرها ، بل أيضا التدخل عسكريا اذا تجاسر موسى بن أبى العافية على القيام بأى مغامرة فى الأقليم [٢] .

ولم يرض استيلاء عبد الرحمن الناصر على سبته بعضا من الأدارسة ، فقام ابراهيم بن محمد الحسنى ، ومن معه من أبناء محمد بن ادريس الحسنى بجنده

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٩٨ ، أورد لنا ابن حيان : (فى ج ٥ ، ص ٣٠٠) بعضا من أبيات الشعر التى قيلت فى تهنئة عبد الرحمن الناصر بفتح سبته حيث يقول عبيد الله بن يحيى من ادريس يخاطب الناصر لدين الله .

بسيفك دانت عنوة وأقرت	بصائر كانت برهة قد تولت
وما قربت أهواؤها اذ تقربت	ولا مليت بالزى لما تحلت
ولكن ازالت راسيات عقودها	عزائم لو ترمى بها الصم زلت
ودولة منصور اللواء مؤيد	تدل بحمد الله من شر دولة
فهذا أوان النصر منها وهذه	بشائره تروى الأنام بسبتة

(٢) Levi Provencal; Historia de Espana, t. IV. P. 312-313.

- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكثير ، ج ٢ ، ص ٦١٧ .

فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م وزحفوا الى سبتة محاولين مباغتة أهلها واستمادتها من عبد الرحمن الناصر ففشلوا فى ذلك ، ثم بادروا بالكتابة لعبد الرحمن الناصر معتذرين عن ذلك ، فقبل عبد الرحمن الناصر عذرهم ، وأرسل اليهم القاضى محمد ابن عبد الله بن أبى عيسى قاضى جيان فلاطفهم ، وسكن نفوسهم وأخذ منهم البيعة بالطاعة لعبد الرحمن الناصر . (١)

وكان ابن عمهم من آل عمر بن ادريس بزعامة ابراهيم بن ادريس بن عمر بن ادريس قد قدموا المساعدة لعبد الرحمن الناصر فى تمكينه من مدينة سبته ، فعاب عليهم هذا الأمر بنى عمهم بزعامة ابراهيم بن محمد وزحفوا على سبته فناصر آل عمر جند عبد الرحمن الناصر وردوا بنى محمد عنها ، وأرسلوا الى عبد الرحمن الناصر كتابا باسم رؤسائهم ابراهيم وعيسى وأبو العيش بنو ادريس بن عمر بن ادريس وابن عمهم يحيى بن محسن بن محمد بن القاسم وجميع رؤساء قبائل غمارة يؤكدون فيه ولاءهم وبيعتهم لـه .

وعندما تأكد بنو محمد من توطيد ملك عبد الرحمن الناصر لسبته لاذوا اليه بالطاعة فقبل منهم ذلك وأمرهم بالتآلف مع بنى عمهم من آل عمر لأن فى اتحادهم فى هذه المنطقة قوة لهم جميعا ضد الشيعة الفاطميين فى افريقية (٢) .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٩١ - وانظر أيضا : نص الرسالة التى وجهها الأدارسة من آل محمد الى عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٩٤ . وانظر أيضا : نص رسالة آل عمر فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م الى عبد الرحمن الناصر يغرونه ببنى عمهم من آل ابراهيم بن محمد ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

وفى نفس الوقت وجه آل ابراهيم بن محمد رسالة الى عبد الرحمن الناصر بما حدث بينهم وبين عامل سبته فمتد ما أعلموه بانضمامهم الى عبد الرحمن الناصر اشترط عليهم عامل سبته أن لا يتدخل فى شئون رعيتهم اذا حدث بينهم خلاف وألا يأوى اليه أحد منهم ، وأن يقتصر عمله على رعاية سبته • ولكن عامل سبته لم يلبث أن خالف عهده مع بنى محمد من الأدارسة فأوى اليه جماعة من رعيتهم يقال لهم بنى واضة جاءوا اليه فطلب بنو محمد من عامل سبته ردهم اليهم فرفض فى انتظار رأى عبد الرحمن الناصر ، فقام بنو محمد بالكتابة الى عبد الرحمن الناصر ليطلب من عامله ردهم اليهم وحتى لا يتسبب ذلك فى اغراء رعايا بنى محمد فى الخروج عليهم على اعتبارانهم من جند أمير المؤمنين وأن لا مصلحة لأحد فى حدوث أى نزاع وخلاف لأن هذا يمكن الأعداء من التغلب عليهم (١) •

وبعد وفاة الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى فى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م حدثت على ما يبدو من كلام ابن حيان ثورة من أهل سبته وطنجة على عبد الرحمن الناصر ، فنجده فى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م يأمر قائده عبد الملك بن سعيد بن أبى حمامة بالتوجه بالأسطول الى سبتة وطنجة لمحاربة من انتقض عليه من أهلها (٢) •

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨ • انظر أيضا : نص رسالة آل محمد الى عبد الرحمن الناصر بعد بيعتهم له وما حدث بينهم وبين عامل سبته بخصوص ذلك ، نفس الصفحة •

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٦٨ •

وسارع ابن أبى حمامة الى القيام بما أمره به عبد الرحمن الناصر وخرج بالأسطول من نهر طرطوشه لعشر بقين من رمضان وعسكر بأسطوله ما بين مدينتى سبتة وطنجة فى شوال سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م وظل هناك طوال هذه السنة مترددا على مراسى العدوة الى أن حل الشتاء فعاد فى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م [1]

وظلت سبتة بعد ذلك فى يد عبد الرحمن الناصر طوال فترة خلافته ، كما ظلت فى الوقت نفسه شوكة فى جنب الدولة الفاطمية التى لم يقدر لها استعادتها من الأمويين رغم المحاولات المستميتة التى بذلتها فى سبيل ذلك وفى سبيل تخليص شمال المغرب الأقصى من أيدى الأمويين .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٦٩ .

٤ ـ اخضاع المغرب الأقصى للسيادة الأندلسية والقضاء على آخر ملك الأدارسة به في سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م :

استمر ملك الأدارسة في فاس حتى قيام الدولة الفاطمية الشيعية في افريقية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م وظلت امارة فاس في دولة محمد بن ادريس ، ثم انتقلت منهم الى ولد عمر بن ادريس ، وكان آخرهم في فاس يحيى بن ادريس بن عمر فبايع عبيد الله المهدى ، ولم يلبث أن نكبه مصالة بن حبوس قائد عبيد الله المهدى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م . ثم خرج على مصالة في فاس الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بالحجام ، وحكم الحسن هذا فاس ولكن موسى بن أبي العافية تمكن من قتله ، واستولى على جميع أعمال الأدارسة واجلاهم الى حجر النسر . وقد أقام أخوه ابراهيم بن محمد بن القاسم دويلة في حجر النسر سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، كما أقام بنو عمر بن ادريس في غمارة من تيجساس الى سبتة وطنجة [(١)]

وبعد أن تولى الخليفة الفاطمي أبو القاسم الشيعي سير القائد ميسور لحرب موسى بن أبي العافية فوجد هؤلاء الأدارسة من آل محمد وآل عمر الفرصة للانتقام من موسى بن أبي العافية بموالاة ميسور قائد الشيعة عليه [(٢)] .

ولما استرد موسى بن أبي العافية قوته سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م عاد وحارب بني محمد وبني عمر من الأدارسة الى أن هلك .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

وفى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م أجاز عبد الرحمن الناصر وزيره قاسم بن محمد ابن طملس الى العدوة لحرب الأدارسة وطلب الى ملوك مغراوة محمد بن خزر وابنه معونة القائد على هذا . ولما علم الأدارسة بنبأ هذه الحملة سارعوا الى تقديم فروض الطاعة والاحترام لعبد الرحمن الناصر [1] ، فقدم أبو العيش بن ادريس بن عمر الطاعة وأوفد ابنه محمد بن أبي العيش مؤكدا لهما . وبعث بنو محمد أيضا وفدا الى عبد الرحمن الناصر منهم محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد والحسن بن القاسم ابن ابراهيم بن محمد .

وقد قدم الأدارسة عليهم القاسم بن قنون الذى ملك بلاد المغرب ما عدا فاس بعد وفاة الحسن بن محمد الملقب بالحجام (وكان القاسم بن قنون يدعو الى الشيعة) . ثم هلك القاسم بقلعة حجر النسر سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م [2] وتولى بعده ابنه أحمد بن القاسم بن كنون وكان يعرف بأحمد الفاضل . وسارع أحمد الفاضل بتقديم فروض الطاعة والولاء لعبد الرحمن الناصر ، وبعونه استطاع مد سلطانه حتى سجلماسة [3] وبطبيعة الحال كان هذا نصرا لعبد الرحمن الناصر فى الأندلس .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٧
Levi Provencal; Historia de Espana, t,IV. P.317.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٧ ، بينما يذكر ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٢٦ أنه توفى سنة ٣٣٠ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٧ ــ ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ــ
Levi Provencal ; Historia de Espana, t.IV.P,317.

واستعمل أحمد الفاضل على فاس محمد بن الحسن وأرسل ابنه محمد بن أبى العيش بن ادريس بن عمر بن شالة الى عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م فانتهز ابن عمه عيسى الفرصة وهاجم بتكيسان واستولى عليها ولما عاد محمد من عند عبد الرحمن الناصر زحف بربر غمارة الى عيسى فأصابوه وقتلوا أصحابه فى بلاد غمارة . فسير عبد الرحمن الناصر أحمد بن يعلى الى بنى محمد فى سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م وأجبرهم على هدم تطوان التى حاولوا بناءها ، ثم عاد عبد الرحمن الناصر وسير اليهم حميد بن يصل سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م وأرجعهم الى الطاعة وتغلب على طنجة من أبى العيش وبقى مع بنى محمد باصيلا تحت طاعة عبد الرحمن الناصر [١] .

وكما ذكرت آنفا سارت عساكر عبد الرحمن الناصر الى المغرب واستجاب له الكثير من أهله من زناتة وبنى يفرن ومكناسة وغيرهم وضعف أمر بنى محمد ، ورأى ابن أبى العيش أنه لم يبق له من الأمر شيء حيث استولى قواد عبد الرحمن الناصر على معظم نواحى شمال المغرب الأقصى من تاهرت الى طنجة وأقام فى البصرة فى المغرب الأقصى غير بعيد من حجر النسر ثم استأذن عبد الرحمن الناصر فى الذهاب الى الأندلس فأذن له ، وترك أخاه الحسن بن قنون على ما بيده فتمسك بطاعة عبد الرحمن الناصر . ولما غزا جوهر الصقلى بلاد المغرب جامله الحسن ، فلما ترك جوهر المغرب عاد الى طاعة عبد الرحمن الناصر حتى وفاته [٢] .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .
Levi Provencal; Historia de Espana, t.IV.p. 317.

(٢) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .

والحقيقة أن الفترة التى كان خلالها الخليفة الفاطمى المنصور حاكما لافريقية (٣٣٤ هـ ـ ٣٤١ هـ / ٩٤٥ ـ ٩٥٢ م) وعلى اثر انتصاره على أبى يزيد بن مخلد صاحب الحمار لم يكن له نشاط واضح فى مقاومة النفوذ الأموى [1] . وهذه الفترة كانت فرصة لعبد الرحمن الناصر استغلها لبسط النفوذ الأموى فى المغرب الأقصى والأوسط ، لأن الفترة التى جاءت بعد ذلك أى خلال عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ظهرت فيها قدرته على ضبط أمور المغرب وحسر النفوذ الأموى به . ومع ذلك فان المعز لدين الله الفاطمى رغم ما بذله من جهود لم يقدر له النجاح التام فى استعادة نفوذ الفاطميين على المغرب الأقصى .

---

(1) Levi Provencal : Historia de Espana, t.IV. p,318.

٥ ـ الحرب بين المعز لدين الله وعبد الرحمن الناصر :

مهاجمة الأسطول الفاطمى لمدينة المرية فى سنة ٣٤٤ هـ واحراق السفن الراسية به :

فى هذه المرحلة تدخل العلاقات بين الأمويين فى عهد عبد الرحمن الناصر فى الأندلس ، وفى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى المغرب دورا جديدا ومختلفا عما سبق ، اذ خرجت العلاقات من دور الكيد والدس والمؤامرات الى دور الحرب التى اظهرت مدى قوة العداء بين الفريقين

وقد كان الثورة أبى يزيد بن مخلد (صاحب الحمار) دور كبير فى شغل الفاطميين عن بسط نفوذهم وتوطيد سلطانهم فى المغرب الأقصى . كما أحسن الأمويون فى الأندلس استغلال هذه الفرصة ، فقد نجح عبد الرحمن الناصر فى فرض سيطرته على مضيق جبل طارق ومد نفوذه على طول الساحل المغربى من رأس العدوة المغربية حتى الجزائر ، كما استولى فى رأس العدوة المغربية على القواعد العسكرية البحرية الهامة سبته وطنجة ومليلة ، هذا بالاضافة الى نجاح سياسته فى اجتذاب رؤساء قبائل البربر من زناتة ومغراوة وانضمامهم تحت لوائه (١)

وعندما تولى الخليفة المعز لدين الله الخلافة فى المغرب سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م كان نفوذ الفاطميين فى بلاد المغرب قد انحسر حتى ايفكان فى المغرب الأوسط ولذلك اهتم المعز لدين الله بالعمل على توطيد سلطان الفاطميين فى بلاد المغربين الأوسط والأقصى .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ .

ففى سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م أمر بتسيير جيوشه الى جبل أوراس وأدخل أهله فى طاعته وضم اليه البربر وخلع عليهم لتأليف قلوبهم حوله [١] . كما انضم اليـه محمد بن خزر أمير مغراوة فأكرمه عنده بالقيروان الى أن مات سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م [٢] وقام المعز لدين الله أيضا باكرام زيرى بن مناد أمير أشير [٣] فى سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م . كما ولى من قبله على تاهرت يعلى بن محمد اليفرنى وعلى المسيلـة جعفر بن على الأندلسى [٤] ، وعلى باغاية قيصر الصقلى ، وعلى فاس أحمد بن بكر ابن أبى سهل الجذامى . غير أن أهل فاس ما لبثوا أن خرجوا على المعز لدين الله وبايعوا لعبد الرحمن الناصر فى الأندلس فولى عليهم محمد بن الخير المغراوى الذى ما لبث أن رحل الى الأندلس للجهاد [٥] ، وترك عليها ابن عمه أحمد بن أبى بكر ابن أحمد بن عثمان الزناتى ، وتبع ذلك أيضا خروج يعلى بن محمد اليفرنى على المعز لدين الله وانضمامه لطاعة عبد الرحمن الناصر فى الأندلس [٦] .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٩٣ ـ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٦

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

(٣) أشـير : مدينة فى جبال البربر بالمغرب فى طرف افريقية الغربى مقابـل بجاية فى البر ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلـد الأول ، ص ٢٠٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٣

(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

وبينما المعز لدين الله يوطد سلطانه فى المغرب الأوسط انطلقت الشرارة التى فجرت نار الحرب بينه وبين عبد الرحمن الناصر • فيذكر لنا القاضى النعمان أنه فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م قدم من بلاد المشرق مركب لبنى أمية ، فلما صار بين صقلية وافريقية مر بجزيرة صادف فيها قاربا قادما من صقلية يريد افريقية وبه عدة أشخاص وفيه كتاب من عامل الفاطميين على صقلية وهو الحسن بن على بن أبى الحسن الكلبى الى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، فخاف الأندلسيون أن يخبروا عنهم الفاطميين قبل وصولهم الى الأندلس ، فقطعوا عليهم الطريق وأخذوا ما معهم من المكاتبات وتركوا من بقى فى الجزيرة لا يجدون ما يوصلهم الى افريقية حتى مر بهم مركب فحملهم وساروا الى المعز لدين الله واطلعوه على ما حدث لهم [(١)] •

وقد أراد المعز لدين الله أن يظهر لعبد الرحمن الناصر مدى قوته البحرية فما أن علم بالخبر حتى ثار وغضب ، وأعد مراكب حربية وشحنها بالرجال من البحر والبر تحت قيادة الحسن بن على والى صقلية وأمرهم بتتبع المركب الأموى واللحاق به حتى ولو وصل الى مراسيه وحرقه •

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٦٤ — ١٦٥ — وعن هذا الحادث انظر أيضا السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ ، ص ٦١٢ — ٦١٣ — أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ — محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ٢٢٠ — صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٧ —

(1) Levi Provencal ; Historia de Espana, t.IV.319.

وكان المركب قد وصل الى مرسى المرية قاعدة الأسطول الأندلسى ومكان تجمعه ووصلت مراكب الفاطميين المرية قبل بلوغ خبرها الى عبد الرحمن الناصر وقامت باحراق المركب الأموى - وكان به جوارى مغنيات وامتعة لعبد الرحمن الناصر - كما قام رجال الأسطول الفاطمى أيضا باحراق ما وجدوه بالمرية من المراكب الأخرى ، ثم نزلوا الى المدينة وقتلوا من تصدى لهم بها ونهبوا ما وجدوه فيها ثم عادوا الى المهدية [١] .

والواقع هنا نقطة مهمة أود شرحها قبل الاسترسال فى الأحداث الحربية بين الأمويين والفاطميين ، وهذه النقطة هى ما ذكره بعض الكتاب المحدثين من أن سبب هذه الاشتباكات وجود مشروع غزو من قبل الفاطميين فى عهد المعز لدين الله لبلاد الأندلس ، وان حكومة قرطبة عثرت على بعض الوثائق الهامة التى تؤيد هذا المشروع [٢] .

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص١٦٥ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص٦١٣ - عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص٢٨٢ - عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود العربى بالأندلس ، مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م ، ص ٦١٧ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ص ٤٢٧ - وصابر محمد دياب : المرجع السابق ، ص١١٧ - حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله ، ص٣٩ - ٤٠

(1) Levi Provencal : Historia de Espana, t.IV.P.320.

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ص٤٢٦ - ٤٢٧ - محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية ، ص١٨١ - أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٧ .

ولمعرفة مدى صحة هذا المشروع نعود لفحص الأحداث التاريخية مرة أخرى في هذه المنطقة . وفي البداية انى لا أذهب الى القول بوجود مشروع هجومى على الأندلس ، وليس هذا تعصبا للأمويين في الأندلس . فلو نظرنا الى الأحداث في هذه المنطقة وفي بلاد الأندلس لوجدنا أن فيها الكثير من الاجابات التى تنفى مثل هذا المشروع .

فبلاد الأندلس وخصوصا في هذه الفترة أى فترة خلافة عبد الرحمن الناصر كانت في أوج قوتها حيث أصبح لها دور كبير في حماية الاسلام في غرب العالم الاسلامى ، وكانت في الوقت نفسه محط أنظار الكثير من الملوك المسيحيين يتقربون اليها ويطلبون ودها وصداقتها (١) .

هذا بالاضافة الى شخصية حاكمها عبد الرحمن الناصر ، فقد كان رجل سياسة من الطراز الأول فاق حكام عصره وجعل في الوقت نفسه لبلاده قوة بحرية وبرية يخشى جانبها (٢) .

واذا نظرنا الى الفاطميين في المغرب نجد أن دولتهم لم تستطع توفير الاستقرار لنفسها في بلاد المغرب منذ قيامها حيث فشلت في السيطرة على البربر نتيجة لسياستها التعسفية وسياسة القمع والارهاب لهم (٣) . ولذلك ظل المغرب طوال

---

(١) في هذا الصدد انظر الفصل الثالث ، ص ٢٠٧

(٢) في هذا الصدد ، انظر حديثى السابق في نفس هذا الفصل عن اهتمام عبد الرحمن الناصر بالأسطول ،، ص ٢٢٠

(٣) انظر ما ذكرته في هذا الصدد في الفصل الأول ٥ ٦١

فترة وجودهم يشهد ثورات كثيرة من البربر من أهمها ثورة أبى يزيد بن مخلد صاحب الحمار والتى زعزعت أركان الدولة الفاطمية • هذا فى الوقت الذى شهدت فيه المنطقة نشاطا واسعا ونجاحا ملحوظا لنفوذ الأمويين فيها حيث ضم عبد الرحمن الناصر اليه أعدادا كبيرة من البربر بمساعدته لهم وترحيبه بهم وتشجيعه للثائرين على الفاطميين مثل ثورة صاحب الحمار ،واخضاعه الأدارسة لنفوذه ، واستيلاؤه على قواعد مهمة تتيح له التدخل العسكرى فى بلاد المغرب مثل مليلة وسبته وطنجة - وقتما يشاء - بالاضافة الى الأنصار الموالين له فى المغرب •

فلو كان المعز لدين الله يريد تنفيذ مثل هذا المشروع لفكر فى البداية فى توطيد سلطانه فى المغرب وفى المغرب الأقصى بالذات حيث نجد أن معظم شماله كان فى طاعة الأمويين الى جانب قواعدهم العسكرية على ساحله سبته وطنجة ومليلة والتى لم يستطع الخليفة الفاطمى المعز لدين الله انتزاعها من الخليفة الأموى • فقيادة أى هجوم فاطمى أو أية محاولة فاطمية لدخول الأندلس تستلزم من المعز لدين الله أولا توطيد سلطانه على المغرب الأقصى وخصوصا رأس المعدوة واخضاع البربر وكسر شوكتهم وذلك ليتمكن من العبور الى الأندلس ، وايجاد نقطة ارتكاز لقواته المهاجمة على الساحل الأندلسى ليزحف منها الى داخل الأندلس •

وأخيرا والأهم من كل هذا وذلك أن فكرة غزو الفاطميين لمصر واتجاه أنظارهم الى المشرق كانت هى كل ما يشغل بال المعز لدين الله وهو الشىء الذى نجح فى تحقيقه • وكان رد عبد الرحمن الناصر على غزو الفاطميين للمرية فى سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م أن أمر فى الحال بانزال اللعنات عليهم فى جميع

المساجد (١) . وفى نفس الوقت أمر قائده غالب بالاقلاع بالأسطول الى الشواطئ الافريقية والتجوال فيها ، غير أن هذه المحاولة الأولى للأندلسيين للرسو على الشواطئ الافريقية قد باءت بالفشل (٢) .

غارة الأسطول الأندلسى على منطقة سوسة سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م :

وبالاضافة الى ما فعل عبد الرحمن الناصر من القيام بلعن الخلفاء الفاطميين على منابر المساجد وتسييره حملة الى شواطئ افريقية فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م فقد قام بتسيير أسطول مكون من سبعين مركبا فى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م بقيادة غالب القائد الى سواحل افريقية ، وكان هدف هذه الغارة مرسى الخزر وتدمير منطقة سوسة ، فقتل الأندلسيون ونهبوا وعاثوا فيها وفعلوا مثل ذلك فى طبرقة (٣) .

---

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٢١ – صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٨ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٧ .

(1) Levi Provencal : Historia de Espanam t.IV. P,320.

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ، ص ١٠١ – ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ – ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٤٦ – أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والأندلسى ، ص٤٠٤ – السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ ، ص ٦١٣ .

الواقع أن الأسطول الأندلسى انتصر انتصارا كبيرا فى هذه السنة على الفاطميين بينما نجد القاضى النعمان فى المجالس والمسايرات ، ص١٦٧ ، يذكر أن الفاطميين وأهل بعض مراسى المغرب قد هزموا الأندلسيين ولا أعرف سببا لذكره هذا ! أهو تعصبا منه للفاطميين أم ماذا ؟

كما قام عبد الرحمن الناصر بالاستعداد والتأهب للفاطميين فضاعف من بناء السفن فى دور الصناعة الأندلسية ، وأعد زوارق ضخمة وكثيرة بالاضافة الى الحذر من أى هجوم مباغت على مدينة سبتة قلعته الحصينة على الساحل المغربى ، فقد ضاعف المراكز الدفاعية فيها وزاد من ارتفاع أسوارها .

استغلال عبد الرحمن الناصر انشغال المعز لدين الله فى محاربة البيزنطيين فى البحر المتوسط فتبادل الرسائل معه بقصد عقد هدنة معه كسبا للوقت :

هذا ولم تؤثر الغارة الأندلسية على نشاط الفاطميين فى البحر المتوسط بل زادت من حدة الصراع بينهم وبين الأمويين فى الأندلس ، فنجد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله يأمر أسطوله بالتجول فى كل مرسى بطريق الأندلس استعدادا لأية غارة من قبل الأمويين ، ولذلك لم يستطع الأمويون النيل من شواطىء افريقية .(١)

وفى نفس الوقت كان المعز لدين الله يقظا تجاه تحركات البيزنطيين الذين حاولوا الاستفادة من هذه الحرب فى مهاجمة الفاطميين ، فقد أنفذ المعز لدين الله أسطوله لهم من المهدية فأوقع بهم الهزيمة (٢) .

وفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م بعث الامبراطور البيزنطى الى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بهدايا وأموال كثيرة وطلب منه عقد هدنة بينهما مقابل مال يؤديه

---

(١) صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية ، ص ١١٩

(٢) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٦٦ ــ ١٦٧ .

للمعز لدين الله ، واطلاق سراح بعض الأسرى كل عام فأجابه الخليفة المعز لدين الله لما أراد [1] .

وحاول عبد الرحمن الناصر فى هذه الأثناء عقد صلح مع الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فدس رسولا من قبله كتب كتابا على لسان بعض رجاله الى رجال المعز لدين الله فى الصلح والكف عن الحرب والتفرغ لجهاد المشركين ، وكان غرض عبد الرحمن الناصر من ذلك كسب الوقت والمزيد من الاستعداد لمواجهة المعز لدين الله لأنه كان فى نفس الوقت يعد لحربه [2] .

وقد أورد لنا القاضى النعمان رد المعز لدين الله على رسول عبد الرحمن الناصر واليك نص الرسالة : " وأما ما تخوفه من الحرب والفتنة وسفك الدماء فما ظهر له منا ما يتخوف منه ذلك ، وما نحن بمن يؤمنه منه لكنه بغى علينا من بغى من أهل عمله فانتصرنا بالله فنصرنا الله وبلغنا فوق آمالنا فقام وقعد وأبرق وأرعد ووالى علينا المشركين الذين رأى الآن أن اشتغالنا به واشتغاله بنا داع الى ترك جهادهم وأن ذلك نقص وكف عن الاسلام . فهلا رأى ذلك اذ بعث بأمواله

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٦٧ .

(٢) استعداد عبد الرحمن الناصر هنا لحرب المعز لدين الله لا يفهم منه ضعف من عبد الرحمن الناصر أو ضعف فى قوته أو أن للمعز قوة أكبر وأكثر من قوة الناصر لدين الله ليستعد لمواجهتها ولكن عبد الرحمن الناصر لم يشأ أن يتمادى بكل قوته فى صراع يعلم سببه ونتيجته فلم يلق بجنوده وخيرة قواده فى الصراع مع الفاطميين بل عمل على الاستفادة منهم فى تقوية جبهته الشمالية تجاه ملوك النصارى ، ففى الوقت الذى كان يدخل فيه فى صراع مع الفاطميين كان يحافظ أيضا على قوة جبهته الشمالية .

وهدداياه ورسوله اليهم واستنصر علينا بهم ؟ فكيف رأى الله عز وجل فعل بهم وبجمعهم ؟ لم يصرف الجمعين مغلوبين خائبين خاسرين ونحن بعد فما رأى منا اليه حركة فما هذا القلق وهذه العجلة ؟ وأما ما دعا اليه من السلم والكف والموادعة والصلح وهو يزعم أنه أمير المؤمنين — كما يتسمى دون من سلف من آبائه — وأمام الأمة بدعواه وانتحاله . ونحن نقول انا أهل ذلك دونه ودون سواه ، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه مع ما بين أسلافنا وأسلافه ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة الأصلية والبغضة فى الاسلام والجاهلية وما اعتقدوه لنا فى ذلك فى الاسلام وطالبونا به من قديم الأيام من لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآله / آباءهم وقتل من قتله على الشرك والكفر بالله منهم وطلبهم بثأرهم ودمائهم . وطلبنا نحن اياهم بمن قتلوه منا كذلك فى سلطانهم وأيام تغلبهم فكيف بالصلح الذى ذكره بعد هذا النبأ الجليل خطره ؟ يأبى لنا ذلك قول الله عز وجل :

" لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ... "(1)

ما أنا بالمداهن فى دين الله ولا بالراكن بالمودة الى أعداء الله ولا بالمخادع فى أمر من أمور الله "(2)

وقد رفض الخليفة المعز لدين الله أن يعقد الهدنة مع عبد الرحمن الناصر ومع ذلك لم يتراجع عبد الرحمن الناصر وبعث مرة أخرى برسوله الى المعز لدين الله

(١) القرآن الكريم : سورة المجادلة ، آية ٢٢ .
(٢) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

يطلب الصلح والخليفة الفاطمى يرفض ذلك لعلمه بغرض عبد الرحمن الناصر [1].

وقد ورد فى هذه الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن الناصر والمعز لدين الله الكثير من الاتهامات والتحقير ، فنجد المعز لدين الله الفاطمى فى أحدها يحقر عبد الرحمن الناصر ويتهمه بالكفر والشرك لتحالفه مع البيزنطيين على غزو سواحل افريقية [2] وأنه بانتصاره على البيزنطيين واستجابته لطلب الهدنة معهم لم يكن عن ضعف منه ولكن كان ذلك بعد انتصاره وفرضه الجزية عليهم .

ومما ورد أيضا فى احدى هذه الرسائل ما ذكره عبد الرحمن الناصر حول افتخار المعز بنفسه حيث يذكر لنا القاضى النعمان أيضا رأى عبد الرحمن الناصر فيما ذهب اليه المعز لدين الله فيقول : " ... فرأى فيه من اطراء فلان — يعنى أمير المؤمنين — لنفسه وذهابه بها وافتخاره مالا يليق بأهل العقول اطراء أنفسهم " [3]

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٧٣ .

(٢) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٧٤ — لا أعتقد أنه كان هناك تحالف بين عبد الرحمن الناصر والبيزنطيين كما يذكر القاضى النعمان لغزو سواحل افريقية . وان كان القاضى النعمان يشير بهذا الى السفارة التى قدمت لعبد الرحمن الناصر من قبل الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع ، فهذه السفارة جاءت الى الأندلس قبل تولى المعز لدين الله الخلافة فى المغرب كما أن غرض هذه السفارة هو عقد معاهدة صداقة ومودة مع خليفة الأندلس (انظر ما ذكرته عن هذه السفارة فى الفصل الثالث .

(٣) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٧٧ .

وقد برر المعز لدين الله فخره بنفسه لقرابته من الرسول ، صلى الله عليه وسلم وعاب فى الوقت نفسه على عبد الرحمن الناصر فخره بنفسه وبملكه وماله [1] .

٦ ـ استئناف النزاع بين عبد الرحمن الناصر والمعز لدين الله حول المغرب الأقصى وفشل حملة جوهر الصقلى فى استعادة سيادة الفاطميين التامة عليه :

وقد واصل الأمويون فى الأندلس بعد ذلك سياسة العداء نحو الفاطميين فالى جانب ما سبق عمدوا الى اثارة القبائل البربرية الحانقة على الفاطميين منذ قيام دولتهم فى افريقية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م فاعلنت قبائل البربر وزعماؤها من زناتة ومغراوة ومكناسة الخروج عن طاعة المعز لدين الله واقامت الدعوة لعبد الرحمن الناصر على منابرها فى المغرب . كما سير عبد الرحمن الناصر قواته لمهاجمة البلاد الخاضعة لسلطان الفاطميين بالمغرب وأوقع الهزيمة بقوات الفاطميين فى سنة ٣٤٦ هـ /٩٥٧م مما أثار سخط أهالى المغرب على الفاطميين [2] .

---

(١) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٧٩ .
الواقع أنى ابتعدت عن ذكر أكثر ما جاء فى هذه الرسائل من الاتهامات والعبارات الجارحة التى كالها كل منهما للآخر والرد عليها . وذلك بسبب خروجها عن موضوع بحثى من جهة ومن جهة أخرى فان تحيز القاضى النعمان للمعز لدين الله وللفاطميين أمر واضح ولا يمكننا أن نسلم بصحة كل ما أورده من حقائق فى هذه الرسائل أو ندخل فى هذا المجال ـ فى مناقشتها .

(٢) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٢ .

وأغضبت هذه الأمور كلها المعز لدين الله فعمل على اعداد حملة كبيرة لاستعادة نفوذ الفاطميين وتوطيده في المغرب الأقصى وسير على هذه الحملة قائده جوهر الصقلي وجعفر بن على وزيرى بن مناد •

ففى سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م سار القائد جوهر الصقلي بحملة وكان مقصده الى يعلى بن محمد اليفرني فى تاهرت الذى كان تحت طاعة عبد الرحمن الناصر • وخرج يعلى للقاء القائد جوهر وأظهر له خضوعه والدخول فى طاعته فأضمر جوهر الشر له وكان ينوى الفتك به • فأمر بعض رجاله فى يوم خروجه مع يعلى من تاهرت باحداث شغب فى مؤخرة الجند فسار الزعماء من كتامة وصنهاجة لفض ما حدث وقبض على يعلى وهلك فى وطيس تلك المعركة على أيدى رجال كتامة وصنهاجة وذهب دمه هدرا وخرب جوهر مدينة ايفكان وفرت منه زناتة (١) •

وكان القبض على يعلى بن محمد اليفرنى وقتله وتفرق أنصاره ولحاق بعضهم بالأندلس من أكبر العوامل التى ساعدت جوهر الصقلى فى جعل بلاد المغرب الأوسط فى قبضة زيرى بن مناد فيما بعد (٢) •

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٧ ، ص ١٧ ـ ١٨ ـ ابن أبى دينار : المؤنس ص ٦١ ـ القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٢١٧ •

Levi Provencal: Historia de Espana, t.IV. P. 320-321.

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ م ، ص ٩٤ •

ثم سار القائد جوهر الى مدينة فاس وكان عليها ابن أبي بكر بن سهل الجذامى الذى خلع طاعة الفاطميين وانضوى تحت لواء عبد الرحمن الناصر ، فحاصرها جوهر مدة ثم تركها وتوجه الى سجلماسة وكان فيها من بنى واسول محمد بن الفتح المتلقب بالشاكر لله وهو سنى المذهب وقد تسمى بأمير المؤمنين وسك النقود باسمه فقبض عليه جوهر واستولى على المدينة • وقد ذكر ابن عذارى أنه قتله [١] ، بينما ذكر غيره أنه أسره وحمله الى المعز لدين الله الفاطمى [٢] ، ثم تابع جوهر مسيرة حتى وصل الى شاطىء المحيط [٣] •

وعاد جوهر لحصار مدينة فاس مرة أخرى وشدد عليها الحصار وتمكن زيرى ابن مناد الصنهاجى من دخولها عنوة فى أثناء الليل ، اذ تسلق أسوارها وقتل بها عددا كبيرا من الناس وقبض على أميرها أحمد بن أبى بكر ونهب المدينة وقتل شيوخها سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م [٤] •

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص٢٢٢ •
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٩٣ – ٩٤ – ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٤٦ – على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ م ، ص ١٥ – ١٦ –
Levi Provencal; Historia de Espana, t.IV. P,321.
(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص٣٥٤ – على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، ص١٦ •
(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٦ ، ص٣٥٤ •

Levi Provencal : Historia de Espana, t.IV. P. 321.

أما بالنسبة لأدارسة الريف بزعامة الحسن بن قنون الذى رأى فى البداية مجاملة جوهر الصقلى قائد المعز فى حربه هذه ، فقد عاد الى طاعة عبد الرحمن الناصر بعد عودة جوهر الصقلى من حملته على المغرب الأقصى ، وقد تمسك بهذه الطاعة حتى وفاة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م (١) .

لقد استطاع جوهر الصقلى أن يجتاح المغرب الأقصى ويدوخ قبائل البربر حيث تمكن من يعلى بن محمد اليفرنى ، وصاحب سجلماسة ، وفاس ووصل الى شاطئ المحيط فى محاولة منه لتوطيد سلطان الفاطميين فى المغرب الأقصى (٢) .

وعلى الرغم من نجاح جوهر الصقلى فى حملته هذه ، فى تحقيق رغبة المعز لدين الله فى اخضاع القبائل الضاربة فى جبال أطلس حتى المحيط فانه لم يستطع القضاء على المواليين للأمويين فى الأندلس وهذا يعود الى عجز الجيش الفاطمى عن الاستيلاء على القواعد العسكرية البحرية التى للامويين فى رأس العدوة المغربية والتى حرصوا على التمسك بها نظرا لأهميتها الاستراتيجية فى صد أى هجوم يقوم به الفاطميون على المغرب الأقصى نفسه ثم على الأندلس (٣) . فاحتفاظ

---

(١) ابن ابى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٩١ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٩٤ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣١٣ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ٣٥٤ - على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، ص ١٦ .

(٣) أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، ص ٢٠٤ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٨ .

الأمويين بالقواعد البحرية الهامة سبتة وطنجة ومليلة قد أتاح لهم التدخل المستمر في المغرب الأقصى وشجع الكثير من المواليين لهم على اظهار طاعتهم لهم مثل محمد بن الخير بن محمد الخزرى زعيم زناتة [١] ، والحسن بن قنون زعيم الأدارسة وأهل فاس وغيرهم الأمر الذى أدى الى فشل جهود الفاطميين فى بسط نفوذهم التام على المغرب الأقصى .

وقد استمرت الغارات والاشتباكات البحرية متبادلة بين الفاطميين فى المغرب وعبد الرحمن الناصر فى الأندلس ، الا لم يقف عبد الرحمن الناصر مكتوف الأيدى أمام تحركات جيوش الفاطميين فى المغرب ، فسير اسطولا بحريا الى الشواطئ الافريقية ، بقيادة القائد أحمد بن يعلى [٢] . وفى نفس الوقت عبرت قوات أخرى من الأندلس الى المغرب وعسكرت فى سبته وتمكنت من هناك من طرد الفاطميين والقضاء عليهم [٣] . وفى سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م وصل كتاب من أمير سبتة الى عبد الرحمن الناصر يخبره فيه بما فتح الله عليه فى عسكر جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله [٤] .

---

(١) مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، ج ١ ، ص ٥

(٢) أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٨ .

(٣) عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود العربى ، ص ٦١٨ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

الفصل الخامس

العلاقات الحضارية
بين المغرب والأندلس
في
عهد عبد الرحمن الناصر

١ - العلاقات الثقافية.

٢ - العلاقات الاجتماعية.

٣ - العلاقات الاقتصادية.

٤ - التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس فى مجال العمارة والفنون الإسلامية.

فى هذا الفصل أتحدث عن العلاقات الحضارية بين المغرب والأندلس فى الفترة الزمنية موضوع البحث ، وهى علاقات متعددة شملت أبرز مجالات الحضارة فى هذا العهد ، ولما كانت المصادر التاريخية المعاصرة تضن علينا بالحديث عن هذه المجالات الحضارية ولا تقدم لنا الا بعض اللمحات أو الاشارات البسيطة التى لا تساعد المؤرخ على تتبع المسيرة الحضارية للأمة الاسلامية بعامة ولأى مصر من الأمصار الاسلامية بخاصة ، فانه ليس أمامنا ـ كما هو الحال بالنسبة للمغرب والأندلس ـ الا أن تستقرئ فى أناة وصبر كتب التراجم للمبرزين فى كل علم من المغاربة والأندلسيين وهى بحمد الله وفيرة ومتعددة ، لتأخذ من هذه الترجمة أو تلك لهذا العالم أو لذاك اشارة أو لمحة تفيدنا فى ابراز أهم مظاهر العلاقات الحضارية بين البلدين فى المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك فى مجال العمارة والفنون الاسلامية . وفى هذا الصدد أيضا تساعدنا كتب الجغرافيين والرحالة المغاربة والأندلسيين وكذلك بعض البحوث المنشورة فى بعض الدوريات بأقلام الأساتذة المتخصصين فى تاريخ وحضارة المغرب والأندلس .

فبالنسبة للعلاقات الثقافية بين البلدين اقصتر حديثى على عرض تراجم العلماء الأندلسيين الذين رحلوا الى المغرب أما لطلب العلم هناك على يد علمائه من المغاربة ثم عادوا الى الأندلس ، أو للتدريس فيه ونشر علمهم بين المغاربة .

وكذلك الأمر بالنسبة لعلماء المغاربة ، من رحل منهم الى الأندلس طلبا للعلم ثم عاد الى المغرب بنشر علمه بين أبنائه ، أو من استقر فى الأندلس وشاعت شهرته بين الأندلسيين فى هذا العلم أو ذاك فهذا هو أقصى ما نستطيع أن نستخلصه من كتب التراجم فى تاريخنا لتطور العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس .

وفى مجال العلاقات الاجتماعية عرضت لذكر البربر فى الأندلس ودورهم فى فتحه وفى نشر الاسلام به ووصول بعضهم الى المناصب الكبيرة فى الدولة الأموية بالأندلس واستخدامهم بكثرة فى جيشها ، ثم عرضت أيضا للصقالبة والاعتماد عليهم فى الجيش بخاصة للحد من نفوذ البربر والعرب معا .

كما تحدثت عن الأندلسيين واستقرار بعضهم فى المغرب ومشاركتهم فى بناء المدن كعمال ومهندسين وتجار .

أما فى مجال العلاقات الاقتصادية فقد تحدثت عن الطرق التى استخدمت فى نقل المتاجر بين البلدين بخاصة وبينهما وبين المشرق بعامة ، وكذلك عن الغلات والسلع والبضائع المتبادلة بينهما ، وعن نشاط التجار المغاربة والأندلسيين فى هذا الميدان .

وأخيرا ختمت هذا الفصل بالحديث عن بعض التأثيرات المتبادلة بين البلدين فى مجال العمارة والفنون الاسلامية التى أمكننى التعرف عليها من خلال بعض المصادر والمراجع الحديثة ، وهى لا تعدو بعض الأمثلة القليلة اذا ما قيست بالتأثيرات المتبادلة بين البلدين — فى هذا المجال — فى أواخر عصر الخلافة الأموية وفى عصر المرابطين والموحدين بصفة خاصة الذى تحققت فيه الوحدة بين البلدين سياسيا وحضاريا . وسأحاول فى هذا الفصل عرض ما أمكننى الاسهام به من جهد علمى متواضع فى ابراز هذه الجوانب التى أشرت اليها للعلاقات الحضارية بين البلدين فى عهد عبد الرحمن الناصر ، وأرجو أن يساعد ذلك على انارة السبيل لغيرى من الباحثين فى هذا المجال .

١ ـ العلاقــات الثقافيـــة

شهدت بلاد الأندلس والمغرب خلال القرن الرابع الهجرى / العاشـــر الميلادى ازدهار الحياة العلمية ، وهذا يرجع الى الاتصال الوثيق بين البلدين •

ففى الأندلس كان عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) برغم ما شهده من فتن وحروب من أعظم عصور الأندلس ازدهارا فى مختلف جوانــب الحضارة ففى الميدان الثقافى كثر الانتاج العلمى وشاعت المعرفة ، ومما يشهد بذلك كثرة المؤلفات التى أسهم بها المؤلفون واهتمام الأندلسيين باقتناء الكتب وبانشـاء المكتبات العامة والخاصة [1] •

فقد أقبل الناس فى ذلك العصر اقبالا كبيرا على العلم بل ان الجاهل منهـم والذى لم يوفق فى العلم ويكون على درجة من الثراء كان يقتنى الكتب ويحرص على أن تكون له مكتبته الخاصة التى يفخر بما تضمه من كتب [2] ، وهذا يرجع الى جهـــود عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر فى تشجيع الحركة العلمية وفى رعايـــة العلماء [3]

---

(١) كريم عجيل حسين : الحياة العلمية فى مدينة بلنسية الاسلامية ، ساعـــدت جامعة بغداد على طبعه ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، مؤسسة الرسالة ص١٠٥

(٢) السيد عبد العزيز سالم : الحياة العلمية والأدبية فى الأندلس ، دائـــرة معارف الشعب ، ٢ ، مطابع الشعب ، سنة ١٩٥٩ م ، ص١٩٤ •

(٣) أحمد هيكل : الأدب الأندلسى ، دار المعارف ، الطبعة السابعـــة ١٩٧٩ م ، ص ١٨٤ •

وفى عصر عبد الرحمن الناصر نجد للمرة الأولى فى التاريخ ما يمكن التعبير عنه بوزير الدولة للعلم [١] حيث نلاحظ أنه قام بتوجيه ابنه وولى عهده الحكم للقيام برعاية العلم والعلماء والاهتمام بهم ، فاستدعاهم من كل مكان وجلب المصنفات فى مختلف العلوم من المشرق والمغرب ، وكان ما جمعه من المصنفات يفوق ما جمعه غيره فى أزمنة طويلة . وقد أحسن الحكم رعاية هذه الناحية فى عهد أبيه ثم فى عهده نظرا لما عرف عنه من حبه المفرط للعلم والعلماء .

لقد تميز عصر عبد الرحمن الناصر فى الناحية العلمية بعدة ميزات منها أنه فتح أبواب بلاده لاستقبال العلماء من المشرق والمغرب حتى أصبح من الصعب تحديد عدد من وفد الى الأندلس فى عهده لطلب العلم أو للتعليم فيه ، وعمل ابنه الحكم على اتاحة الفرصة لهؤلاء العلماء للتدريس فى مساجد قرطبة والزهراء [٢] فأسهموا فى رفع المستوى العلمى لأهل الأندلس كما شاركت جميع المدن فى الأندلس فى هذه النهضة العلمية وذلك بفضل تشجيع عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم . فقد قام الحكم باحضار العلماء البارزين من الأقاليم الى قرطبة اما للاقامة فيها أو لاعطاء الدروس ثم العودة الى بلادهم الأصلية مثلما فعل مع محمد بن عيسى بن رفاعة الخولانى (ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨م) من أهل رية ، وأيضا مع محمد بن مروان بن

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى أسبانيا ، ص ٤٠ .

(٢) محمد عبد الحميد عيسى : المرجع السابق ، ص ٤٢ — خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الأندلس ، ترجمة الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٤ — ١٥ .

زريق (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م) من أهل بطليوس [١] . وكان امتداد العمر بعبد الرحمن الناصر عاملا كبيرا فيما قام به ابنه الحكم من دور كبير في الاهتمام بهذه الناحية في الأندلس .

لقد أقبل أفراد الشعب عامة على العلم في عهد عبد الرحمن الناصر ونهلوا من معينه الشيء الكثير حتى ان الواحد منهم كان ينفق ماله في سبيل ذلك حبا ورغبة في العلم ، ومتى برع المتعلم في أي فرع من العلوم وعرف به أصبح في مقام الاجلال والتكريم ويشار اليه بالبنان ويلتف حوله الطلبة من كل مكان للاستفادة من علمه ودروسه [٢] . ولم يكن نصيب المغرب من الناحية الثقافية منه بأقل من الأندلس . فعلى الرغم من الظروف والأحداث السياسية التي شهدها المغرب على مر العصور فان ذلك لم يقف حائلا بينه وبين أن يأخذ أهله بنصيب كبير من العلم وقد شهد تاريخ المغرب نبوغ كثير من العلماء الذين ارتحل اليهم طلاب العلم من المشرق ومن الأندلس لطلب العلم عنهم [٣]

وقد اسهمت الصلات الوثيقة التي ربطت بين المغرب والأندلس في التبادل الثقافي بين البلدين ، فكان المغاربة يأخذون من الأندلس أدبه بوجه خاص ويستقون علومهم الدينية من القيروان [٤] ، فلم يتلق المغاربة علومهم في البداية

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٢) مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة بيروت ، سنة ١٩٧٩ م ، ص ٧١ .

(٣) اندريه جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٤) محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت التطواني : تاريخ الأدب المغربي ص ١٢٠ .

من المشرق اذ أن ظروفهم السياسية حالت دون اتصالهم بالمشرق ، ثم ان المغرب منذ حملة طارق بن زياد اتجه بأنظاره دائما الى الأندلس فلا غرابة اذا فى اسهام الأندلس بامداد المغرب بالكثير فى مجال العلوم [1] . هذا وقد ساعد اقبال الأندلسيين والمغاربة على الرحلة فى طلب العلم وأداء فريضة الحج على توثيق الروابط العلمية بين العلماء المغاربة والأندلسيين بخاصة وبينهم وبين العلماء المشارقة بعامة [2] .

وفى كلا البلدين تعددت المدن التى كانت مقصد الكثير من الدارسين لنيل العلم فيها أو للتدريس فيها . ففى الأندلس اشتهرت مدينة قرطبة وكانت مقصد كثير من طلاب العلم من داخل الأندلس نفسها ومن خارجها من المشرق والمغرب حتى غدت بحق قاعدة العلوم ومركز الآداب وأصبح اسمها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلم وغدا ذلك من السمات البارزة المميزة لها [3] . وفى هذا الصدد قال بعض الشعراء يصف شهرة قرطبة العلمية :

بأربع فاقت الأمصار قرطبة ... منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم أعظم شئ وهو رابعها [4]

---

(١) محمد الصادق عفيفى ومحمد بن تاويت التطوانى : المرجع السابق ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٢) لطفى عبد البديع : الاسلام فى أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م ، ص ٣٩ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ، حققه احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٨٨٣ — ١٩٦٨م ، م ١ ، ص ١٤٦ .

وبلغ من شهرة قرطبة فى مجال العلوم أنه اذا أريد بيع كتب عالم بعد وفاته فى أى مكان حملت الى قرطبة فبيعت فيها [1] . مما يدل على مدى ما وصلت اليه هذه المدينة من تقدم فى الناحية العلمية . ومما زاد فى مكانة قرطبة العلمية أن الكثير من المدن الأندلسية أرسلت أبناءها لتلقى العلم فى قرطبة وأسهم هؤلاء بدورهم فيما بعد فى النهضة الثقافية وفى مجال التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس .

واشتهرت القيروان كمركز ثقافى كبير قصده طلاب العلم من مختلف أنحاء المغرب والأندلس ، اذ يقول المقدسى عنها : " القيروان مصر الأقاليم بهى عظيم حسن الأخبار جيد اللحوم قد جمع اضداد الفواكه والسهل والجبل والبحر والنعم مع علم كثير ... " [2] .

وكانت القيروان منذ انشاء عقبة بن نافع لها وبنائه لجامعها المركز الأول من المراكز الثقافية الهامة فى المغرب ، فقد أسهمت بدور كبير فى الحركة العلمية منذ تلك الفترة حتى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م حيث انتقل التعليم الرسمى من جامعها الى جامع الزيتونة [3] .

بالاضافة الى القيروان نجد مدينة فاس التى استمدت مقومات نشاطها العلمى وتطورها الحضارى من قرطبة والقيروان ، وأصبحت مركزا يشع بنور الثقافة والعلم ومقصدا لكثير من الطلاب وسكان الأندلس [4] .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، م ١ ، ص ١٤٧ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٤ .

(٣) محمد الصادق عفيفى ومحمد بن تاويت التطوانى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٤) محمد الصادق عفيفى ومحمد بن تاويت التطوانى : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

ومن المدن المغربية التى ارتحل اليها علماء الأندلس طلبا للعلم مدينة تنس [١] وسوسة [٢] وطرابلس [٣] وتاهرت [٤] وغيرهما ، وفى كل ما سبق من هذه المراكز كان المسجد يقوم بالدور الرئيسى فى الناحية العلمية [٥] .

وقد اهتم الأمراء والخلفاء الأمويون باقتناء المصنفات النادرة وأرسلوا الخبراء المتخصصين للبحث عنها وشرائها [٦] . وكان العامة يقلدون الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة فى جمع الكتب حتى افتخرت قرطبة على غيرها من المدن بكثرة ما يرد اليها من الكتب من سائر أنحاء الأندلس والمغرب والمشرق [٧] .

فقد قام رسل الخلفاء بهذه المهمة خير قيام وحملوا الى قرطبة أندر وأنفس الكتب فحفظها الخلفاء وأمروا باستنساخ صور كثيرة منها فذاعت فى ربوع الأندلس

---

(١) ابن الفرضى : علماء الأندلس ، القسم الثانى ، ص٧٥ ـ ٧٦ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ٦٥ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ٤١ ـ ٤٢ .
(٤) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠١ .
(٥) خوليان ريبيرا : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .
(٦) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٦١ ـ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة فى العصر الاسلامى ، المؤرخ العربى بغداد ، العراق ، العدد ١٣ ، ١٩٨٠ م ، ص ٥٨ .
(٧) عبد الجليل الراشد : التقدم الفكرى عند أهل الأندلس حتى عصر المرابطين المؤرخ العربى ، بغداد ، العراق ، سنة ١٩٨٠ م ، العدد ١٣ ص ١٣٨ .

ثم تخطت البحر المتوسط الى المغرب . كما حث عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم العلماء على التأليف وأغدقوا عليهم الهبات وعلى رأس من حظوا برعاية الحكم وتشجيعه أبى على القالى وابن عبد ربه [١] .

وبفضل كل هذه العوامل مجتمعة نبغ فى عصر الخلافة الكثير من العلماء فى مجالات العلوم المختلفة . وقام علماء من الأندلس بالدراسة فى المغرب ونقلوا معهم اليه ثقافتهم الأندلسية ، كما قام علماء من المغرب بالدراسة فى الأندلس ونقلوا بدورهم اليه أيضا ثقافتهم المغربية . ولم تقتصر هذه التأثيرات المتبادلة بين البلدين على ناحية دون أخرى بل نجدها فى كافة العلوم .

ففى مجال العلوم الشرعية كان الفقه أول ما اشتغل به الأندلسيون ، وتمتع الفقيه بمكانة ومنزلة كبيرة عندهم . وقد اشتهر فى هذا العلم عدد من العلماء منهم أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م) [٢] الذى تلقى علومه أول الأمر فى القيروان على يد أحمد بن نصر ، وأحمد بن زياد ، وأحمد بن يوسف ، وابن اللباد ، وبعض شيوخ افريقية ودخل الأندلس وله من العمر اثنتى عشرة سنة [٢] واستوطن فى قرطبة وأخذ العلم فيها عن ابن أيمن ، وقاسم ابن اصبغ ، وأحمد بن عبادة ، وأحمد بن يحيى بن لبابة ، وأحمد بن زياد والحسن بن سعد وغيرهم .

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى : المرجع السابق ، ص ٤٣ ــ ٤٥ .

(٢) أبو العرب القيروانى : طبقات علماء افريقية وتونس ، هامش أ ص ١٤٠ .

(٢) الواقع أن هذه لفتة مهمة وهي علامة النبوغ في هذا العالم وان دل على شيء فهو يدل على مدى الاهتمام بالعلم والسعي للحصول عليه

وزار أبو عبد الله الخشني مدينة سبتة قبل سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م فرحب به أهلها واستبقوه عندهم فترة طويلة تفقهوا فيها عليه وأخذوا الكثير من علمه ويقال انه حقق لهم قبلة جامعهم فوجد فيها تغريبا فاستجابوا لرأيه وشرقوها ثم رحل الى الأندلس وتجول فيها واستقر أخيرا فى مدينة قرطبة • وكان أبو عبد الله الخشني حافظا للفقه متقدما فيه ذا ذكاء ونباهة وفطنة واتقان ، عالما بالفتيا حسن القياسى فى المسائل ولى المواريث فى مدينة بجانة والشورى فى قرطبة[1] وألف لولى عهد عبد الرحمن الناصر الأمير الحكم عدة مؤلفات مهمة منها على سبيل المثال : كتاب فى الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك ، وكتاب فى المحاضر وكتاب رأى مالك الذى خالفه فيه أصحابه ، وكتاب الفتيا ، وكتاب تاريخ علماء الأندلس وتاريخ قضاة الأندلس وتاريخ الافريقيين ، وكتاب التعريف ، وكتاب المولد والوفاة ، وكتاب النسب ، وكتاب الرواة عن مالك ، وكتاب طبقات فقهاء المالكية وكتاب مناقب سحنون ، وكتاب الاقتباس • وبالاضافة الى ذلك كان أبو عبد الله الخشني عالما بالأخبار وأسماء الرجال وعرف بالحكمة كما اشتهر بقول الشعر •

ومن كل ما سبق يظهر لنا أن أبا عبد الله الخشني قام بدور كبير فى تعليم أهل المغرب والأندلس وحظى فى الوقت نفسه بمكانة كبيرة فى عهد عبد الرحمن الناصر ، كما اهتم به ابنه الحكم وهو ولى العهد ثم بعد أن تولى الخلافة وأحسن الاستفادة منه • وكما أوضحت من قبل ترك هذا العالم الكثير من المؤلفات

---

(١) أبو العرب القيروانى : المصدر السابق ، هامش أ ، ص ١٤٠ •

المهمة التى كان لها دور كبير فى تثقيف العلماء فى تلك الفترة ، وقد توفى الخشنى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م[١] .

وممن اشتهر أيضا فى هذا المجال القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى قاضى عبد الرحمن الناصر . ولد سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م وكانت وفاته سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠ م[٢] . عرف منذ صغره بالحق والعدل ، وتلقى العلم عن أحمد ابن خالد الجباب وغيره من شيوخ قرطبة . وفى سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م رحل حاجاً وفى طريقه توقف فى القيروان والتقى بشيوخها مثل البجلى محمد بن على ، وأحمد ابن أحمد بن زياد ، ومحمد بن محمد بن اللباد ، واسحاق بن نعمان[٣] . وكان لهذا اللقاء فائدة كبيرة فى تثقيف القاضى محمد فأحسن أداء رسالته بعد عودته من الحج الى الأندلس ، وفى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م حيث ولاه عبد الرحمن الناصر قضاء كورة جيان وكورة البيرة وكورة طليطلة .

وقد قام عبد الرحمن الناصر بامتحانه فى كل وجه فأثبت القاضى محمد بن عبد الله نجاحا كبيرا ووجده عبد الرحمن الناصر ناصحا فقلده قضاء الجماعة بقرطبة فى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م[٤] . وبالاضافة الى تولية الناصر لدين الله له القضاء كان يستعين به فى أمور ومهمات أخرى ويخرجه فى السفارات الى كبار الأمراء والى

---

(١) الخشنى : قضاة قرطبة ، عنى بنشره السيد عزت العطار الحسينى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ص٦ ــ ٨ .

(٢) الخشنى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) الخشنى : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ــ ١٧٣ .

(٤) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٩ ــ ٦٠ .

الثغور والأطراف للاشراف عليها وللاعلام بمصالحها وبنيان حصونها والاستعداد للحروب فأصبح فى هذه المهام لا يقل عن قواد الجيوش ، وبذلك أفاد عبد الرحمن الناصر منه فى العلم والدين وشئون الدولة [١] .

وكان محمد بن عبد الله بن أبى عيسى حافظا للرأى معتنيا بالآثار جامعا للسنين متصرفا فى علم الاعراب ومعانى الشعر [٢] ، وله حظ كامل من البلاغة فكان مخاطبا بلسانه وكاتبا بقلمه لاتأخذه فى الحق لومة لائم ولم يخش ذوى السلطان ولا تهاون مع العمال ، وكان اهتمامه بالأشياء الصغيرة مثل اهتمامه بالأشياء الكبيرة [٣] .

ومن علماء هذه الفترة محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة الذى روى عن قاضى القيروان حماس بن مروان بن حماس وترك لنا كتابا مهما وهو (المنتخب) لم ير أحسن منه اذ جمع فيه روايات المذهب المالكى وتأليفها وشرح متعلقها وتفريع وجوهها ، وقد توفى سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م [٤] .

وكان القاضى منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطى من العلماء والفقهاء المشهورين فى الأندلس [٥] ، ولى قضاء الجماعة بقرطبة فى عهد عبد الرحمن الناصر وأقام العدل ورفع الحق وقمع الباطل ، مهيبا صارما لا يخشى أحدا فى حقوق

---

(١) النباهى : المصدر السابق ، ص ٥٩ — ٦٠ .
(٢) النباهى : المصدر السابق ، ص ٥٩ — ٦٠
(٣) الخشنى : المصدر السابق ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، رقم ١١٣١ ، ص ٥١ — ٥٢ — الحميدى : جذوة المقتبس ، رقم ١٦٣ ، ص ٩٨ .
(٥) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، نشرة ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٣٧ م ، ص ١٤٠ — ١٤٢ .

الله والناس . ولد سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م وكانت وفاته سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م (١)
بينما يذكر لنا البناهي أنه توفى فى سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م (٢) .

عرف بالعلم والأدب الكثير وله مؤلفات فى السنة والقرآن والورع والرد على أهل الأهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا (٣) . وله مواقف مشرفة وحميدة فى عهد عبد الرحمن الناصر وخصوصا عند ما أسدى اليه النصيحة فى شأن المبالغة فى بناء القصور وزخرفتها — اذ كان عبد الرحمن الناصر قد بالغ فى بناء مدينة الزهراء — وأورد من الأحاديث والبراهين ما أزهد الخليفة فيما فعل فتقبله منه بحلم وسعة صدر وحمد الله على وجود مثل هذا العالم فى أرضه (٤) .

واشتهر من علماء المغرب فى تلك الفترة عدد كبير منهم سمع عنهم كثير من طلاب العلم فى المغرب وطلاب العلم فى الأندلس مثل أبى القاسم زياد بن يونس اليحصبى الذى تلقى عنه العلم طلاب من افريقية وطرابلس والأندلس ، وكانت وفاته سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م (٥)

وممن اشتهر من علماء المغرب أيضا وخاصة فى القيروان البجلى محمد بن على وأحمد بن أحمد بن زياد ، ومحمد بن محمد بن اللباد ، واسحاق بن نعمان (٦)

---

(١) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٣٧ — ٣٨ . (غير صحيح ما ذكره ابن خاقان لأن فى هذا الكلام تناقضا واضحا اذ كيف يقول أنه توفى سنة ٣٣٥ هـ بينما يذكر بعد هذا أنه عاش الى فترة تولى الحكم واستعفى منه بعد أن ولى له القضاء .
(٢) النباهي : المصدر السابق ، ص ٧٤ — ٧٥ .
(٣) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٣٧ — ٣٨ .
(٤) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٤٠ — ٤١ — ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٣٠٣ .
(٥) محمد النيفر : عنوان الاريب ، المطبعة التونسية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥١ ، ص ٣٣
(٦) الخشنى : المصدر السابق ، ص ١٧٢ — ١٧٣

وابن سحنون ، وكان مجلس قضائه فى مسجد القيروان ، وأبى عمران المقداد [١] ، ويحيى بن عمر ، وعيسى بن مسكين [٢] ، وأحمد بن داود القيروانى [٣] ، ويوسف بن يحيى المغامى [٤] .

وفى مجال الحديث عنى الأندلسيون والمغاربة به كثيرا وقد تعدد علماء الحديث منهم فى كلا البلدين ، فنجد محمد بن أحمد بن جعفر البلوى من أهل القيروان يستوطن فى بجانة ويحدث فيها عن علماء المغرب منهم أبى القاسم محمد بن محمد ابن محمد بن خالد الطوّرى ، وأحمد بن زياد ، وأحمد بن حسان قضاة سوسة وقد شوهد الناس يتلقون العلم عنه سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م [٥] .

وكان محمد بن الشبل بن بكر القيس من أهل تطيله قد سمع فى قرطبة من أحد علماء المغرب وهو يوسف بن يحيى المغامى ، ثم رحل الى المغرب فسمع فى القيروان وسوسة وعند عودته الى الأندلس ولى الصلاة يتطلبه وكان أهل الثغر يفدون اليه للسماع منه وتوفى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م [٦] .

---

(١) الخشنى : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .
(٢) الخشنى : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
(٣) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .
(٥) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، رقم ١٣٩٧ ، ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، رقم ١٢٨١ ، ص ٦٥ .

ومن أشهر رواد الحديث فى الأندلس وأكثر من كان يقصده من علماء المغرب والأندلس للسماع عنه محمد بن ابراهيم بن حيون من أهل وادى الحجارة سمع من الخشنى وابن وضاح وغيرهم وهو أحد أئمة الحديث . وكان حافظا لعلله بصيرا بطرقه ، ولم يكن قبله من يساويه فى علمه ، وتوفى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م [١] .

وكان قاسم بن اصبغ من أهل قرطبة ممن عرف فى هذا المجال ، تلقى العلم على عدد كبير من علماء المشرق ، وفى القيروان سمع من أحمد بن زيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتى وغيرهم . وسمع من قاسم عبد الرحمن الناصر قبل ولايته الخلافة تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وغيرها من الكتب . كما سمع منه أيضا ولى عهده الحكم وأخوته وكانت رحلة طلاب الحديث فى الأندلس اليه وتوفى سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م [٢] .

وأخذ أهل القيروان أيضا من محمد بن عبيد الجزيرى من قرطبة وحدثوا عنه وكانت وفاته سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م [٣] .

وقد ذكر لنا ابن الفرضى أسماء لعلماء يعتبرون من أئمة الحديث وأعلام الرواية فى افريقية ، منهم شخوة بن عيسى القاضى صاحب على بن زياد ، وأبو زكريا يحيى بن عون ، وابراهيم بن غياث الخولانى ، وأبى زيد عبد الرحمن بن محمد وغيرهم [٤] .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، رقم ١١٦٦ ، ص ٢٦ – ٢٧

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، رقم ١٠٧٠ ، ص ٣٦٤ – ٣٦٧

(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، رقم ١١٦٧ ، ص ٢٧ – ٢٨

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٤١ – ٤٢ .

كما ذكرت لنا المصادر اسما لعلماء من الأندلس استوطنوا القيروان وكان لهم دور كبير فى التصدى للشيعة أيام عبيد الله المهدى ، منهم أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافرى الأندلسى الذى ظل بالقيروان حتى مات بأيدى الشيعة لبغضه لهم وجهاده ضدهم وكان قد سعى به القاضى محمد بن عمر المروذى قاضى الشيعة لدى عبيد الله المهدى حتى أمر بقتله سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م [١] .

وكان لهذا الفقيه وغيره من فقهاء المالكية دور كبير فى محاربة المذهب الشيعى اذ أن الفاطميين عندما أقاموا دولتهم فى المغرب حاولوا بشتى الوسائل حمل الناس على اعتناق مذهبهم ، ولقى فقهاء المالكية فى ذلك الوقت أمثال ابن أبى زيد والقابسى ، وأبو عمران القاسى وغيرهم محنة عظيمة منهم [٢] . كما كان لانتشار مذهب مالك فى الأندلس [٣] وانتقاله الى المغرب وتأصله فى نفوس أهله أثر كبير فى عدم تمكين المذهب الشيعى من أن يجد له تربه فى أرض المغرب .

وبعد انتشار مذهب مالك فى المغرب الأقصى الى أيام الأدارسة [٤] بفضل المغاربة والأندلسيين ويؤكد هذه الحقيقة الاصطخرى فيقول : " والغالب على مذهب أهل المغرب كلهم مذاهب الحديث وأغلبها عليهم فى الفتيا مذهب مالك بن أنس " [٥] .

---

(١) الدباغ : معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، تحقيق محمد الأحمدى أبوالنور ومحمد ماضور ونشره مكتبة الخانجى ، بمصر ، الجزء الثانى ، رقم ١٥٦ ، ص ٢٨٨ - ٢٩٢

(٢) محمد الصادق عفيفى ومحمد بن تاويت التطوانى : المرجع السابق ، ص ٤٦

(٣) انظر التمهيد ص ٣٠ - ٣١ حيث تحدثت عن انتشار مذهب مالك فى الأندلس .

(٤) محمد الصادق عفيفى ومحمد بن تاويت التطوانى : المرجع السابق ، ص ٤٦

(٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٧ .

وقد ظهر مذهب مالك ظهورا بينا وواضحا على يد أسد بن الفرات وعبد السلام ابن سعيد التنوخي المعروف بسحنون وغيرهم من أئمة المغاربة . وقد عمل أبوميمونة دراس بن اسماعيل الفاسي من أهل فاس في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على تدعيم المذهب المالكي في المغرب [1] . وتلقى العلم عنه كثير من علماء الأندلس وافريقية [2] وكان دراس فقيها حافظا وروى عنه أبو الحسن القابس الكفيف ودخل الأندلس مرارا طالبا العلم ومجاهدا وسمع منه الكثير من طلاب العلم وقد توفي بفاس سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧م [3] .

وفي مجال القرآن وعلومه برز الأندلسيون وفاقوا غيرهم من علماء الأمصار . وممن برز في هذا المجال أحمد بن عمر بن أبي الشمري الذي قام بكتابة المصاحف وتنقيطها . وقد أقبل الناس وطلاب العلم في الأندلس وخاصة في قرطبة على شراء ما يكتبه من المصاحف لصحتها وحسن ضبطها وخطها ، وكان الناس يقرأون عليه القرآن قبل دخول الحسن الانطاكي الأندلسي ، وقد توفي بعد سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م [4] .

---

(١) الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المملكة المغربية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، ج ١ ، ص ١٢٤ . (الواقع أن ما ذكرته في المتن عن انتشار مذهب مالك في المغرب هو الصحيح وليس ما ذهب اليه ابراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ ، م ١ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ من أن أبو ميمونة دراس هو أول مغربي عمل على نشر مذهب مالك في المغرب)

(٢) محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت التطواني : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٣) الضبي : المصدر السابق ، رقم ٧٣٨ ، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب القاهرة ، مصر ، ١٩٦٦م ، القسم الأول ، رقم ١ ، ص ٥ .

وأسهم بعض العلماء ممن كانت لهم شهرة فى هذا المجال بتأثير واضح فى المغرب ، ومن هؤلاء محمد بن عمر بن خيرون الأندلسى المقرى المجود الذى توفى سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م [1] .

وقام على بن الحسن المرى من أهل بجانة فى الأندلس بالرحيل الى المغرب حيث سمع من أبى داود أحمد بن موسى بن جرير وروى عنه تفسير القرآن ليحيى بن سلام ، وقام بالرواية عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام وغيره ، ثم عاد الى الأندلس وحدث فسمع منه كثير من الناس وحدث عنه على بن عمر بن نجيح الالبيرى بكتاب التفسير ، وكانت وفاة هذا العالم فى بجانة سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م [2]

وفى مجال الحركة الأدبية لم يبدأ النشاط الأدبى للأندلسيين الا فى عصر الامارة وذلك بسبب انشغالهم فى عصر الولاة بالفتوحات الاسلامية فيما وراء جبال البرتات [3] ، فمنذ عصر الامارة عنى الأندلسيون بعلوم اللغة والأدب وعملوا على تدريسها لابنائهم لتقوية ملكاتهم الأدبية . وممن اشتهر فى هذا المجال فى الأندلس وقصده العلماء الأندلسيون والمغاربة للسماع منه والأخذ عنه اسماعيل بن القاسم أبو على القالى اللغوى ، وقد دخل أبو على القالى المغرب فى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م ، والأندلس فى سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م [4] ، وكان اماما فى اللغة متقدما فيها فاستفاد الناس منه كثيرا وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله

---

(١) الضبى : المصدر السابق ، رقم ٢٢٦ ، ص١١٣ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، رقم ٩٢١ ، ص ٣١٣ .
(٣) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص١٦٧ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

وعرفت كتبه بالدقة والاتقان ومنها كتاب النوادر ، وكتاب البارع وغيره ، وكانت وفاته سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م[١] .

وقد ازدهر الشعر الأندلسي في قرطبة خلال عصر الخلافة الأندلسية نظرا لاستقرار أوضاع البلاد في هذه الفترة ومن برع في هذا المجال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب (العقد) في الاخبار الذي أضاف المؤرخون عليه فيما بعد صفة الفريد وقسمه على معان وسمى كل قسم منها باسم من أسماء نظام العقد كواسطة ونحوها .

وكان ابن عبد ربه عالما ثبتا وله بالأدب رياسة وشهرة وله أشعار كثيرة سماها الممحصات نقض بها كل قطعة قالها في الغزل والصبا كتوبة منه وندما عليها :[٢]
ومن شعره في التوبة والندم قوله :

يا ويلتا من موقف ما به	أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه	وليس لي من دونه راحم
يارب غفرانك عن مذنب	أسرف الا أنه نادم[٣]

---

(١) الحميدي : المصدر السابق ، رقم ٣٠٣ ، ص١٦٤-١٦٦ - الضبي : المصدر السابق رقم ٥٤٧ ، ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) الضبي : المصدر السابق ، رقم ٣٢٧ ، ص ١٤٨ - ١٥٠ - ابن دحية المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، حامد عبد الحميد ، أحمد أحمد بدوي ، راجعه ، طه حسين ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤م ، ص ١٥١ - ١٥٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١١٧ .

وقد تميز شعره بالبساطة وعدم التعقيد وكذلك بالصورة الشعرية ، وألفاظه جلية واضحة . ومن سهولة أسلوبه أحيانا أنه يذكر جزءا من البيت فيوشك السامع على اكماله ، ومما يوضح ذلك ما قاله فى انتصار الأمير عبد الله على ابن حفصون :

هو الفتح منظوما على اثره الفتح وما فيهما عهد ولا فيهما صلح

سوى أن صفحا كان من بعد ثورة وأحسن مقرون الى قدرة صفح [1]

أما السمة الثانية فى شعر ابن عبد ربه فهى الغنائية التى تتمثل فى غلبة الجانب الموسيقى واتضاح العنصر العاطفى وشيوع الرقة والسلاسة ونجد هذه السمة واضحة فيما كان متصلا بموضوع غنائى بطبعه [2] .

وممن اشتهر أيضا من الشعراء فى هذا العصر ابن هانئ الأندلسى (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م) [3] الذى طرد من الأندلس عندما تكشفت ميوله السياسية تجاه الفاطميين فى المغرب نظرا لأن الدولة الأموية لم تكن لتتسامح معه فى ذلك ، هذا بالاضافة الى تعلق الناس فيها بالمذهب المالكى . وقد التحق ابن هانئ بخدمة المعز لدين الله ويعتبر شعره الذى تركه لنا فى أيام

---

(١) أحمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) أحمد هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨

(٣) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٧٤ ــ ٧٧ ــ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ج ٤ ، ص ٦٨ .

خدمته للدولة الفاطمية من الوثائق الهامة التي تمدنا بالكثير من المعلومات عن مذهب الشيعة الاسماعيلية (١) .

وكان ابن هانئ أقدم من حفظت لنا المصادر شعره ولعل السبب في هذا اتصاله بالحركة الشيعية في المغرب حيث أن هذه الحركة كان لها دعاتها ورواتها الذين يشيعون أمجادها ويظهرون جميل الثناء عليها . ومن هنا كان شعره مادة صالحة لعمل هؤلاء الدعاة والرواة ولذلك نجده محفوظا ضمن ما بقي من تراث الشيعة (٢) . ومن كبار شعراء تلك الفترة أيضا أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ذو الوزارتين (٣) ، وعثمان بن ربيعة مؤلف كتاب طبقات الشعراء بالأندلس والذي مات قريبا من سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢م (٤) ومن رحل من أدباء وشعراء المغاربة الى الأندلس محمد بن هشام بن الليث اليحصبي من أهل القيروان ، وقد نال قسطا كبيرا من العلم على أيدي مشايخ القيروان وسمع منه الكثير من طلاب العلم وكان عاقلا أديبا ، تولى النظر في الأوقاف أيام القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى (٥) .

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٥٥ ـ ٥٧ ـ أحمد أمين ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٢م ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٢) أحمد هيكل : المرجع السابق ، ص٢٤٦ .

(٣) الضبي : المصدر السابق ، رقم ٤٣٧ ، ص ١٩٠ .

(٤) الضبي : المصدر السابق ، رقم ١١٨٥ ، ص ٤١١ .

(٥) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، رقم ١٣٩٦ ، ص ١١١

ومن الأندلسيين الذين ارتحلوا الى المغرب وسمعوا عن علمائها محمد بن عبدالله بن يحيى بن يحيى الليثى من أهل قرطبة وقاضى الجماعة بها وكان شاعرا مطبوعا، شاوره أحمد بن بقى القاضى ثم ولاه عبدالرحمن الناصر قضاء البيرة وبجانة ثم قضاء الجماعة فى قرطبة ، وكان دائم الخروج الى الثغور لتفقد أحوالها واصلاح ما وهن فيها ، وقد توفى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م [(١)] .

أما فى مجال الطب فقد انجبت قرطبة عددا كبيرا منهم وكانت مركزا لدراسة الطب يأتى اليها الراغبون فى هذا النوع من العلوم . وقد ازدهرت حركة الطب فى عهد عبد الرحمن الناصر وحفلت البلاد فى أيامه بعدد كبير من الأطباء الذين اشتغل معظمهم فى خدمته ، ومنهم على سبيل المثال يحيى بن اسحاق النصرانى وعمران بن أبى عمر ، وأبو بكر سليمان بن تاج [(٢)] ، وعمر بن حفص بن برتق . وكان ابن برتق طبيبا فاضلا قارئا للقرآن مطرب الصوت وله رحلة الى القيروان لزم فيها ابن الجزار ستة أشهر لاغير .

وقد قام بادخال كتاب " زاد المسافر " الى الأندلس . وبطبيعة الحال لابد أنه خلال اقامته فى القيروان قد قصده الكثير من الدراسيين فى هذا المجال فى المغرب بحيث أن القيروان كانت مركزا علميا وثقافيا كبيرا ، وعند عودته الى الأندلس خدم عبدالرحمن الناصر بالطب [(٣)] . كما نلاحظ أيضا أن الطب كان

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى رقم ١٢٥٣ ، ص٥٨ــ٥٩

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص٢١٢ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م ، ص٤٩٠ .

مزدهرا فى المغرب وخاصة فى المغرب الأقصى فى خلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وقد ذكر لنا بعض الكتاب أنه كان بفاس فى القرن الرابع الهجرى مدرسة طبية (١) .

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا العرض للعلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس مدى الارتباط الوثيق بين البلدين ، فضلا عن علاقة الجوار بينهما فان الظروف والأحوال السياسية التى مر بها البلدان وبخاصة فى العصر الاسلامى جعلت العلاقات بينهما أوثق ما يكون فى مختلف الجوانب الحضارية .

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله : الفكر العلمى ومنهجية البحث عند علماء المغرب مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، ربيع الثانى ١٤٠٠هـ / مارس ١٩٨٠ م ، ص ٥٩ .

٢ ـ العلاقـــات الاجتماعيـــة :

البربر في الأندلـــس :

ضم المجتمع الأندلسي أنواعا متعددة من السكان وهم العرب وكان دخولهـم على موجات متتابعة (١) ، والبربر ، الموالي (٢) ، والمسالمة وهم جماعة الأسبان الذين دخلوا في الاسلام (٣) ، والمولدون (٤) ، والمستعربون (٥) ، واليهود (٦) .

أما البربر وهم العنصر المهم في حديثي عن العلاقات الاجتماعية ، فقد لعبوا دورا كبيرا وهاما في فتح الأندلس ، فالجيش الذي قاده طارق بن زياد كان معظمه من البربر ، وعندما وصلت أنباء انتصاره على لذريق في موقعة وادي لكة سنـــة ٩٢ هـ / ٧١٠ م ثم دخوله طليطلة عاصمة أسبانيا القوطية فاتحا أسرعة أعداد هائلة من البربر بالعبور الى الأندلس للانضمام الى قواته الفاتحة ليكون لهم نصيب فـــي الجهاد ، كما لحقت بهم بعد ذلك هجرات سلمية من قبائل البربر للاستقرار فـــي هذه البلاد الغنية (٧) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٢٠ ـ ١٢١

(٢) دخل عدد كبير من موالي بني أمية مع طالعة بلج الى الاندلس وانضم اليهم من كان في الأندلس من موالي بني أمية وكانوا يؤلفون حزبا هاما عرف بالأمويين وقد نجحوا في تأسيس دولة بني أمية في الأندلس ، انظر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٤) كان ثمرة زواج العرب بنساء أسبانيات جيل جديد في الأندلس عرف باســم المولدين . انظر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٨ ـ ١٣٠

(٥) هم نصارى الأسبان الذين كانوا يعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية مـــع احتفاظهم بدينهم . انظر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢

(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٧) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

وقد ذكر لنا الأصطخرى قبائل البربر التى استقرت فى الأندلس ، فمن قبائل البربر البتر فى الأندلس نفزة ومكناسة — بين الجلاقة وبين قرطبة — وهوارة ومديونه — سكان شنتبريه — ، ومن قبائل البربر البرانس كتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة (١) .

وظلت المغرب طوال عصورها الاسلامية تمد الأندلس بأعداد هائلة من البربر اذ نجد حكامها الأمويين وخصوصا الخلفاء يستكثرون من بربر العدوة المغربية ويعتمدون عليهم فى جيوشهم (٢) . ويرجع السبب فى كثرة أعدادهم فى الأندلس الى سهولة المجاز من العدوة المغربية الى الأندلس والى توفر الثروات فى البلاد وتضاؤلها فى المغرب بسبب كثرة السكان وقله الموارد . والأهم من هذا وذاك استخدامهم بأعداد كبيرة فى الجيش الأندلسى وفى خدمة حكام الدولة الأموية (٣) .

وفى خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين كان معظم سكان مدن الأندلس وخاصة قرطبة من أصل بربرى . وعلى الرغم من أن معظم البربر بالأندلس كان يعمل فى حرف ومهن متواضعة فقد نبغ البعض منهم وبرز فى العلوم الدينية وغدا من فقهاء الأندلس المشهورين (٤) مثل منذر بن سعيد

---

(١) الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص٣٦

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ص١٢٢ .

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص٧٩ .

(٤) Levi Provencal: Historiade Espana, t.IV. P.97.

البلوطى قاضى عبد الرحمن الناصر ، فهو من ولهاصة [1] ، ومنذر بن عياش الأوربى ، من قبيلة أوربة – الذى ولى القضاء أيضا لعبد الرحمن الناصر [2] ، كما وصل بعضهم الى مرتبة الوزارة مثل أحمد بن الياس المغيلى – من مغيلة – الوزير القائد الذى ولى الولايات الجليلة لعبد الرحمن الناصر [3] . وبعضهم تولى منصب الامارة على البلدان فى الأندلس ، فنجد فى الثغر بنو هذيل من مديونة [4] ، كما كان أمراء الثغر بشنت برية ووادى الحجارة من البربر [5] . ومن قبيلة أوربة تولى صبرون بن شبيب ولاية اليشة ، ومن بعده ابنه وكيل الذى عزله عبد الرحمن الناصر عنها [6]

ومن قبيلة كتامة تولى بن المهلب امرة قرذيوة واشبرغيرة من أعمال البيرة [7]

---

(١) مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، ج ١ ، ص ٧٩
ولهاصة من قبيلة نفزاوة ولها بطون كثيرة (ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٩١) .

(٢) مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، ج ١ ، ص ٦٤
أوربة قبيلة من قبائل البربر البرانس (ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٨٩)

(٣) مؤلف مجهول : نبذ تاريخية فى أخبار البربر ، ج ١ ، ص ٧٩ – ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٩ .
مغيلة من قبائل البربر البتر وهم من بنى فاتن ابن تمصيت بن ضرى من ضريسة وموطنها فى المغرب الأوسط . (ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٩١ ، ص ١٠٢) .

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٩
مديونة أيضا من البربر البتر وهم من بنى فاتن ابن تمصيت بن ضرى – من ضريسة . (ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٩١

(٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٩ .

(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠١

(٧) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠١

وعند ما ولى عبد الرحمن الناصر عبد الملك بن العاصى على ماردة كان معه بعض الأفراد من أهل طنجة فى المغرب، وقد أضاف عبد الرحمن الناصر لعبد الملك بن العاصى فى ولايته لماردة الولاية على مكناسة وهوارة ونفزة ولقنت وهى من قبائل البربر [١] .

كما عمد الأمراء والخلفاء الأمويون الى الاستعانة بالبربر والاكثار منهم فى الجيش وقد اسهمت العصبية القبلية التى كانت دائما مستعرا للنزاع بين القبائل العربية فى عدم اعتماد الأمراء والخلفاء الأمويين على العنصر العربى فى الدفاع عن ملكهم ولذلك أكثروا من البربر لأضعاف العصبية العربية ثم للاستعانة بهم فى مواجهة الخطر الفاطمى فى المغرب [٢] . وكان من نتائج هذه السياسة هجرة أعداد كبيرة من البربر الى الأندلس للخدمة فيها [٣] .

وبالاضافة الى البربر أكثر عبد الرحمن الناصر من استخدام الصقالبة فى الجيش واستعان بهم فى حرب الممالك الأسبانية النصرانية وفى حرب الفاطميين فى المغرب [٤]

---

(١) ابن حيان : المقتبس، ج ٥ ، ص ٢٤١

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨٠ — ٨١ — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٤٨

(٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٤) الصقالبة : اسم أطلقه الجغرافيون العرب على الشعوب السلافية سكان البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا الى البحر الادرياتى غربا وهى ما كانت تسمى باسم بلغاريا العظمى وقد قامت بعض القبائل الجرمانية بسبى تلك الشعوب وبيعها الى عرب أسبانيا ولذلك أطلق عليهم اسم الصقالبة . ثم توسع العرب فى اطلاق هذا اللفظ على الارقاء الذين يجلبون من أية أمة مسيحية (انظر =)

وقد جاء أغلب الصقالبة الى أسبانيا اطفالا وربوا تربية اسلامية ودربوا على أعمال القصر والحرس والجيش ، واستطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة كبيرة فى المجتمع القرطبى فكان منهم قواد الجيوش مثل نجدة الصقلبى قائد الحملة الموجهة ضد راميرو الثانى ملك ليون سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م [١] . والأدباء والشعراء وغير ذلك [٢] وكان الهدف من الاستعانة بالصقالبة الحد من نفوذ الارستقراطية العربية فى الحكم واضعاف سيطرة الجند من العرب والبربر [٣] .

الأندلسيون فى المغرب :

ضم المغرب العديد من العناصر البشرية منها الروم والأفارقة والبربر وهو سواد سكان المغرب [٤] ، ولكن اذا نظرنا الى افريقية فى عصر الأغالبة نجدها تضم العديد من الأجناس البشرية منها العرب من أعقاب المسلمين الفاتحين لبلاد المغرب فى العصر الأموى ثم العصر العباسى ، ثم العجم أو الفرس الذين قدموا من المشرق مع الجيوش العباسية ، ثم البربر [٥] ، ثم الروم والأفارقة [٦] والفتيان

(*) أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ، معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م ، ص ٨ - ٩)

(١) أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ، ص ١٢

(٢) أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ، ص ١١

(٣) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٣ - أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ، ص ١٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣٣ - ١٤٠ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٥ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٩

والعبيد وكثيرا ما كانوا من النوع الأسود ويشترون من الصحراء أو من بلاد السودان بالاضافة الى العبيد من النوع الأبيض وهم الصقالبة [١] .

وبالاضافة الى ما سبق نجد العنصر الأندلسى فيها واضحا وبالأخص فى منطقة الجبل والريف التى لا تفصلها سوى مسافة بسيطة عن الساحل الأندلسى [٢]، ومدينة مرسى الدجاج التى يسكنها الأندلسيون [٣] .

وكان لقضاء الأمير الحكم بن هشام على ثورة الربض [٤] فى الأندلس أثر كبير فى

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص٤٢٠

Levi Provencal: Historia de Espana, t.IV. 96.

(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ٦٥

(٤) قامت هذه الثورة فى أواخر عهد الحكم اذ كانت الرعية تنقم على الحكم قسوته وصرامته بالاضافة الى كره المولدين له لشعورهم بالنقص فى مكانتهم الاجتماعية وفى حقوقهم العامة . وكان الفقهاء المالكية يغذون هذه الثورة ويذكون نارها لأن الحكم لم يكن راضيا عن المكانة السياسية التى تحققت لهم فى حياة أبيه هشام ، ولذلك كانت بين الحكم وأهل قرطبة وحشة تزداد مع مرور الأيام ومما زادها حدة ما فرضه الحكم من عشور مرهقة على المواد الغذائية فسخط عليه العامة ووصلت بهم الجرأة الى التعرض له فى الطريق . وفى أثناء خروج الأمير فى أحد الأيام الى الصيد مر من سوق الربض فتعرض له الناس بالقول فقبض على عشرة من زعمائهم وصلبهم وبدت أعراض الثورة وتحفز العامة للوثوب وأكثروا من التعرض لجند الأمير وحرسه والاعتداء عليهم ، وقد اضطرمت نار الثورة فى يوم على أثر مشادة بين أحد حراس الحكم من الصقالبة وصقيل عهد اليه بصقل سيفه اذ تباطأ الصقيل فقتله الصقلبى فثار العامة وكان أشدهم هياجا أهل الربض الجنوبى فى سنة ٢٠٢ هـ /٨١٧ م ، وزحف الثوار الى قصر الحكم فأرسل كتيبة الى الضاحية الثائرة فاشعلت فيها النار فمزق هذا شمل الثوار اذ تفرقوا لاطفاء النار وانقاذ أهلهم فاحاط بهم جند الأمير وقتلوا منهم أعدادا كبيرة وأمر الأمير بهدم ديار الثوار وأصبح هناك الوف بدون مأوى فأمر الحكم بخروجهم من قرطبة فعبر عدد منهم الى عدوة المغرب ونزلوا مدينة فاس وأقاموا

(=)

وجود اعداد كبيرة من الأندلسيين فى مدينة فاس، وقد ذكر ابن أبى زرع أعدادهم فيها بأنها ثمانية آلاف بيت [1] ، ومعظمهم من أرباب الحرف والصناعات ولذلك لعبوا دورا كبيرا فى النواحى الحضارية فى المغرب .

كما قامت بعض العناصر الأندلسية بتشديد بعض المدن ذات الأهمية الكبيرة مثل وهران التى قام محمد بن أبى عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين ببنائها ، وكانوا يقيمون فيها باتفاق منهم مع بنى نفزة وبنى مسقن من ازداجه احدى قبائل البربر [2] .

وكان للأندلسيين دور كبير فى المغرب كعمال ومهندسين حيث نلاحظ استعانة موسى بن أبى العافية بعمال ومهندسين من الأندلس فى بناء معقلة قلعة جاره سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥م . وقد أرسل عبد الرحمن الناصر محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين عنده مع ثلاثين بناء وعشرة من النجارين وخمسة عشر من الحفارين وستة من الجيارين لعمل الجير وستة من الأشارين [3] لأشر الخشب ورجلين من

(=) هناك عدوة الأندلسيين . للمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة انظر محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ ـ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٢٣٥ ـ ٢٤٠) .

(١) ابن ابى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٤٧ .

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٧٠

(٣) الاشارين : من الفعل أشر . أشر الخشبة أى نشرها . أى من يقومون بنشر الخشب (ابن منظور : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ج ٥ ، ص ٧٩ .

الحداديـن ورجلين من الحصارين تخيروا من حذاق طبقاتهم ، هذا بالاضافة الى الآلات والأدوات اللازمة لعمل كل منهم وأرسلها اليه [(١)] .

ومما يدل أيضا على وجود الأندلسيين فى المغرب باعداد كبيرة ما ذكره لنا ابن حيان من قيام عبد الرحمن الناصر ببناء مدينتين فى المغرب وتكليفه لموسى بن أبى العافية فى الاشراف على ذلك سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م [(٢)] .

من كل ما سبق نلاحظ مدى الاتصال الوثيق بين البلدين وما قام به البربر من دور مهم فى نشر الاسلام فى الأندلس واختلاطهم بأهل البلاد اختلاطا وثيقا حتى غدا الطابع البربرى ظاهرة واضحة فى جنوب الأندلس حتى الوقت الحاضر [(٣)] .

وما يقال عن دور البربر فى الأندلس يمكن أن يقال عن دور الأندلسيين فى المغرب حيث نجد آثارهم واضحة وجلية فى كل مجال نظرا لسهولة المجاز بـين البلدين ، كما أن المغرب كانت طوال عصورها ملجأ وملاذ للأندلسيين الفاريـن من بلادهم مثل أهل الربض بالاضافة الى كونها معبرا للحجاج وهـم فى طريقهم الـى الحج ، كما أن اشتغال المغاربة والأندلسيين بالتجارة أسهم فى توطيد العلاقات الاجتماعية بين المغرب والأندلس .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٨٨ ــ ٣٨٩ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤١٥ .
لم يذكر ابن حيان لنا اسم هاتين المدينتين ، كما لم يوضح لنا هل هما مدينتان قام عبد الرحمن الناصر باستحداثهما وكلف عامله موسى بن أبى العافية بالاشراف على بنائهما ، أم أنهما كانتا موجودتين وتهدمتا ثم قام عبد الرحمن الناصر باعـادة بنائهما ؟

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٢٥

٣ - العلاقــات الاقتصاديـــة

نبع الازدهار الحضارى الذى عاشته الأندلس خلال القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى نشاطا فى حركة التجارة بين المغرب والأندلس ، اذ نجد أن الأندلسيين كانوا يحملون بضائعهم ويبيعونها فى الأسواق فى المغرب ويشترون بأثمانها بضائع مغربية مما يحتاجها أهل الأندلس ويحملونها اليه • وكانت حركة النقل التجارى من الأندلس الى شواطئ المغرب نشيطة خصوصا فى المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وهى المنطقة الممتدة من بجاية حتى سبتة لأنها مقابلة للمواسى الأندلسية وقريبة منها • (١)

وأما عن الطرق التى تسير فيها التجارة فى تلك الفترة فنجدها كثيرة من أهمها الطريق البحرى الذى يسلكه التجار اليهود بين المغرب والمشرق منهم يركبون من فنجة فى البحر الغربى فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقى من القلزم الى الجار وجده ثم الى السند والهند والصين • وفى طريق عودتهم يحملون بضائعهم من الصين الى القلزم ثم الى الفرما ، ثم يركبون فى البحر الغربى فربما عدلوا بتجارتهم الى القسطنطينية فيبيعونها الى الروم وربما ساروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة فى البحر الغربى فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض الى الجابية ثم يركبون فى الفرات الى بغداد ثم يركبون فى دجلة الى الابلة ومن الأبلة الى عمان والسند والهند والصين (٢) •

---

(١) خير الله طلفاح : حضارة العرب فى الأندلس ، ج ٦ ، ص ١٢٤
(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١١٧

وكان هناك طريق برى يسير فيه التجار من الأندلس أو من فرنجة فيعبرون الى السوس الأقصى فيسيرون الى طنجة ثم الى افريقية ثم الى مصر ثم الى الرملة ثم الى دمشق ثم الكوفة ثم الى بغداد ثم الى البصرة ثم الى الأهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ثم الى السند ثم الى الهند ثم الى الصين (١) .

وكان هناك طريقان من مصر الى المغرب : أحدهما يسير بحذاء الساحل والآخر يسير جنوبا والمسافة من القيروان الى السوس الأدنى ألفان ومائة وخمسون ميلا وكان هذا هو الطريق الذى يصل الى الأندلس بالمشرق (٢) .

وكانت هذه الطرق التى تصل المغرب بمصر والأندلس بالمشرق تستخدم من قبل تجار المغرب والأندلس فى نقل البضائع التجارية بين البلدين . كما لعبت السفن دورا كبيرا فى نقل المنتجات التجارية بين البلدين وبطبيعة الحال فانه لابد من وجود موانئ على طول امتداد الساحل المغربى تستخدمها السفن فى الرسو لتفريغ البضائع فيها (٣) .

وكانت القيروان من أهم المراكز التجارية اذ يقول المقدسى عنها : ... هى فرضة المغربين ومتجر البحرين ... » (٤)

---

(١) ابن خرذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٤ ــ ١٥٥

(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده ، دار الكتاب العربى ،بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، المجلد الثانى ، ص٤١٨ ــ ٤١٩ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٥٨م ، ص٦١٠

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥

وامتازت قرطاجنة فى العصر الاسلامى بأهميتها البحرية والتجارية وكانت ثغر مرسية وما ولاها مخرج التجارة الأندلسية فى هذا الركن من الأندلس بالاضافة الى أنها كانت مركزا من مراكز الجهاد والغزو البحرى تجهز فيها الحملات البحرية المجاهدة المتجولة فى البحر المتوسط وقد سميت " قرطاجنة الخلفاء " (١)

ومن مراكز التجارة المغربية طبرقة التى يقول عن شهرتها ابن حوقل : " ... فانما اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالأندلسيين والتجار عليها ونزولهم فيها وتعشيرهم كان فى سالف الزمان بها وهى تجاه أوائل الأندلس من المكان الذى هى به وتحاذى أيضا بعض بلاد افرنجة " (٢) .

وقد أدى ازدهار التبادل التجارى بين المغرب والأندلس الى وجود جاليات أندلسية كثيرة فى موانئ المغرب مثل بونة ، وطنجة ، ووهران ، وتنس وبجاية ، ومرسى الدجاج . فالبكرى يذكر أن بونة كان أكثر تجارها من الأندلس (٣) وابن حوقل يذكر أن تنس " ... أكبر المدن التى يتعدى اليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصد منها لمتجارهم وينهضون منها الى ما سواها ... " (٤)
وعن وهران يذكر أنها " ... فرضة الأندلس اليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال (٥)

---

(١) محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦
(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص٥٥
(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٨ .
(٥) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

وفى بجاية وطنجة ومرسى الدجاج كان يوجد جاليات كبيرة من الأندلسيين . (١)

كما نلاحظ أن المرية اكتسبت منذ قيامها كمرسى وميناء سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م فى عهد عبد الرحمن الناصر شهرة كبيرة فى التجارة اذ كان يجلب اليها السلع من وادي بجانة ومن ساحل العدوة (٢) .

تبادل الغلال والسلع والبضائع بين المغرب والأندلس :

أما عن الغلات المتبادلة بين البلدين فهى كثيرة ومتنوعة فنجد أن اشبيلية تتميز بجودة قطنها الذى يصدر منها الى أنحاء الأندلس ويحمله التجار الى افريقية وسجلماسة (٣) . كما كانت تصدر الزيت الى المشرق والمغرب برا وبحرا (٤) .

وكان اقليم البيرة يصدر الكتان الى شمال افريقية حيث يباع هناك بأثمان مرتفعة دلالة على جودة هذا النوع الذى ينتج فيها (٥)

وامتازت قيشاطة احدى مدن الأندلس بنوع جيد من الخشب استعمل فى صناعة القصاع والمخابى والأطباق ، وكان هذا النوع من الخشب يستهلك محليا

---

(١) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٩٨

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٨

(٣) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ص٢١ ــ العذرى نصوص عن الأندلس ، ص٩٦ ــ ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩٣

(٤) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ص ١٩ ــ الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص١٧٨ .

(٥) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٥٩ .

حيث توزع كميات كبيرة منه فى داخل الأندلس ، وتصدر كميات كبيرة منه الى أكثر مدن المغرب[1] . ولم تقتصر المواد المتبادلة تجاريا بين البلدين على الغلات والأخشاب بل أيضا نجد أن الأندلس كانت تصدر الى افريقية الأسلحة والنسيج والجلود والسكر ، وقد قام التجار من اليهود والبربر بنقل هذه السلع وبيعها فى المغرب والمشرق[2] .

أما فى المغرب فقد اشتهرت مدينة قفصة بالفستق ويستهلك محليا ، كما كان يصدر الى بلاد الأندلس ومصر[3] .

واشتهرت مدينة تنس بكثرة زروعها وكثرة غلاتها فمنها ما يستهلك محليا فى بلاد المغرب ومنها ما كان يقوم التجار بتصدير كميات كبيرة الى الأندلس[4] .

ومن السلع التى حملت الى الأندلس وساهم فى نقلها التجار المغاربة هى تجارة العاج حيث كانت من التجارات الرائجة والتى يعمل بها المغاربة

---

(١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ٢٠٣ – الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ص ١٦٥ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، ص ٢٧٤ .

(٣) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٥٣ – البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٤٧ (البكرى يذكر مدينة قفصة على أنها قبصة والصحيح قفصة) .

(٤) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٣٣ .

والفانيون بين غانة والسودان فى الجنوب وبلاد المغرب فى الشمال [١] . وبطبيعة الحال استخدمت هذه المادة فى صناعة التحف العاجية فى الأندلس .

ومن ضمن ما جلب الى الأندلس من المغرب الرخام والسوارى التى استخدمت فى بناء مدينة الزهراء فى عهد عبدالرحمن الناصر سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م [٢] ويحدثنا صاحب جغرافية الأندلس عن هذه المدينة فيقول :

" وفى سنة خمس وعشرين وثلاثة ماية ابتداء الناصر بناء الزهراء ... " [٣]

ثم يقول : " ... وجلب اليها الرخام من قرطاجنة ... " [٤] افريقيـــة وكان ... [٥] على كل رخامة كبيرة أو صغيرة بعشرة دنانير سوى ما كان يلزمه من النفقة على قطعها ومؤنة سوقها ويصل على كل سارية عظمت أو ... [٦] بثمانية مثاقيل ذهبا ودخل فى قصر الزهراء من سوارى الرخام أربعة آلاف سارية وثلاثة ماية سارية واثنتى عشر سارية منها من بلاد الافرنج تسعة عشر سارية وسائر ذلك من مناطق الأندلس وبلاد افريقية ... " [٧]

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج ٢ ، ص ١٧٢

(٢) الحبيب الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة عاصمة بنى مدرار ، المؤرخ العربى ، العدد الخامس ، ص ١٤٩ .

(٣) مؤلف مجهول : جغرافية الأندلس ، ورقة ٦٦

(٤) الواقع ان الحرف هنا غير ظاهر فى المخطوط واعتقد أنه ما حرف واو أو ياء .

(٥) الكلمة هنا أيضا غير واضحة تماما فى المخطوط (وعلى ما أظن أنها يهب) .

(٦) أيضا كلمة غير واضحة ولم أستطع قراءتها .

(٧) مؤلف مجهول : جغرافية الأندلس ، ورقة ٦٧ .

وقد ذكر لنا المقرى أسماء من كانوا يقومون بجلب ذلك وهم عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن وعلى بن جعفر الاسكندر (١) .

٤ ـ التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس فى مجال العمارة والفنون الاسلامية

كان عصر عبد الرحمن الناصر فى الأندلس (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١م عصر ازدهار ورقى لم تشهد البلاد مثله . وقد توثقت الصلات الفنية بين الأندلس والمغرب طوال العصر الاسلامى وبخاصة منذ عهد الحكم الربضى الذى قام بالقضاء على ثورة أهل الربض فى قرطبة سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م وأجبر من بقى منهم على قيد الحياة على مغادرة الأندلس ، فغادروها حيث ذهب فريق منهم الى المغرب واستقر فى مدينة فاس (٢) .

وقد ازدهرت الصلات الفنية الأندلسية ببلاد المغرب وثاقه فى عصر الخلافة الأموية ، ووصلت الى أوجها فى عصر المرابطين والموحدين حتى شملت كل أنحاء المغرب (٣) ، وما زال فن العمارة الأندلسى هو الفن السائد فى عمائر بلاد المغرب الى وقتنا هذا (٤) .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، م ١ ، ص ٥٦٨ .

(٢) انظر قبل ص ٢٩٨ فى معرض الحديث عن العلاقات الاجتماعية .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ٤٩ ـ ٥٠

(٤) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الدينية فى الأندلس ، دائرة معارف الشعب ٢٥ ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٠٦

وكان من الطبيعى أن يتدفق سيل هذه التأثيرات الى المغرب الأقصى فى عصر الخلافة الأموية بعد أن سعى خلفاء قرطبة منذ عهد عبد الرحمن الناصر الى مد نفوذهم السياسى على المغرب الأقصى بهدف محاربة النفوذ الفاطمى هناك [(١)] .

فلو نظرنا الى جامع القرويين بفاس لوجدنا هذه التأثيرات الأندلسية ظاهرة وواضحة . فقد أسس هذا الجامع سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م على يد السيدة فاطمة أم البنين وهى من أسرة عربية فهرية [(٢)] ، وتمت الزيادة فيه فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر على يد أحمد بن أبى بكر الزناتى عامله على فاس سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م [(٣)] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٦ ، هامش ٢ ـ حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، دار النهضة العربية ، بمصر ، ١٩٧٩ م ، ص ١٣٨ ـ عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٢ م ، المجلد الأول ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها ، عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، ص ١٢٤ .
الواقع أن جامع القرويين مر بثلاث مراحل ، الأولى عند تأسيسه ، والثانية عند الزيادة فيه فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م . أما المرحلة الثالثة فى الزيادة فكانت فى عهد المرابطين حيث زيدت مساحته سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م . ومن الثابت أن الزيادات التى تمت الحقت بالجامع القديم ، أى التفت به من الشمال والجنوب والشرق والغرب . انظر السيد عبد العزيز سالم : مسجد القرويين بفاس ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٧٩

ويمكن تحديد هذه الزيادة بالنسبة للمسجد الحالى كالآتى :

قام الأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى بمد البلاطات العرضية الأربعة مسافة خمسة عقود شرقا ، وأربعة عقود غربا ، كما أضاف لبيت الصلاة ثلاث بلاطات عرضية جديدة شمالا فشغلت هذه البلاطات الجديدة الصحن القديم . وبطبيعة الحال أقام صحنا جديدا لبيت الصلاة بعد اتساعه [1] .

أما المئذنة فقد أقامها فوق منتصف الرواق المطل على الصحن من المجنبة (الرواق الجانبي) الغربية ، وقاعدة هذه المئذنة مربعة الشكل وطول كل ضلع نحو خمسة أمتار وارتفاعها أربعة أضعاف طول القاعدة أى عشرون مترا ، وفقا للنظام المتبع فى بناء المآذن بالأندلس فى تلك الفترة [2] . أما بابها فجعله جهة الجنوب مثل مئذنة جامع القيروان .

وقد قام الأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى ببناء هذه المئذنة وتشييدها فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م وكان الانتهاء منها فى ربيع الآخر سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦ م [3] وبنيت من الحجر المنجور (المعدل المصقول) المحكم ، وترك

---

(١) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، م١ ، ص٥٦ — السيد عبد العزيز سالم : مسجد القرويين بفاس ، دائرة معارف الشعب ٢٥ ، سنة ١٩٥٩م ، ص ١٨٠

(٢) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، م ١ ، ص٥٦ — ٥٧ — السيد عبد العزيز سالم : العمارة الاسلامية فى الأندلس وتطورها ، عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد ١ ، ص ١٢١ .

(٣) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، م ١ ، ص٥٧

تفاحيع/الجامور
فى جدرانها ثقوبا ، وركب على رأسها تفاحات صغيرة موهة بالذهب . وفى أعلاها سيف الامام ادريس الذى بنى عدوة القرويين تبركا به (١) .

ومئذنة جامع القرويين تغلب عليها البساطة وفى داخلها درج حلزونى حول دعيمة مربعة ، وتوجد بجدرانها من الخارج فتحات ضيقة تشبه منافذ السهام الغرض منها مد الدرج بالضوء ، وقرب اعلاها نافذة على هيئة عقدين توءمين متجاورين يستندان على عمود مشترك ويحيط بهما اطار مستطيل على الشكل الذى نراه فى مآذن الأندلس كلها . وفى أعلى نهاية جدار المئذنة شرفات هرمية . أما سطح المئذنة فتعلوه قبة ركبت بها التفاحات المذكورة (٢) .

أما فى جامع الأندلسيين الذى أنشئ فى سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م فى فاس أيضا وتولت انشاءه مريم بنت عبد الله الفهرى - أخت فاطمة أم البنين التى شيدت جامع القرويين (٣) فنجد فيه أيضا التأثير الأندلسى واضحا فى المئذنة التى لا تزال نشاهدها حتى اليوم وهى الأثر الأموى الأندلسى فى عمارة الجامع

---

(١) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، م ١ ، ص ٥٨
شكل ١ - ٢-٣ انظر عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، م ١ ، ص ٢٠٣-٢٠٤
مئذنة القرويين من الناحية الجنوبية ومن الناحية الشرقية (ومن الجهة الغربية) . شكل (٤) صورة للبلاطات التى شيدت على عهد الزناتيين . ص ٢٠٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : مسجد القرويين بفاس ، دائرة معارف الشعب ٢٦ ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٨١ - انظر شكل (٣) صورة القبة المذكورة . عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، م ١ ، ص ٢٠٤ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : جامع الأندلسيين ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٨٦ . انظر شكل (٥)

ولم يطرأ عليها تغيير منذ بنائها فى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م وحتى الآن [١] .

وقد استعمل فى بناء المئذنة قطع الحجارة غير المهذبة (دبش) وكسيت جدرانها بطلا طرمادى اللون . والمئذنة من الخارج على شكل برج مربع القاعدة وتتوزع فى جدرانها فتحات ضيقة لينفذ منها الضوء الى داخل المئذنـــــة وتنتهى هذه الجدران من أعلى بجدار عريض بارز عن جدارها الأدنى يتكـــئ على شريط حافته مائلة ، ويحدد مستوى سطح المئذنة شريط رفيع من الا جـــر يمتد أفقيا فى الجدارين الغربى والشمالى للمئذنة بين الشريط المائل وشرفات المئذنة وتستند هذه الشرفات التى تشبه أسنة المنشار على شريط مائل ينتهى به جـدار السطـح .

وتشبه هذه المئذنة مئذنة جامع القرويين . وفى وسط المئذنة من الداخل دعيمة مربعة يدور حولها سلم تعلوه قبوات نصف اسطوانية وتتألف عند تقاطـــع هذه القبوات فى كل دورة قبوة متقاطعة [٢] من نوع ردئ ، ويعلو سطح المئذنة بناء مستدير قليل الارتفاع أقيمت عليه قبة نصف كروية [٣] .

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : جامع الأندلسيين ، دائرة معارف الشعب ، ٢ سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٩٣ .

(٢) القبوة المتقاطعة عبارة عن قبوتين يتخلف عنهما أربعة ضلوع بارزة متعارضة بينها خوفات مثلثة . (انظر مانويل مورينو : الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ص ٤٩١

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : جامع الأندلسيين ، دائرة معارف الشعب ، ٢ سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٩٣

أما المسجد الجامع بالقيروان فقد كان أقدم مساجد المغرب الاسلامى والمصدر المعمارى الأول الذى اقتبست منه العمارة المغربية الأندلسية عناصرها ، ومنه أيضا انبثقت الطرز المعمارية والزخرفية وتطورت فى العصور المختلفة [1] ، وقد اتخذ رجال الفن فى بلاد المغرب والأندلس من مئذنته ذات الشكل المربع فى الأساس والبناء نموذجا لمآذن مساجدهم [2]

أما فى مجال الفنون الاسلامية فنلاحظ أن المصادر والمراجع لم تمدنا بالشىء الكثير فى التأثيرات المتبادلة بين البلدين ، ولكن على الرغم من ذلك استطعت أن أحصل على القليل من المعلومات عن هذه الفترة .

فعلى سبيل المثال نلاحظ أنه شاع استخدام القراميد الخزفية أو الزليج [3] فى تزيين الجدران فى الأندلس والمغرب منذ عصر الخلافة الأموية الأندلسية ، وقد

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٢٢

(٢) أحمد فكرى : مسجد القيروان ، طبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م ، ص ١١٢ — السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

(٣) تعرف هذه القراميد أو البلاطات الخزفية فى المغرب والأندلس باسم الزليج (Azalejos) أما فى العراق فعرفت باسم الكاشى وهى مأخوذة من اسم مدينة قاشان فى ايران المشهورة بانتاجه . وعرف فى مصر باسم الزليزلى ووصلت طريقة صناعته الى مصر من بلاد المغرب ونراه بكثرة فى دمياط ورشيد والاسكندرية وهى الموانئ التى كان يحط المغاربة رحالهم فيها وهم فى طريقهم الى الحج . أما فى داخل مصر وجنوبها فكان يسمى [الكاشانى] . انظر محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص ٧٦ ــ ٧٧ وانظر الشكل رقم ٦ ، ٧ ، ٨ .

عثر فى حفائر الزهراء على قطع من الزليـج المذهب كانت تزين القصور هناك [١] .

ويتجلى لنا فن النحت فى الأندلس فى أروع أشكاله الفنية فى التحف المصنوعة من العاج ، ويرجع ازدهار هذه الصناعة فى الأندلس الى تجارة العاج الرائجـة بين الأندلس وبلاد المغرب [٢] ، وكانت هذه التحف تصنع بالزهراء لزوجات الخلفاء ولجارياتهم . وهى تصنع أما على شكل علب أو صناديق لحفظ العطور والمسك والعنبر ، بالاضافة الى استعمالها فى حفظ الحلى وصيانتها وأدوات الزينة [٣].

وقد بدأت صناعة التحف العاجية فى الأندلس مع بداية توسع الخلافـة الأندلسية فى المغرب الأقصى واحتكاك الأندلسيين بأهل المغرب ، ولو نظرنا الى هذه التحف العاجية نجد أن هناك مركزين لصناعتها أحدهما فى طليطلة والآخر فى قرطبة ، ويعتقد أن مصنع قرطبة كان قائما بالزهراء اذ نرى اسـم مدينة الزهراء منقوشا على بعض العلب / ولعله المصنع الذى أسسه عبد الرحمن الناصر فى هذه المدينة الخلافية لصناعة التحف [٤]

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٩٥

(٢) انظر هذه الناحية فى العلاقات الاقتصادية ص ٣٠٥

(٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٣٢ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبة فى العصر الاسلامى ، المؤرخ العربـى بغداد ، العراق ، العدد ١٣ ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٥٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : الفنون والصناعات بالأندلس ، دائرة معارف الشعب، ٢ ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٨٢ .

وقد احتفظت لنا معظم هذه العلب بأسماء من صنعت لهم وبأسماء الصناع الذين قاموا بصناعتها واسم مدينة الزهراء وهذا شيء مهم اذ أنها بهـــذا تعتبر بحق من أصدق المصادر التي تساعدنا على دراسة هذا الفن الصناعـــي وتطوره ٠

ومن خلال ما عثر عليه من هذه التحف استطعنا أن نلم بالأشكال التـــي صنعت بها هذه العلب ، فهناك شكلان منها :
الشكل الأول عبارة عن علب اسطوانية الشكل ولها غطاء مقبـــب
والشكل الثاني عبارة عن صناديق مستطيلة الشكل ولها أغطية على شكل هـــرم ناقص أو مسطحة وأما من حيث الزخرفة فهناك ثلاثة أنواع ، فالأول منهـــا يشتمل على زخرفة من التوريقات [1] التي تختلط أحيانا برسوم حيوانات ٠ والثاني ينحصر زخارفه داخل جامات مستديرة أو مفصصة تحيط برسوم آدمية أو حيوانيـة محفورة وأحيانا تحصر مناظر للصيد أو مجالس طرب ٠
والثالث تمثله زخارف دقيقة لأشخاص أو حيوانات بين التوريقات [2] ٠

---

(١) التوريقات عبارة عن زخرفة نباتية متشاركة ٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص١٣٢ ــ ١٣٣
السيد عبد العزيز سالم : قرطبة في العصر الاسلامي ، المؤرخ العربـــي بغداد ، العراق ، العدد ١٣ ، سنة ١٩٨٠ م ، ص٥٢

أما ما وصلنا من هذه التحف وتنسب الى عبدالرحمن الناصر فنخص بالذكر ثلاث منها :

واحدة كانت فى دير سيلوس (Silos) ثم أصبحت فى المتحف الأهلى للآثار بمدينة بورغش (Burgos) ، والتحفتان الأخريان فى متحف فيكتوريا والبرت بلندن [١] .

وأقدم مثال لهذه التحف الموجود فى الصورة شكل (٩) فيه من الداخل تجويفات مستديرة الشكل كانت معدة لوضع الدهون التى تستعملها المرأة فى زينتها ويحف بهذه التجويفات الأربعة الموجودة فى الزوايا الأربعة لهذه التحفة عندما تكون مفتوحة كتابة كوفية نصها : " هذا ما عمل الأسه لعبد الرحمن أمير المؤمنين " . وكلمة الأسه قدتكون اسم صانع غير عربى يدعى الأينة أو الايتة حسب ما ذكرها كتاب المراجع الحديثة . أما عبدالرحمن المذكور فهو الناصر الذى تلقب بأمير المؤمنين فى سنة ٣١٦ هـ /٩٢٨م [٢]

كما تحمل هذه التحفة الى جانب النص زخارف نباتية نشاهدها بين التجويفات وهى من النوع الذى يعرف باسم الأرابسك [٣] أو زخرفة التوريق وهى

---

(١) محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٨٣

(٢) محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق والصفحة .

(٣) تعرف فى أسبانيا باسم التوريق وقد توخى الفنان المسلم فيها الابتعاد عن تصوير الطبيعة بصورة صادقة ، فلم يعن وهو يرسم الارابسك بالنقل عنها نقلا صادقا بل أخذ [illegible] بالعناصر الطبيعية [illegible] الا أنه لم يخرج فى [illegible] بتحويره عن مبادئ التوازن والتقابل والتماثل وهى من الأسس الرئيسية التى يقوم عليها فن الزخرفة فخرجت الارابسك بين يديه رائعة . انظر محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٨١ ــ ٨٢ .

معروفة الآن فى اللغة الأسبانية بكلمة التوريق (Ataurigos)[١] .

أما التحفة الثانية فموجودة فى متحف فيكتوريا والبرت فى لندن وهى صندوق من العاج غطاؤه مسطح وعليه كتابة نصها : " بسم الله هذا ما عمل الاسـ لعبد الرحمن أمير المؤمنين رحمة الله عليه ورضوانه " . أما الزخرفة فيه فهى شبيهة بالزخرفة فى التحفة السابقة[٢] .

والتحفة الثالثة هى أيضا عبارة عن صندوق ولكن غطاءه على هيئة هرم ناقص وهو غطاء ابتكر شكله الصناع المسلمون وزخرفته من نوع زخرفة التحفتين السابقتين وعليه نص بالخط الكوفى : " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عمل الاسه لعبد الرحمن أمير المؤمنين رحمة الله ونعمته عليه " . والعبارة هنا شبيهة الى حد ما بالعبارة التى ينتهى بها النص فى التحفة السابقة[٣] .

وهناك أيضا من التحف العاجية التى صنعت بقرطبة علبة خاصة بالمغيرة ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكما نلاحظ فى صورتها أن سطح العلبة مغطى بزخارف دقيقة وصنعت فى مناطق ذات ثمانية فصوص نرى فى احدها صورة شخصين جالسين على أريكة يحملها حيوانان متدابران ، ويقف وراء الشخصين سيدة تحمل آلة موسيقية

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٨٤

(٢) محمد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٨٥

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٨٥

أما باقى السطح فزخارفه ذات عناصر آدمية وحيوانية ونباتية مأخوذة من موضوعات الصيد والطرب .(١)

---

(١) نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ص٧٨ .

الخاتمة

() الخاتمـــــة ()

فى هذه الخاتمة أتعرض لذكر أهم النتائج التى وصلت اليها بعد قيامى بدراسة العلاقات السياسية والحضارية بين المغرب والأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ــ ٩٦١ م) .

فمن أهم هذه النتائج التى وصلت اليها فى بحثى للعلاقات بين البلدين أنها قديمة جدا تعود الى ما قبل الميلاد ، وقد أسهمت الطبيعة الجغرافية فى وجود هذه الصلات وتقويتها بين البلدين على مر العصور والأزمان حيث تعتبر كل منهما درعا للأخرى .

وبعد مجىء الاسلام ازدادت العلاقات بين البلدين متانة وقوة وظهرت بشكل أوضح وأعمق عن ذى قبل ، اذ ربط الاسلام بينهما وجعل منهما وحدة واحدة ، فما كان يحدث من حادث فى هذا المكان أو ذاك الا وكان له صدى فى الجانب الآخر .

وعندما قامت الدولة الأموية فى الأندلس ارتبط أمراؤها بعلاقة صداقة ومودة مع بعض الدويلات والامارات المستقلة التى قامت فى المغرب مثل الدولة الرستمية والدولة المدرارية ودولة برغواطة وامارة نكور .

وفى أواخر عهد الامارة الأموية وقبل تولى عبد الرحمن الناصر للخلافة شهد المغرب حادثا هاما وهو قيام الخلافة الفاطمية الشيعية فى افريقية سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م ، وقد ترتب على ذلك وبخاصة بعد تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد

عرش الأندلس قيام علاقات العداء بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس بسبب محاولات الفاطميين نشر مذهبهم فى الأندلس بقصد القضاء على الدولة الأموية وضم الأندلس الى خلافتهم فى المغرب كمرحلة من مراحل تطلعاتهم الى توحيد العالم الاسلامى تحت رايتهم الشيعية .

ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن الدولة الفاطمية لم تكن تعد العدة لفتح الأندلس لنقل مقر الخلافة الفاطمية اليها عندما ظهر لها عدم صلاحية المغرب ليكون مقرا لخلافتها كما ذكر بعض الكتاب المحدثين ، بل كانت للدولة الفاطمية أطماع أكبر من هذا ، وما كان المغرب بالنسبة لها الا قاعدة انطلاق نحو الشرق والى مصر لتحقيق هدفها الأساسى وهو زعامة العالم الاسلامى ، ومد نفوذها على الحرمين الشريفين والقضاء على الخلافة العباسية .

ونظرا لقيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب فى وسط يدين بالاسلام على مذهب مالك وتمسك أهل البلاد الشديد بهذا المذهب ، فقد وقف ذلك سدا منيعا فى وجه الفاطميين فى فرض مذهبهم على المغاربة باللين تارة وبالقوة والتهديد تارة أخرى . بالاضافة الى السياسة الجائرة التى اتبعوها مع أهل البلاد خصوصا فى الناحية المالية ، فقد أدى ذلك الى اشتعال البلاد بنار الثورة ضدهم وخصوصا من البربر ، فما كانت الدولة الفاطمية تقضى على ثورة الا وتقوم ثورة أخرى ضدها . هذا فضلا عن أن الفاطميين وان كانوا قد نجحوا فى اقامة دولتهم فى المغرب الا أنهم لم يستطيعوا أن يقضوا تماما على المذاهب والدول المختلفة التى كانت موجودة فيه مثل الادريسية والمدرارية والرستمية وغيرها .

وأما الاحتكاكات بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر وما تبع ذلك من حروب واشتباكات فمرجعه الى خوف كل منهما من الآخر وحقد كل منهما على الآخر ، وكان هذا انعكاسا للشعور القديم المتبادل بين بنى هاشم وبنى أمية . فكان لدى الفاطميين احساس بالخوف من الأمويين فى الأندلس وبخاصة من عبد الرحمن ، الذى نجح فى اعادة الوحدة والقوة الى الدولة الأموية بالأندلس . وفى نفس الوقت كان عبد الرحمن الناصر يخشى من انتشار مذهبهم فى بلاده ومن تحريضهم للثوار ولذلك عمل كل طرف منهما على اضعاف الطرف الآخر ليأمن جانبه ، ولم يصل الأمر بالفاطميين الى التفكير فى غزو بلد توفرت له دعائم القوة خصوصا فى عهد عبد الرحمن الناصر . واذا كان لدى الفاطميين فكرة أو أية نية لغزو الأندلس فذلك نابع من ادراكهم لمدى الصلة الوثيقة بين المغرب والأندلس فعملوا على الاستفادة من هذه الحقيقة فى جعل المغرب الاسلامى خاضعا لهم ، لأن كلا البلدين يعتبر خط دفاع للآخر . وفى القضاء على أعدائهم الأمويين . وأما ما يذكره بعض الكتاب المحدثين من أن الفاطميين كانوا يستهدفون فتح الأندلس لنقل مقر خلافتهم اليها فهذا شىء لم يكن واردا فى أذهانهم .

وأما عن الدعاية الشيعية فى الأندلس فقد كان نجاحها محدودا ، اذ أنها لم تجتذب لها العديد من الأنصار وهذا راجع الى حرص الدولة الأموية على أن تكون عقيدة المسلمين فيها صحيحة وبعيدة عن الانحرافات وخالية من البدع .

وأما النتيجة الثانية في هذه الدراسة فهي ازدهار العلاقات الحضارية بين البلدين سواء في الناحية الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية كما نجد التأثيرات المعمارية والفنية واضحة في كل البلدين وان كانت هذه التأثيرات أخذت تتضح أكثر وأكثر في أواخر القرن الرابع الهجري ، الى أن وصلت الى أوج ازدهارها في عهد المرابطين والموحدين .

وأرجو أن يكون ما قد توصلت اليه من نتائج في هذه الدراسة اسهاما متواضعا من جانبي في ايضاح العلاقات بين المغرب والأندلس في الفترة المحددة للموضوع ، واضافة علمية في طريق المعرفة التاريخية .

والله الموفق ...

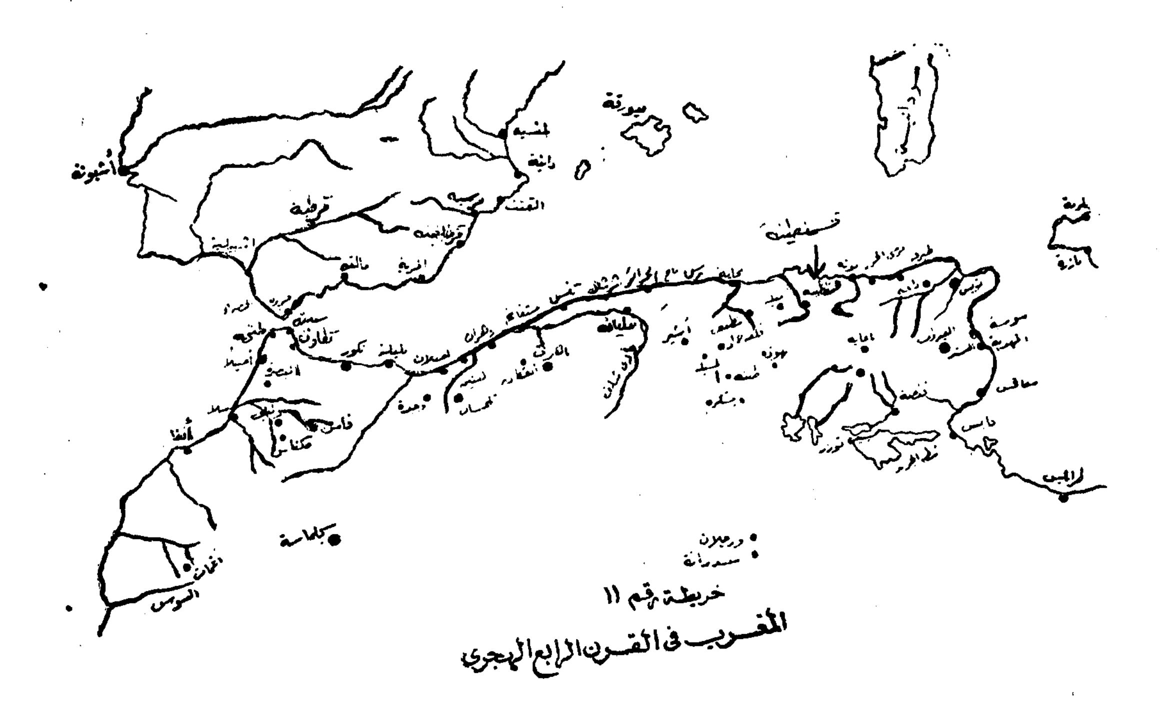
الخرائط
و
الصور

مملكة الأدارسة

— مدن أنشأها الأدارسة

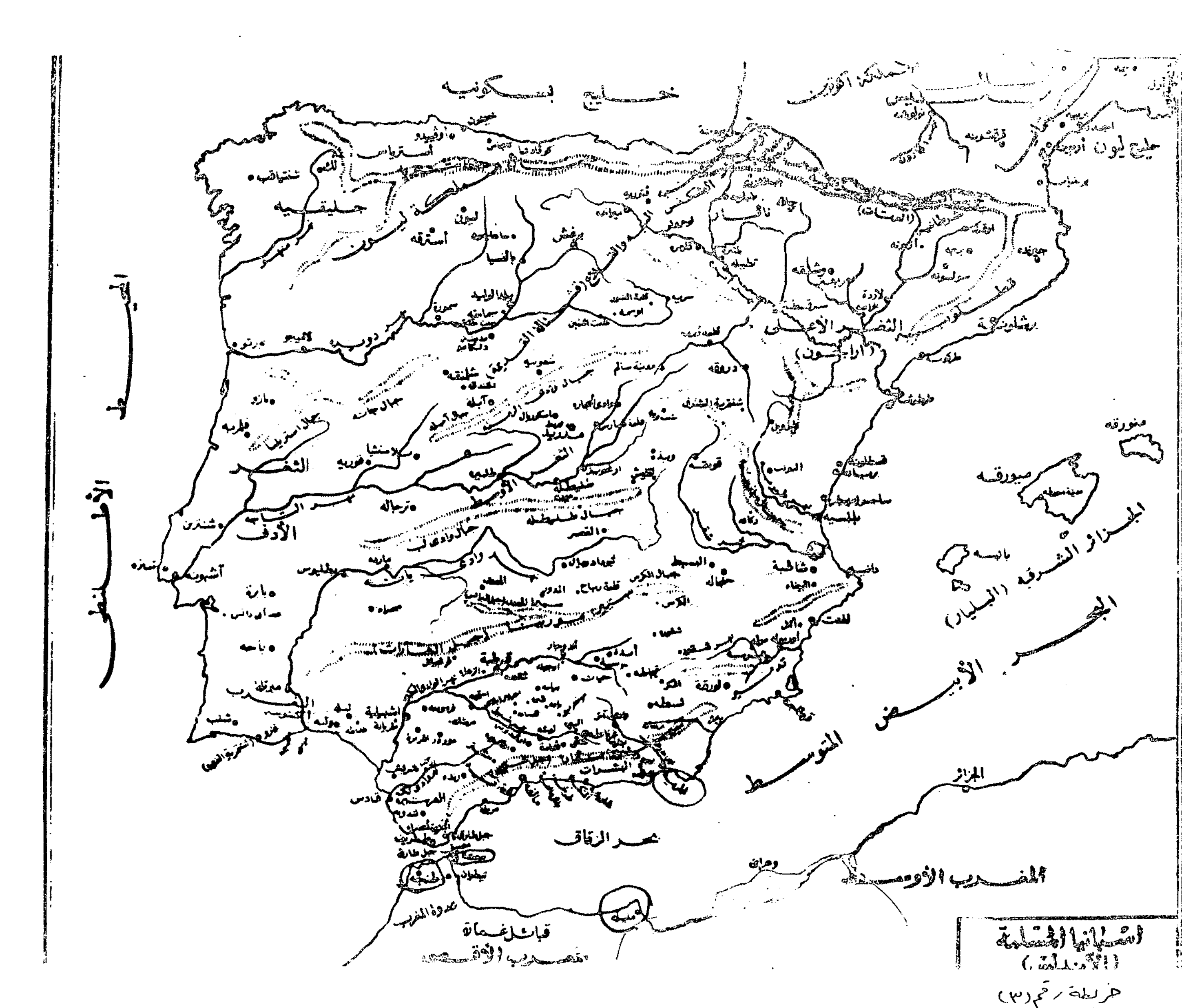
( ) مناطق خارجة عن نفوذ الأدارسة

ابراهيم حركات - المغرب عبر التاريخ - ج ١ - ص ١٣٠ رقم (١)



خريطة رقم ١١
المغرب في القرن الرابع الهجري

السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٩٤٦
رقم ٢



خريطة رقم (٣)

محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال.

مواضع وقبائل البربر في المغرب الأقصى

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير
ج ٢ ، ص ٩٤٣

رقم (٤)



محمد عبد الله عنان
الآثار الأندلسية
الباقية في أسبانيا
والبرتغال ص ٢١

خريطة توضح موقع جبل طارق وبعض مدن العدوة

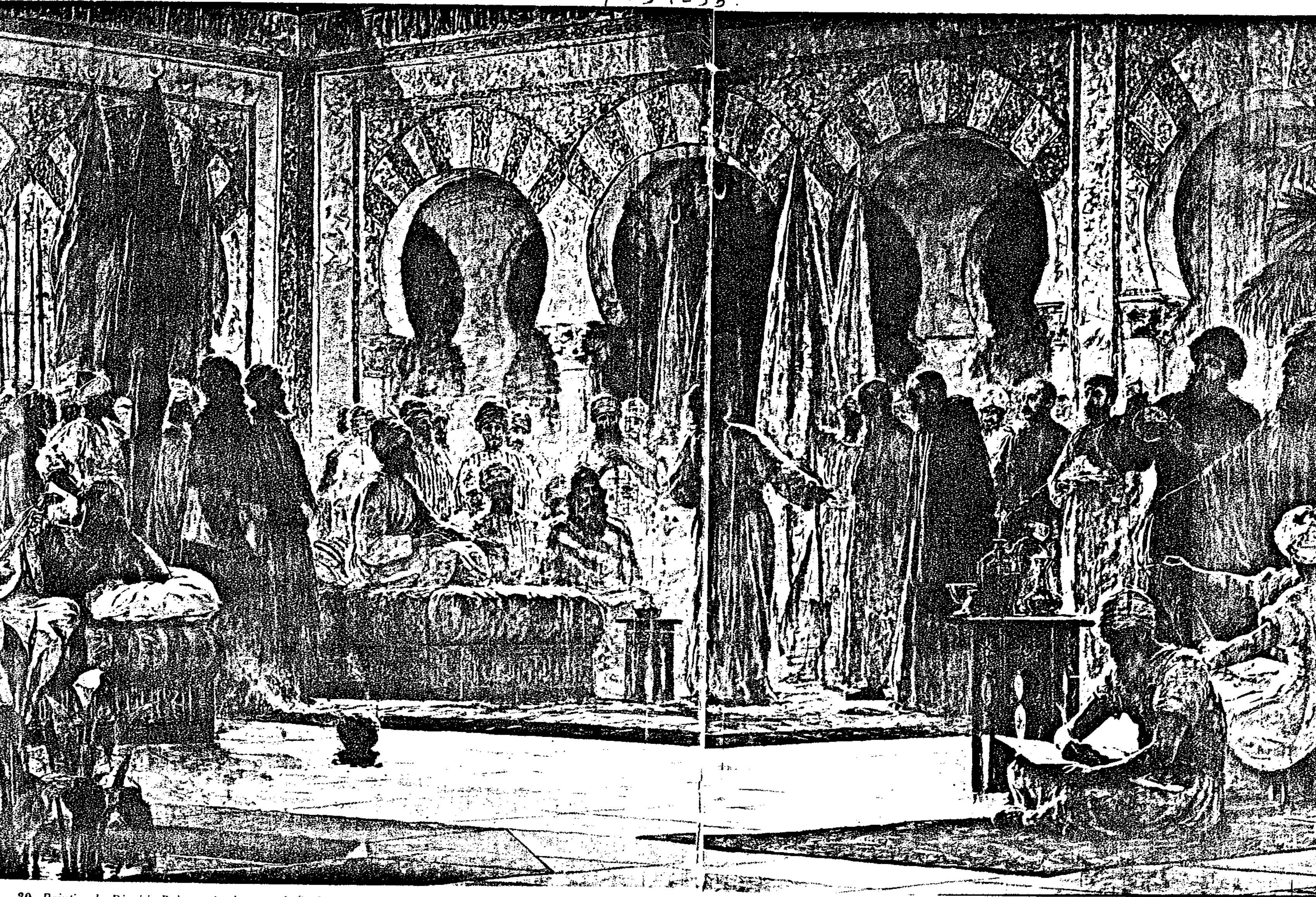
رقم (٥١)

نقلاً من كتاب

Rafael Castejon and Martinez de Arizala: Medina Azahara, p. 34-35.

٣٢٩

صورة تمثل السفارة البيزنطية التي قدمت لعبد الرحمن الناصر من قبل الامبراطور قسطنطين السابع.



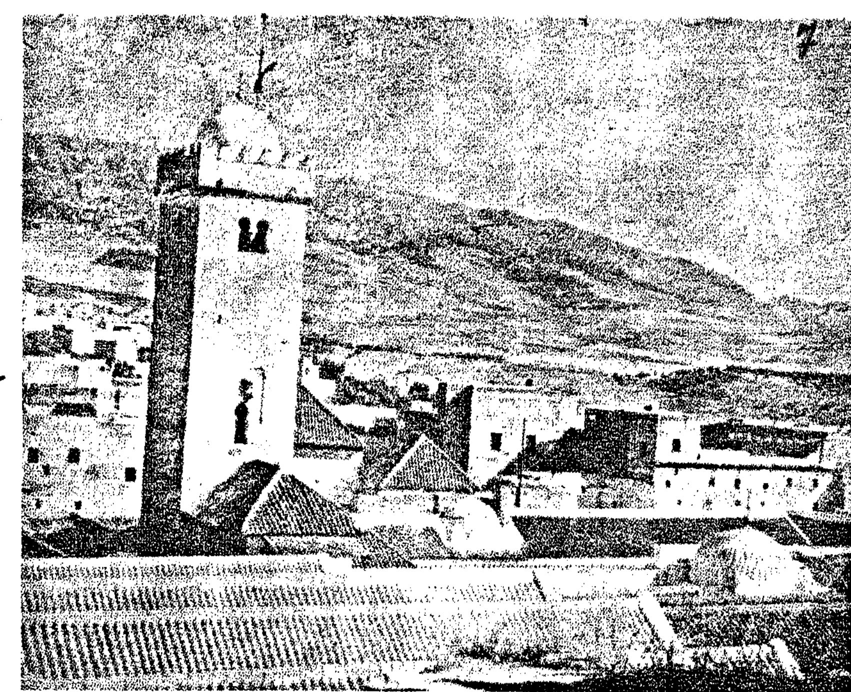
30. *Painting by Dionisio Baixeras in the great hall of Barcelona University, showing the delivery to Caliph Abd-al-Rahman III of a copy of the Botany of Dioscorides, brought from Byzantium by the monk Nicholas as envoy of the Byzantine Emperor.*

Rafael Castejon and Martinez de Arizala: Medina Azahara, p 36-37.

صورة السفارة التي قدمت لعبد الرحمن الناصر ٢٢ من قبل الإمبراطور اوتو.

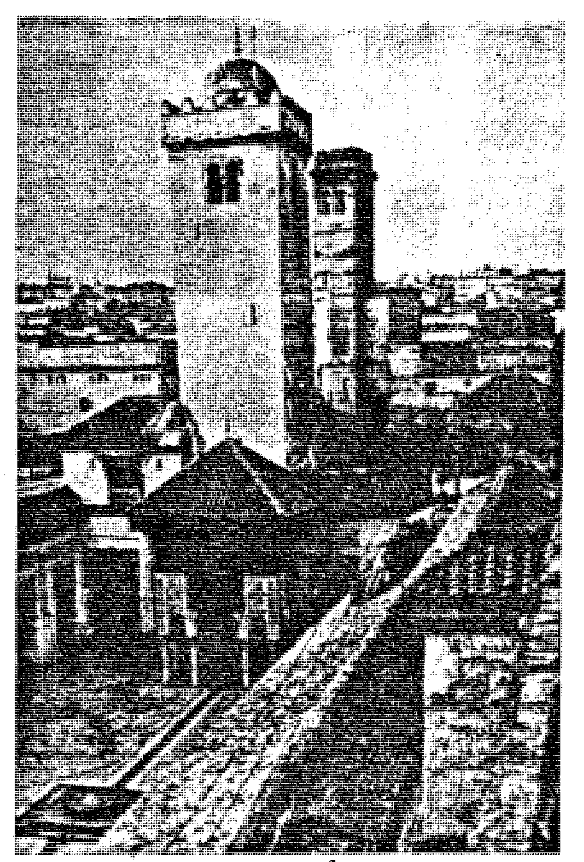


31. *Picture by Rodriguez Losada in the Lecture Room of the Circulo de Amistad, in Cordoba, showing the embassy of the monk John of Gorz, envoy of the German Emperor Otto I.*



شكل (١)

رقم (٧) / ص ٥٦
اقدم مئذنة في العالم الاسلامي صمدت الى الآن : صومعة جامع القرويين التاريخية ، الجهة الجنوبية ، ترى في الأعلى نافذتان تحتهما بانحراف فتحة صغيرة مستطيلة ونلاحظ ان طابع المئذنة المغربية يرتكز على التربيع وليس على الاستدارة .

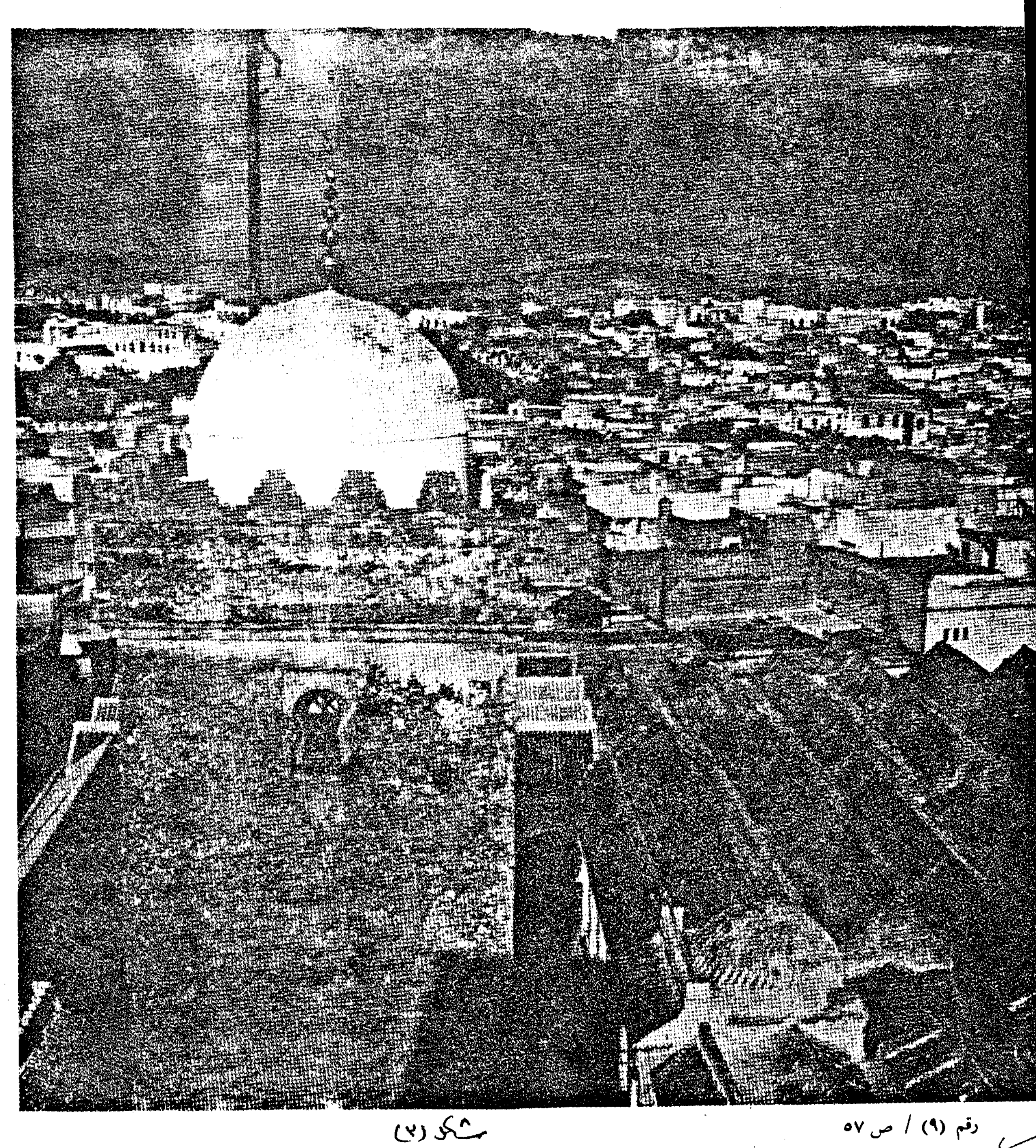


شكل (٢)

رقم (٨) / ص ٥٧
منظر لمئذنة القرويين من الجهة الشرقية ، نافذتان في الاعلى تحتها بانحراف فتحة صغيرة مستطيلة تليها اخرى ذات اليمين ويلاحظ وراء الصومعة (برج النفار) وهو حديث بالنسبة لتاريخ بناء المئذنة .

عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، م ١ ، ص ٢

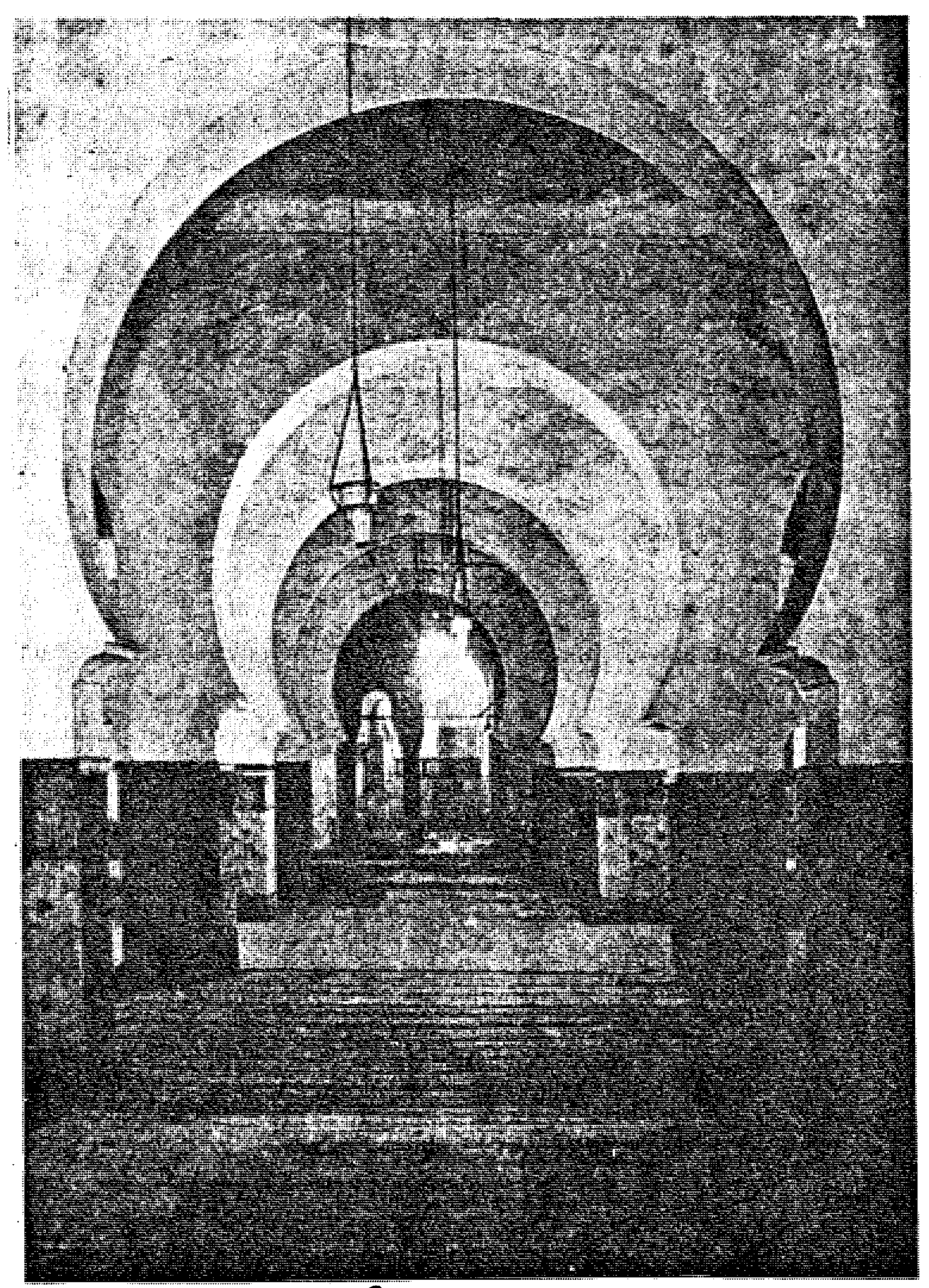
٢٣٢



رقم (٩) / ص ٥٧ مشكو (٧)

صومعة القرويين من الجهة الغربية ، وتظهر نافذة واحدة ذات قوس بسيط ، والصورة مأخوذة من جهة (برج النفّار) ، وتلاحظ قبّة الصومعة على شكل نصف كرة وقد علتها اربع تفاحات متدرجة من صفر تأتي في آخرها بقية من سيف الامام ادريس .

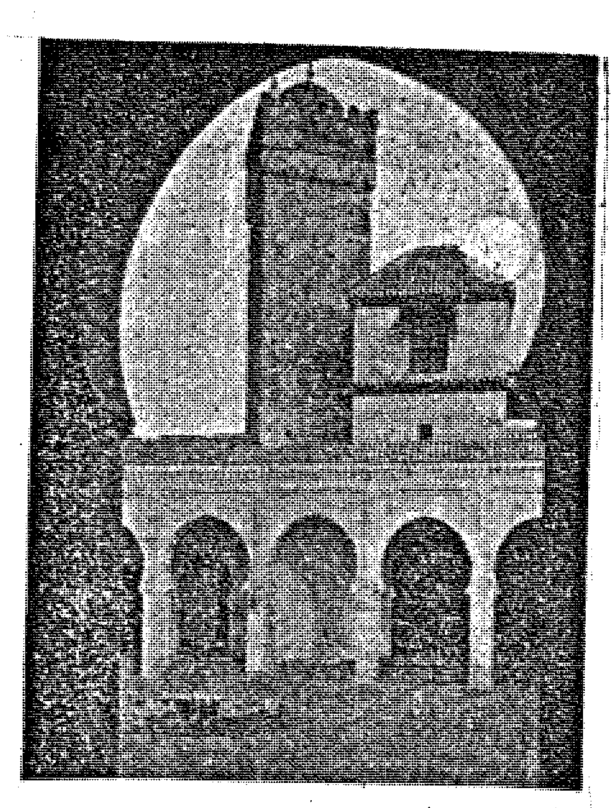
عبد الهادي التازي : جامع القرويين / م ١ / ص ٢٠٤



رقم (١٣) / ص ٦٧ مشكل (٤)

صورة للبلاطات التي شيّدت على عهد الزناتيين. ان السواري تمتاز بانها قصيرة وثخينة كما نرى . . .

عبد الهادي التازي: جامع القرويين، م ١، ص ٢٠٨



مجنبة الصحن والمئذنة بجامع الاندلسيين

شكل (٥)

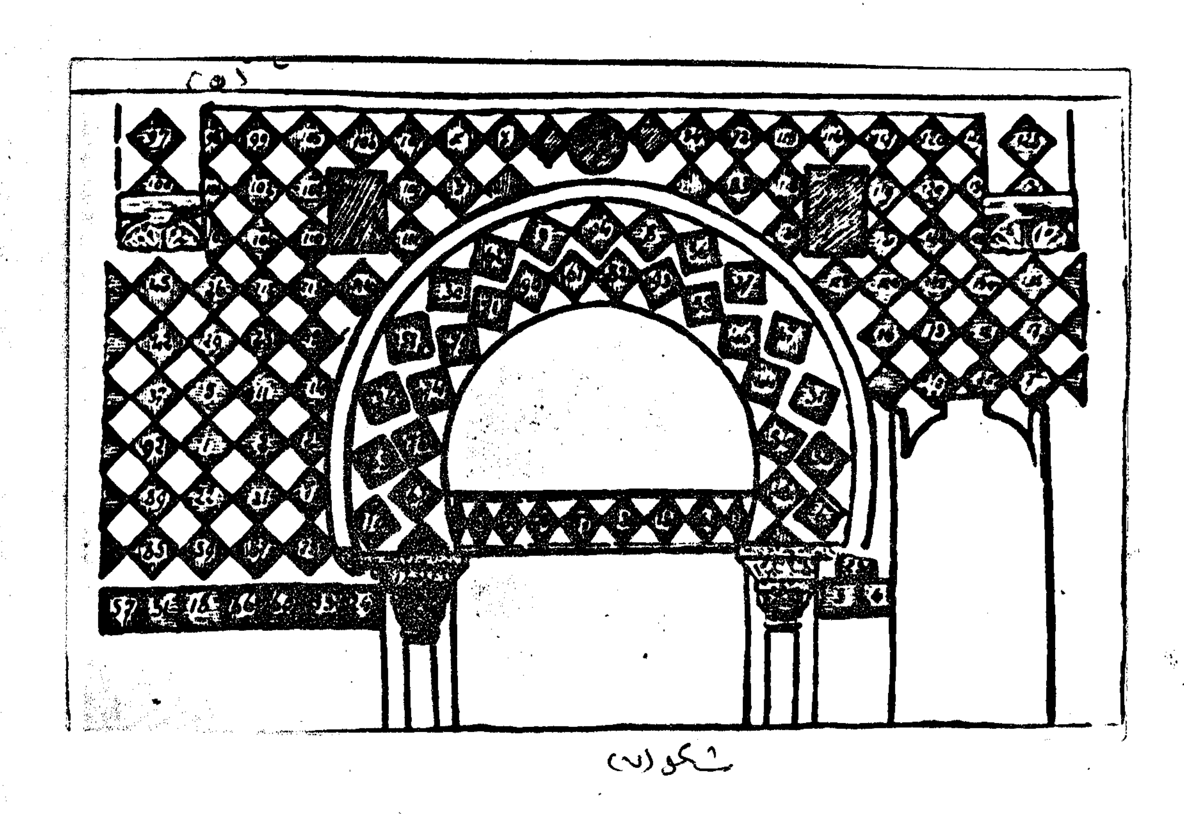
١ السيد عبد العزيز سالم: دائرة معارف الشعب، ٢، مطابع الشعب، ١٩٥٩م.



(شكل ١)

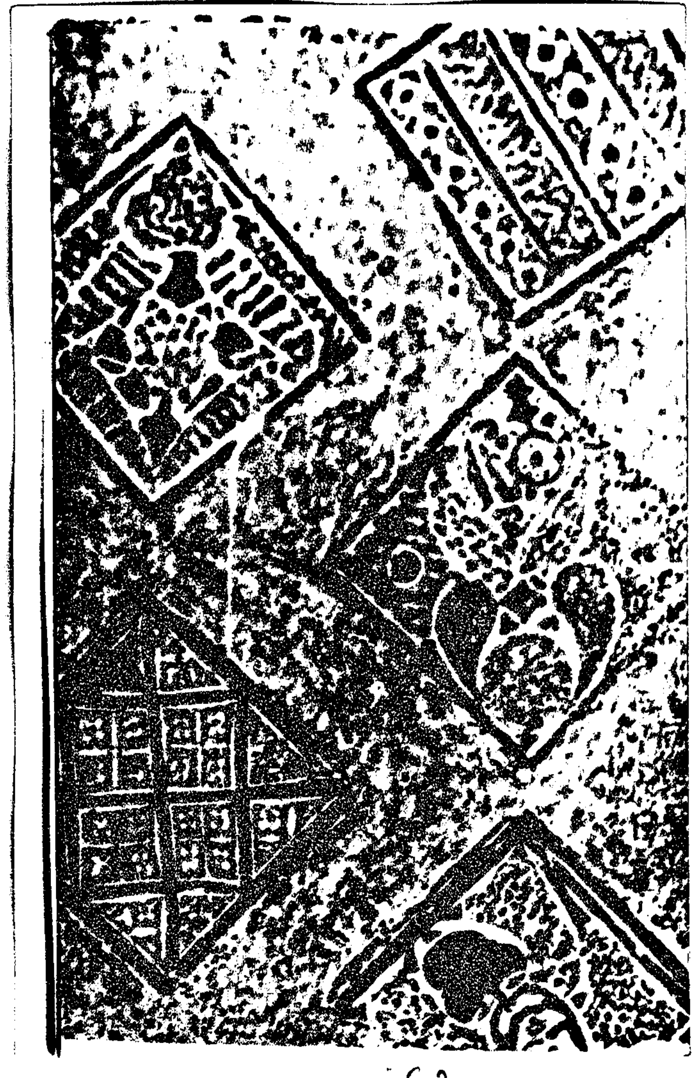
شكل (٦)

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس



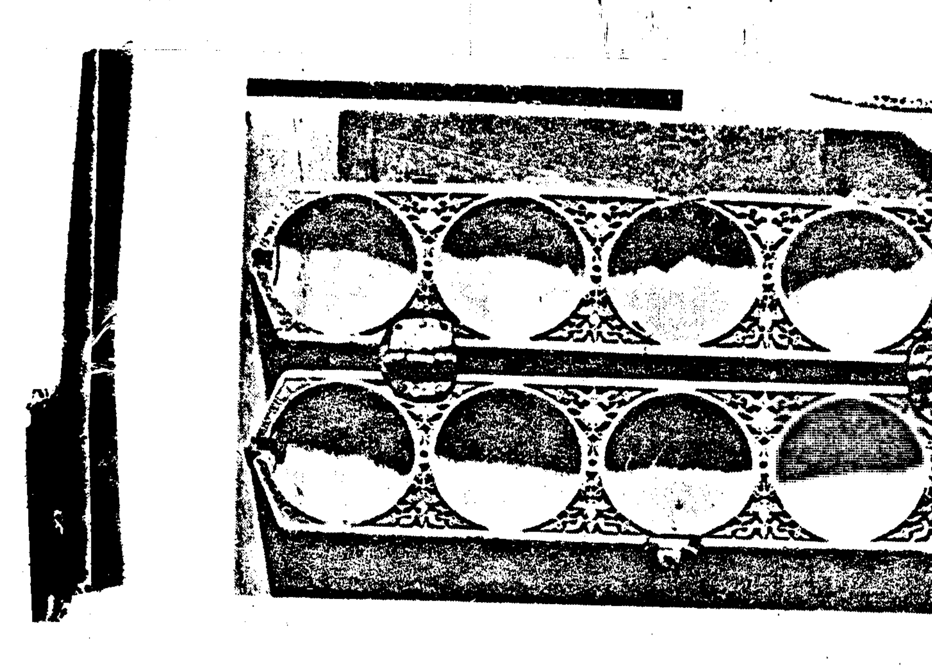
شكل (٧٨)

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس .



شكل (٨)

محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس.



(شكل ١١٦)



شكل (٩)

محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس.

قائمة
المصادر والمراجع

المخطوطـــات

١ ـ مؤلف مجهـــــول :

جغرافية الأندلس ، مخطوط بمكتبة معهد الدراســـات الاسلامية بمدريد رقم (M - 36)

المصادر المطبوعة

٢ ـ ابن الآبار (ت ٦٥٨ هـ) :
الحلة السيراء ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٣ ـ ابن أبي اصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) :
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .

٤ ـ ابن أبي دينار (ت ١١١٠ هـ) :
المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية الطبعة الأولى ، سنة ١٢٨٦ .

٥ ـ ابن أبي زرع (ت ٧٤١ هـ) :
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ، ١٩٧٢ م .

٦ ـ ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) :
الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م ، ج ٦ .

٧ ـ الادريسي (٥٦٤ هـ) :
المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبع بمدينة ليدن بمطبع بريل ، سنة ١٩٦٨ م .

٨ ــ الاصطخرى (المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) :
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العالى الحيسنى
مراجعة محمد شفيق غربال ، وزارة الثقافة والارشاد القومى
الادارة العامة للثقافة ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

٩ ــ ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) :
كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة
مصر ، ١٩٦٦ م .

١٠ــ البكرى (٤٨٧ هـ) :
جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق
عبد الرحمن الحجى ، دار الارشاد ، بيروت ، الطبعة
الأولى ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .

١١ ــ المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب
المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .

١٢ــ ابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن
طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة
ج ٣ .

١٣ ــ ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) :
نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، بقلم شوقى ضيف ، فصلة
من مجلة كلية الآداب ، المجلد الثالث عشر ، الجزء الثانى
مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١ م .

١٤ــ : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٣٨٢ هـ /١٩٦٢م .

١٥ ــ الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) :
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

١٦ ــ الحميرى (ت ٩٠٠ هـ) :
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، جمعه سنة ٨٦٦ هـ ، عنى بنشره وتصحيحه ا . ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، سنة ١٩٣٧م .

١٧ــ : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، حققه احسان عباس مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥م .

١٨ ــ ابن حوقل (ت ~~٣٨٠~~ هـ) (توفى بعد ٣٦٧ هـ) :
صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

١٩ ــ ابن حيان (٤٦٩ هـ) :
المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمود على مكى ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .

٢٠ــ : المقتبس ، نشر ب . شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف . كورينطى ، م . صبيح ، كلية الآداب بالرباط المغرب ، مدريد ، ١٩٧٩م .

٢١ ـ ابن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) :
مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس
طبع فى مطبعة الجوائب ، قسطنطينية . الطبعة الأولى
سنة ١٣٠٢ هـ .

٢٢ ـ ابن خرداذبة (٣٠٠ هـ) :
المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة
لأبى الفرج قدامة بن جعفر البغدادى المتوفى سنة
٣٢٠ هـ ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٢٣ ـ الخشنى (٣٦١ هـ) :
قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، عنى بنشره وصححه وطبعه
السيد عزت العطار الحسينى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة .

٢٤ ـ ابن الخطيب (٧٧٦ هـ) :
كتاب أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك
الاسلام (القسم الثانى . تاريخ أسبانيا الاسلامية)
تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت
لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ م .

٢٥ ـ : تاريخ المغرب فى العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب
أعمال الاعلام) تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى
ومحمد ابراهيم الكتانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء
١٩٦٤ م .

٢٦ ـ : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، حققه ووضع مقدمته وحواشيه
محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجى ، القاهرة .

٢٧ ـ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) :
تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ٧ أجزاء .

٢٨ ـ ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ، ٤ أجزاء .

٢٩ ـ الدباغ (ت ٦٩٦ هـ) :
معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجى التنوخى (سنة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م) ، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ، ج ١ ، وقام بنشره مكتبة الخانجى بمصر ، سنة ١٩٦٨ م ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م . ج ٢ ، حققه محمد الأحمدى أبو النور ومحمد ماضور ونشرة مكتبة الخانجى بمصر ، المكتبة العتيقة بتونس .

٣٠ ـ ابن دحية (٦٣٣ هـ) :
المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى : حامد عبد المجيد ، أحمد أحمد بدوى مراجعة طه حسين ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٤ م .

٣١ ـ ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ) :
رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

٣٢ ـ : المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه شوقي ضيف دار المعارف ، القاهرة .

٣٣ ـ السيوطي (ت ٩١١ هـ) :
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٣٤ ـ الضبي (ت ٥٩٩ هـ) :
بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربي القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٣٥ ـ ابن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) :
كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية القاهرة ، ١٣١٧ هـ .

٣٦ ـ ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) :
العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م ، ج ٣ ، ج ٥

٣٧ ـ ابن عذارى المراكشي (من كتاب القرن السابع الهجري) :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، ٢ ، ٣ تحقيق ومراجعة ج . س كولان ، واليفي بروفنسال ، ج ٤ كتب التعليقات احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

٣٨ ـ العذرى (ت ٤٧٨ هـ) :
نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٥ م .

٣٩ ـ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى (ت ٣٣٣ هـ) :
طبقات علماء افريقية وتونس ، تقديم وتحقيق على الشابى ونعيم حسن اليافى ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ م .

٤٠ ـ ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ٢ ، ٣ .

٤١ ـ ابن غالب الغرناطى (ت ٥٧١ هـ) :
نص أندلسى جديد ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة لطفى عبد البديع ، مدريد ، بدون سنة النشر .

٤٢ ـ أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ) :
المختصر فى أخبار البشر (تاريخ أبى الفدا) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج ٢ .

٤٣ ـ ابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) :
تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٤٤ ـ القاضى النعمان (ت ٣٦٣ هـ) :
كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقـــى وابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوى ، طبع فى المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٧٨، م .

٤٥ـ القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) :
صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، وزارة الثقافة والارشـــاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمـــة والطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م ج ٥ .

٤٦ ـ ابن القوطيه (ت ٣٦٧ هـ) :
تاريخ افتتاح الأندلس ، حققه وشرحه وعلق عليه وقابله على مخطوطتى باريس ومدريد وقدم له عبد الله أنيس الطبـــاع دار النشر للجامعيين ، مجهول سنة النشر وكذلك البلد التى نشر فيها .

٤٧ـ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) :
البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعـــة الثانية ١٩٧٧، م ، ج ١١ .

٤٨ـ ابن الكرديوس وابن الشباط (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) :
تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط ، نصـــان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مطبعة معـهـد الدراسات الاسلامية بمدريد .

٤٩ ـ المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ج ١ ، ج ٤ .

٥٠ ـ المقدسى (ت ٣٨٧ هـ) :
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، مكتبة خياط شارع بلس ، بيروت ، لبنان .

٥١ ـ المقرى (ت ١٠٤١ هـ) :
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه احسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، المجلد الأول .

٥٢ ـ : ازهار الرياض فى أخبار عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٣٥٩ هـ ، ج ١ ، ج ٢

٥٣ ـ المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) :
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة المثنى ، توزيع دار الفكر ، القاهرة .

٥٤ ـ : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٥٥ ـ مؤلف مجهـــول :

مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، نشرها ليفـــى بروفنسال واميليو جرثية جومث ، غرناطة ، مدريــــــد ١٩٥٠م ، مع الترجمة الأسبانية بعنوان :

Una Cronica Anonimade-Abd Al-Rahman III Al-Nasir.

٥٦ ـ مؤلف مجهول (من كتاب القرن السادس الهجرى) :

كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعـــد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨م.

٥٧ ـ مؤلف مجهول :

مفاخر البربر (نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القـــرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البـــربر ألفه سنة ٧١٢ ، اعتنى بنشرها وتصحيحها ا• ليفـــى بروفنسال المطبعة الجديدة برباط الفتح ، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م •

٥٨ ـ مؤلف مجهول :

أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم اللــه والحروب الواقعة بينهم ، طبع فى مدينة مجريط بمطبـــع ربد نيرّ سنة ١٨٦٧م •

٥٩ ـ الناصرى (ت ١٣١٥هـ) :

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليـق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الـــدار البيضاء ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ٩ أجزاء •

٦٠ ـ النباهى (ت ٧١٣ هـ) :
تاريخ قضاة الأندلس وسماه المرقبة العليا فيمن يستحـــق القضاء والفتيـا ، نشر ا • ليفى بروفنسال ، دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٨ م •

٦١ ـ نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، نشر ا • ليفـــى بروفنســال ، مطبوعات لاروز ، باريس ، سنة ١٩٤٨ م •

٦٢ ـ ياقوت الحمــوى (ت ٦٢٦ هـ) :
معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بـــيروت لبنان ، خمسة أجزاء •

المراجع الحديثة

٦٣ ــ ابراهيم أحمد العدوى (دكتور) :
السفارات الاسلامية فى العصور الوسطى ، دار المعارف مصر .

٦٤ ــ ابراهيم بيضون (دكتور) :
الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢ ــ ٤٢٢ هـ / ٧١١ ــ ١٠٣١ م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٦٥ ــ ابراهيم حركات :
المغرب عبر التاريخ ، تقديم الأستاذ محمد الفاسى ، طبع ونشر دار السلمى ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، المجلد الأول .

٦٦ ــ احسان عباس (دكتور) :
تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م .

٦٧ ــ أحمد ابراهيم الشعراوى (دكتور) :
الأمويون أمراء الأندلس الأول ، دار النهضة العربية مصر ، ١٩٦٩ م .

٦٨ ــ أحمد أمين (دكتور) :
ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٢ م .

٦٩ ـ أحمد شلبي (دكتور) :
موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥م ، ج ٤ .

٧٠ ـ أحمد فكري (دكتور) :
مساجد الاسلام ، مسجد القيروان ، مطبعة المعارف ومكتبتها مصر ، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م .

٧١ ـ أحمد مختار العبادي (دكتور) :
في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، مصر . بدون تاريخ النشر

٧٢ ـ : الصقالبة في أسبانيا ، لمحة من أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، وزارة المعارف العمومية معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .

٧٣ ـ : في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٧٤ ـ : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٢م .

٧٥ ـ أحمد هيكل (دكتور) :
الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، دار المعارف الطبعة السابعة ، ١٩٧٩ م .

٧٦ ـ بطرس البستاني :
أدباء العرب ، دار الجيل ، مجهول مكان النشر وكذلك السنة .

٧٧ ـ توفيق حمد عبد الجواد :
تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ج ٣ .

٧٨ ـ حسن ابراهيم حسن (دكتور) :
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٥ م ج ٢ ، ٣ .

٧٩ ـ : تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ م .

٨٠ ـ حسن ابراهيم حسن وطه شرف :
المعز لدين الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ م .

٨١ ـ حسن الباشا (دكتور) :
مدخل الى الآثار الاسلامية ، الناشر دار النهضة العربية بمصر ، ١٩٧٩ م .

٨٢ ـ الحسن السائح :
الحضارة المغربية عبر التاريخ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المملكة المغربية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ م .

٨٣ ـ حسين مؤنس (دكتور) :
شيوخ العصر فى الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر ، ١٩٦٥ م .

٨٤ ـ : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، الناشر دار ومطابع المستقبل بالفجالة بالقاهرة ، وصفية زغلول بالاسكندرية الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

٨٥ ـ خير الله طلفاح :
حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ج ٦

٨٦ ـ رجب محمد عبد الحليم :
العلاقات بين الأندلس والممالك النصرانية منذ عصر الامارة حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة وقدمة الى كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨١م .

٨٧ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢م .

٨٨ ـ السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :
المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٦٦م ، ج ٢ .

٨٩ ـ : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، سنة ١٩٧١ م ج ٢ ، سنة ١٩٧٢م .

٩٠ ـ : مدينة المرية الاسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩ م .

٩١ ـ : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢م.

٩٢ ـ السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادى :
تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٢م .

٩٣ ـ صابر محمد دياب (دكتور) :
سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى ، الناشر عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .

٩٤ ـ عادلة على الحمد :
قيام الدولة الفاطمية فى بلاد افريقية والمغرب ، دار ومطابع المستقبل بالفجالة بالقاهرة ، وصفية زغلول بالاسكندرية ، ١٩٨٠م .

٩٥ ـ عبدالرحمن الحجى (دكتور) :
أندلسيات ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

٩٦ ـ عبدالكريم التوانى :
مأساة انهيار الوجود العربى بالأندلس ، مكتبة الرشاد الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٧م .

٩٧ ـ عبدالمنعم ماجد (دكتور) :
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، دار المعارف ، مصر ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦م .

٩٨ ـ عبد الهادى التازى (دكتور) :
جامع القرويين : المسجد والجامعة بمدينة فاس ، موسوعة لتاريخها المعمارى والفكرى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م ، المجلد الأول .

٩٩ ـ على ابراهيم حسن (دكتور) :
تاريخ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م .

١٠٠ ـ على حبيبه (دكتور) :
مع المسلمين فى الأندلس ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة بجدة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ الطبع .

١٠١ ـ على حسنى الخربوطلى (دكتور) :
الاسلام فى حوض البحر المتوسط ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .

١٠٢ ـ كريم عجيل حسين :
الحياة العلمية فى مدينة بلنسية الاسلامية ، (٩٢ ـ ٤٩٤ هـ / ٧١٠ ـ ١١٠٠م) ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م .

١٠٣ ـ لطفى عبد البديع (دكتور) :
الاسلام فى أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، بالقاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ م .

١٠٤ ـ محب الدين الخطيب :
الزهراء ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .

١٠٥ ـ محمد جمال الدين سرور (دكتور) :
سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م .

١٠٦ ـ : الدولة الفاطمية فى مصر ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

١٠٧ ـ محمد حمدى المناوى (دكتور) :
مصر فى ظل الاسلام من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ م ، ج ١

١٠٨ ـ محمد الصادق عفيفى ومحمد بن تاويت التطوانى :
تاريخ الأدب العربى ، مجهول دار النشر والبلد وكذلك سنة النشر .

١٠٩ ـ محمد عبد الحميد عيسى (دكتور) :
تاريخ التعليم فى أسبانيا الاسلامية ، رسالة (دكتوراه غير منشورة) صدرت عن جامعة الاوتونوما ، مدريد ، كلية الفلسفة والآداب ، النسخة المكتوبة باللغة العربية ، مدريد ١٩٧٩ م ـ ١٩٨٠م .

١١٠ ـ محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) :
الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

١١١ ـ محمد عبد الله عنان :
الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال ، الناشر مؤسسة الخانجى بالقاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

١١٢ـ : دولة الاسلام فى الأندلس من الفتح حتى بداية عهد عبدالرحمن الناصر ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م ، العصر الأول القسم الأول .

١١٣ـ : دولة الاسلام فى الأندلس . الخلافة الأموية والدولة العامرية ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، العصر الأول ، القسم الثانى .

١١٤ـ : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

١١٥ ـ محمد عبدالمنعم خفاجة :
قصة الأدب الأندلسى ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٢م

١١٦ـ محمد على دبوز :
تاريخ المغرب الكبير ، طبع بدار أحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م بالنسبة للجزء الثانى ، والطبعة الأولى ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م بالنسبة للجزء الثالث .

١١٧ ـ محمد لبيب البتنونى :
رحلة الأندلس ، مطبعة مصر ، الطبعة الثانية ، مجهول تاريخ الطبع .

١١٨ ـ محمد النيفر :
عنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب المطبعة التونسية ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٣٥١هـ

١١٩ ـ مصطفى الشكعة (دكتور) :

الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩ م ٠

١٢٠ ـ نعمت اسماعيل علام :

فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية ، دار المعارف مصر ، القاهرة ٠

١٢١ ـ هشام سليم عبد الرحمن أبو رميلة :

نظم الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ م ٠

المراجع المترجمة

١٢٢ـ آدم متز :
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الاسلام ، نقله الى العربية محمد الهادى أبو ريده دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . المجلد الثانى .

١٢٣ـ ارشيبالد . ر . لويس :
القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠م) ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

١٢٤ ـ آنخل جنثالث بالنثيا :
تاريخ الفكر الأندلسى ، نقله عن الأسبانية حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية ، بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٥م .

١٢٥ ـ خوليان ريبيرا :
التربية الاسلامية فى الأندلس ، أصولها الشرقية وتأثيراتها الغربية ، ترجمة الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف القاهرة .

١٢٦ ـ ر. دوزى :
تاريخ مسلمى أسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، دار المعارف ، القاهرة .

١٢٧ ـ شارل اندرى جوليان :
تاريخ افريقيا الشمالية ، تعريف محمد مزالى والبشير سلامة
الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ،
ج ٢ .

١٢٨ ـ غوستاف لوبون :
حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، طبع
بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة .

١٢٩ ـ ليفى بروفنسال :
الحضارة العربية فى أسبانيا ، ترجمة الطاهر أحمد مكى
دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، محرم سنة
١٣٩٩ هـ / ديسمبر ١٩٧٩ م .

١٣٠ ـ مانويل مورينو :
الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع
السيد محمود عبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف
والترجمة .

المراجع الأوربية غير المترجمة

(131) Georges Marcais : Manuel d'art Musulman L'architecture en Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne, Sicile, Paris, 1926, I.

(132) Levi Provencal : Historia de Espana, (Espana Musulmana 711-1031 De J,C.), traduccion espanala por Emilio Garcia Gomez, Madrid, 1950, t. IV.

(133) ______________ : Historia de Espana, (Espana Musulmana (711-1031 de J,C,), Instituciones Y vida Social E Intelectual traduccion espanola por Emilio Garcia Gomez, Madrid, 1957, t.V.

(134) Levi Provencal : La Politica Africana de Abd Al-Rahman III, Al-Andalus, Vol, XI, Fasc 2, 1946.

(135) Rafael Castejon and Martinez de Arizala, Medina Azahara, by Editorial Everest, S.A, Carretera Leon-Coruna Km 5-Leon (Spain).

البحــوث

١٣٦ ـ أحمد مختار العبادى :
سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، منشور فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، بمدريد ، المجلد الخامس ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، العدد (١-٢)

١٣٧ـ الحبيب الجنحانى :
الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة عاصمة بنى مدرار المؤرخ العربى ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بغداد ، العراق ، العدد الخامس .

١٣٨ـ حسين مؤنس :
المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط الى الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع العدد الأول ، مايو سنة ١٩٥١ م ، القاهرة ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد .

١٣٩ـ : غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ ـ ٢٤٥هـ/ ٨٤٤ ـ ٨٥٩م) ، بحث مستخرج من مجلة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، دار المعارف ، مصر مايو سنة ١٩٤٩ م ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد .

١٤٠ـ سعد زغلول عبد الحميد :
فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، الجامعة الليبية ، مجلة كلية الآداب والتربية ، بنغازى ، المطبعة الأهلية ، بنغازى المجلد الأول ، ١٣٧٧ هـ /١٩٥٨ م .

١٤١ـ السيد عبد العزيز سالم :
قرطبة في العصر الاسلامي ، المؤرخ العربي ، العدد ١٣ ١٩٨٠ م .

١٤٢ ـ : الحياة العلمية والأدبية في الأندلس ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، مطابع الشعب ، ١٩٥٩ م .

١٤٣ ـ : الفنون والصناعات بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ٢ ، مطابع الشعب ، سنة ١٩٥٩ م .

١٤٤ ـ : العمارة الاسلامية في الأندلس وتطورها ، عالم الفكر المجلد الثامن ، العدد الأول ، بدون سنة النشر .

١٤٥ ـ : العمارة الدينية في الأندلس ، دائرة معارف الشعب ٢ ، سنة ١٩٥٩ م .

١٤٦ ـ مسجد القرويين بفاس ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، مطابع الشعب ، سنة ١٩٥٩ م .

١٤٧ ـ : جامع الأندلسيين بفاس ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، مطابع الشعب ، سنة ١٩٥٩ م .

١٤٨ ـ : المسجد الجامع بالقيروان ، دائرة معارف الشعب ، ٢ ، مطابع الشعب ، سنة ١٩٥٩ م .

١٤٩ ـ عبد الجليل الراشد :
التقدم الفكرى عند أهل الأندلس حتى عصر المرابطين المؤرخ العربي ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بغداد ، العراق ، العدد ١٣ ، ١٩٨٠ م .

١٥٠ ـ عبدالعزيز بنعبد الله :
الفكر الملحي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، مجلة الدارة ، دارة الملك عبدالعزيز ، العدد ١٣ ، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، الرياض المملكة العربية السعودية .

١٥١ ـ ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون :
دائرة المعارف الاسلامية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٥٢ ـ محمود علي مكي :
التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، بمدريد ، المجلد الثاني ، ١٩٥٤م ، العدد (١ ـ ٢) .

الفهارس

الفهـــــرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة